الجمان في لطائف القرآن

رصدٌ وانتقاءٌ لأبرز البصائر القرآنية
من مقولات السلف والخلف

إعداد
الإدارة العلمية في معالم التدبر

المجلد الأول

دار الحضارة
معالم التدبر

الجمان
في
لطائف القرآن

© شركة معالم التدبر للتعليم، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شركة معالم التدبر

الجمان في لطائف القرآن/ شركة معالم التدبر- ط١-الرياض ١٤٤٣هـ

١٠١٤ ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٣-٥-٩١٤٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١-القرآن - تفسير أ- العنوان

ديوي ٢٢٧.٣ ١٤٤٥/١٠٩٢٣

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٠٩٢٣

ردمك: ٣-٥-٩١٤٣٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ـ ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com

الجمان في لطائف القرآن

رصدٌ وانتقاءٌ لأبرز البصائر القرآنية
من مقولات السلف والخلف

إعداد
الإدارة العلمية

المجلد الأول

دار الحضارة
معالم التدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحدَه، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، وبعدُ:

فقد أنزل اللهُ تعالى كتابَه الكريم للناس هدايةً ورحمةً، وبركةً وفضلاً، وتزكيَةً وشفاءً، فجاءت حروفُه مُيَسَّرةً للتالِين، ومعانيْه قريبةً للمتدبّرين، مَنْ عاش في رِحابِه وتحتَ كَنَفِه وجد فيه الطمأنينةَ والسكينةَ، ومَن استلهَم معانيَه وجدَ النورَ والرَّشاد.

نزلَ على الناس فأبهَرَ عقولَهم، وأخذ بمجامعِ قُلوبهم، ما إن سمعَتْ به الجنُّ حتى أنصتوا إليه وأعجبوا به، وولّوا إلى قومهم مُنذِرين.

ومُنذ نزلَ القرآنُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لم تزلْ هداياته تُلقَى في رُوع أهل القرآن، ما ترددت به ألسنتُهم، وأقبلتْ عليه قلوبُهم، فيجدونَ فيه كلَّ مرةٍ معنًى متجدِّدًا، وفَيْضًا متدفّقًا، فلا يزدادون بكثرة تَردادِه إلا إقبالاً عليه، وتذوُّقًا لحلاوتِه، ونَهْلاً من مَعينِه، فيُشِيع العلماء منهم هذه المعانيَ بين طلابهم ومع مَن حولهم. وكُتُب التفسير والفقه والرقائق والتراجم وغيرها مِمّا دوّنه علماء السلف فمَن بعدهم حافلةٌ بهذه المعاني، فالقرآن مَعينٌ لا يَنضب مهما تعاقبت الأزمان. قال الشافعي -رحمه الله- في وصيته لطالب العلم: "فحقٌّ على طلبةِ العلم بلوغُ غايةِ جهدهم في الاستكثار من عِلمِه (أي القرآن)، والصبرُ على كلِّ عارضٍ دونَ طلبِه، وإخلاصُ النيةِ لله في استدراكِ عِلمه نَصًّا واستنباطًا، والرغبةُ إلى الله في العون عليه؛ فإنه لا يُدرَك خيرٌ إلا بعونِه" (الرسالة: ص ١٣).

و"السعيدُ من أكرمَه اللهُ بالاشتغالِ بالقرآنِ الكريم، تلاوةً وتزكيةً وتعلُّمًا وتعليمًا؛ إذْ ذلك هو مُجمَل وظائفِ الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، وعلى رأسهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك هي مَدارات رسالات القرآنِ تلقيًا وبلاغًا، فطُوبى لعُمُر عَمَره صاحبُه

بهذه المعاني العظيمة، وطوبى لعبدٍ حَمَل هذه الرسالةَ الربانيةَ، فكان بذلك من أهلِ القرآنِ، أهلِ الله وخاصّته" (مجالس القرآن، لفريد الأنصاري: ١٥/٢).

وقد كان من توفيق الله لنا أن أخذْنا مَسارًا نَتواصى فيه مع الآخرين على الإقبال على كتابِ الله، وفَهْمِ معانيْه، وتَحرّي أسْرارِه، فنَنشُر ما تحصّل لنا من مقولاتِ السلف والخلف، المقروءةِ أو المسموعةِ، مما له صلةٌ بالترغيبِ في دَوامِ تلاوةِ كتاب الله، وتعلّمِه وتعليمه، والأُنسِ به والعَيشِ معه، واستجلاءِ مَضامينِه.

كان مسارُ التواصي يبدأ بالبحث والرصْد، ثمّ المراجعةِ والانتقاء، ثمّ النشرِ عبرَ خدمةِ الرسائل القصيرة (SMS) التي توفّرها شركاتُ الاتصالات، وعبرَ حساباتنا على وسائلِ التواصل الاجتماعي، وهكذا على مدى سنوات، توفَر لنا خلالها -بحمدِ الله- أُلوفُ الفرائدِ والدُّرر.

ولما توفّر هذا المقدارُ الكبيرُ، رأينا جمعَها في ضَميمةٍ واحدةٍ، تنتظم بها عِقْدًا من الجُمان، نُحَلِّي به أرواحَنا وأرواحَ القُرّاءِ الكرام، لتحبيبِ القرآنِ للنُّفوس، ولمزيدٍ من الصِّلة به، ولِتثوير كُنوزِه، وندعوها لاقتفاءِ الأثر الحميد، فتكونَ نماذجَ تُحتذى بها ويُفاد مِنها، وسَمّيناها بـ

الجُمَان في لَطائفِ القُرآن

منهج العمل في الكتاب:

أولاً: قسّمنا الكتابَ إلى بابين رئيسَيْن:

» أوَّلُهما: فرائدُ اللطائف، وهو باب معنيٌّ باللطائف مما له صلةٌ بالقرآن الكريم عامة: محبتِه، وتعظيمِه، وإعجازِه، وأثرِه، والعلاقةِ بهِ، وفضلِ تدبُّره، وما يُعين عليه، وما يمنعُ عنه، وشيءٌ من أخبار المتدبّرين، وخُتم بلطائفَ قرآنيةٍ عامة.

» ثانيهما: دُرَرُ اللطائف، وهو باب يَشغَل عامّة الكتاب، معنيٌّ باللطائفِ ذاتِ الصلة بآياتٍ بعينها من سُور القرآن الكريم، ولذا رتّبناها حسبَ ترتيبِ سُورِ القرآن الكريم، ورتبنا الدررَ فيه حسبَ تسلسلِ الآيات من السورة، ثم حسب وَفيات القائلين، وما كان مِن دُرر المعاصرين فإنَّا نُقدِّمه بحسب السنِّ أو مناسبة المعنى للتقديم.

ثانيًا: حرصنا في انتقاء الدُّرر في هذا الكتاب أن تكونَ مرتبطةً بالآية ارتباطًا وثيقًا، فيكونَ قصْدُ القائلِ أو الناقل ربطَ كلامه بالآية، لا أن يكون كلامًا عامًّا مرسلًا اتفَق تناسُبُه مع الآية.

ثالثًا: كُلُّ نقلٍ يوثَّق بذكرِ قائلِه ومصْدرِه أو مرجعِه، عدا ما نُقل عن تسجيلاتِ المعاصرين الصوتية أو تدويناتِهم على منصة (تويتر) فإنه يُكتفى بِذكرِ اسمِ القائل إن كان معدودًا في العلماء أو المتخصِّصين، أو الإشارةِ لمن سِواهم بأنها (من مشاركات المتدبرين)، وهكذا معَ كلِّ نقلٍ عن مُعاصرٍ لم نتمكَّن من نسبةِ القول إليه، كأن يكون النقلُ نتاجَ مجالس مشتركة أو تعذّر علينا تعرّف قائله.

رابعًا: ربّما طرأ اختصارٌ أو تصرّفٌ يسير على بعض النُّقولات؛ تحرّيًا للمعنى المقصود، وبُعدًا عن أي زيادة قد تُشتّت المعنى، وربّما أشير إلى الاختصار أو التصرف اليسير.

خامسًا: ذُيّل الكتابُ بملحقِ تصنيفٍ موضوعيّ؛ رغبةً في تعظيمِ انتفاع القرّاء من الكتاب، فلعلّ قارئًا يجدُ فيها بُغيتَه عند تناولِه موضوعًا ما.

وختامُ هذه المقدمةِ مِسك الشكرِ الجزيل الذي نُزجيه لكلّ من كان له إسهامٌ وأثرٌ في إخراج هذا العقدِ الثمين، بمَقالةٍ أو فكرةٍ أو تنبيهٍ أو تصحيح أو تطوير.

وندعوك -أخي القارئ الكريم- للإسهام معَنا عبرَ وسائلِ التواصُل المدرجةِ على غلاف الكتاب بتصحيحٍ أو اقتراح أو تطوير.

واللهَ نسأل أن ينفعَنا بهذا الكتابِ وينفعَ به كلَّ قارئ وسامع.

فرائد اللطائف

محبة القرآن وتعظيمه

١. قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه»[١]. قال ابن عبد البر: «إذا كان ذكرهم وذكر فضائلهم عمل بر، فما ظنك بحبهم وإخلاص الود لهم»؟!

التمهيد (١٧ / ٤٢٩)

٢. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن هذا القرآن هو الجامع لديننا، فإن ذهب القرآن ذهب ديننا».

الدر المنثور للسيوطي (١ / ٧٢٣)

٣. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الفقيه حقَّ الفقيه من لم يُقنِّط الناسَ من رحمة الله، ولم يُرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره».

سنن الدارمي (١ / ٣٣٨)

٤. قال رجلٌ لأُبي بن كعب رضي الله عنه: أوصني، فقال: «اتخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيًا وحَكَمًا، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيعٌ مطاع، وشاهدٌ لا يُتَّهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحُكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم»

حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ٢٥٣)

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٨٤٣).

٥. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن كل مُؤْدِبٍ يحب أن تؤتَى مأْدبته، ومأدبةُ الله القرآن، فلا تهجروه».

شعب الإيمان للبيهقي (٣ / ٣٩١)

٦. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «لا يضر الرجلَ ألا يسأل عن نفسه إلا القرآنَ، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله».

سنن سعيد بن منصور (١ / ١٠)

٧. عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود يقول في (بني إسرائيل) و(الكهف) و(مريم) و(طه) و(الأنبياء): «إنهن من العِتاق الأُوَل، وهن من تِلادي»[١]. قال ابن هبيرة: فيه من الفقه: إشعاره بزيادة أُنسه بهذه السُّوَر وذلك يستدعي زيادة فهمه لكلٍّ منهن، وذلك لأن نزولهن متقدم، ويعني قوله: (من تلادي) أي: مما حفظته قديمًا.

الإفصاح عن معاني الصحاح (٢ / ٨٧)

٨. وعن ابن مسعود ﷺ أيضًا: «إذا وقعتُ في (آل حم) وقعت في روضات دمِثات[٢] أتأنق فيهن».

مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ١٥٣)

٩. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «لكل شيء لُباب، وإن لُباب القرآن: الـمُفَصَّل».

مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ١٥٤)

١٠. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره».

مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ١٢٦)

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧ / ٢٥٨).

(٢) جمع (دمِثة)، وهي الأرض السهلة. انظر النهاية لابن الأثير (٢ / ١٣٢).

١١. عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنت جار الخَبَّاب بن الأرَتِّ ﷺ، فخرجنا مرةً من المسجد فأخذ بيدي فقال: «يا هناه؛ تقرَّب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تقرَّبَ إليه بشيءٍ أحب إليه من كلامه».

المستدرك للحاكم (٣٦٥٢)

١٢. عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجرًا، وكائن لكم ذِكرًا، وكائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم، فإنه من يتَّبِع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يَزُخُّ في قفاه[1] فيقذفه في جهنم»

المصنف لابن أبي شيبة (٧ / ١٤٢)

١٣. عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً أتاه وقال: أوصني يا أبا سعيد، فقال له في الوصية: «عليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض».

الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٢٨٩)

١٤. عن يونس بن جبير قال: شيعنا جُنْدَب بن عبد الله البَجَلي ﷺ، فقلنا: أوصنا، قال: أوصيكم بالقرآن، فإنه نور الليل المظلم، وهدي النهار، فاعملوا به.

شعب الإيمان للبيهقي (٣ / ١٨١)

١٥. قال ابن عباس ﷺ: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فقد أوتي الحكم صبيًّا».

شعب الإيمان للبيهقي (٣ / ٣٤٣)

١٦. قال سليمان بن عبد الملك ﷺ: «إن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان».

ذم الدنيا لابن أبي الدنيا (ص: ٤١)

(١) زخَّه: دَفَعَه. انظر النهاية لابن الأثير (٢ / ٢٩٨).

١٧. قال الحسن البصري ﷺ: «إن المؤمنين قوم أوثقَهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم».

الزهد لعبد الله بن المبارك (ص: ١٠٣)

١٨. قال الحسن البصري ﷺ: «ما أنزل الله آيةً إلا وهو يحب أن يُعلَم فيمَ أُنزلت وما أراد بها».

فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٩٧)

١٩. قال سفيان الثوري ﷺ: «سمعنا أن قراءة القرآن أفضلُ الذِّكر إذا عُمل به» .

التذكار للقرطبي(ص: ٤٨)

٢٠. قال سفيان بن عيينة ﷺ: «من قرأ القرآن سُئل عما يُسأل عنه الأنبياء ﷺ إلا تبليغ الرسالة».

حلية الأولياء لأبي نعيم (٧ / ٢٨١)

٢١. قال سفيان بن عيينة: «إنما آيات القرآن خزائن؛ فإذا دخلتَ خزانةً فاجتهد أن لا تخرجَ منها حتى تعرف ما فيها».

تهذيب اللغة للأزهري (٧ / ٩٦)

٢٢. قال بشر بن السَّرِيِّ: «إنما الآية مثل التمرة؛ كلما مضغتها استخرجت حلاوتها».

البرهان في علوم القرآن للزركشي (١ / ٤٧١)

٢٣. قال نصر بن يحيى بن أبي كثير: «جعل الله القرآن نورًا وشفاءً للمؤمنين، وحُجَّةً ووبالًا على المنافقين، فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ، وحصنك الذي به تعتصم، وكهفك الذي إليه تأوي، ودليلك الذي به تهتدي، وشعارك ودثارك، ومنهجك وسبيلك، وإذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى عجائب القرآن الذي لا حيرة فيه، فقِف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحدتك، وتقوى بعد ضعفك، فليكن دليلك دون المخلوقين،

تفز مع الفائزين، ولا تهذَّه كهذِّ الشعر، وقِف عند عجائبه. وما أشكل عليك فردَّهُ إلى عالمه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا (ص: ٨٠)

٢٤. إذا عَظُم في صدرك تعظيم المتكلِّم بالقرآن لم يكن عندك شيءٌ أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ ولا أحلى من استماع كلام الله ﷻ وفهمِ معاني قوله تعظيمًا وحبًّا له وإجلالاً؛ إذ كان تعالى قائله، فحُبُّ القولِ على قدر حب قائله.

الحارث المحاسبي، فقه القرآن (ص: ٣٠٢)

٢٥. وأما النصيحة لكتاب الله فشِدَّةُ حبه وتعظيم قدره (إذ هو كلام الخالق)، وشدة الرغبة في فهمه، ثم شدة العناية في تدبُّره، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعدما يفهمه، وكذلك الناصح من القلب يتفهَّم وصيةَ مَن ينصحه، وإن وَرَد عليه كتابٌ منه عُني بفهمه ليقوم بما كُتِب فيه، فكذلك الناصح لكتاب الله يُعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهمه في العباد، ويديم دراسته بالمحبة له، والتخلُّق بأخلاقه، والتأدُّب بآدابه.

محمد بن نصر المروزي، تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣)

٢٦. أعلَمَ اللهُ خلقَه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم، فإنه يُربحه الربحَ الذي لا بعده ربح، ويُعرِّفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق أهل القرآن (ص: ٣٣)

٢٧. واللهِ لو أن مؤمنًا عاقلاً قرأ سورة الحديد وآخر سورة الحشر وآية الكرسي وسورة الإخلاص بتفكيرٍ وتدبُّر لتصدَّع من خشية الله قلبه، وتحيَّر في عظمة الله لُبُّه.

ابن الجوزي، التذكرة في الوعظ (ص: ٧٣)

٢٨. ينبغي لتالي القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأن يعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه.

نجم الدين ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين (ص: ٥٣)

٢٩. القرآن أمرٌ عظيم باهر، لم يعرف الفلاسفة قدره، ولا درَوْا ما فيه من العلم والحكمة.

ابن تيمية، الرد على المنطقيين (ص: ٤٦٩)

٣٠. لا تخش من بِدَعٍ لهم وحوادث ما دمت في كَنَف الكتاب وحِرزِه
من كان حارِسَه الكتابُ ودِرعَه لم يخش من طعن العدو ووَخزِه

مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٥١)

٣١. إذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإن من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه.

ابن القيم، الجواب الكافي (ص: ٢٣٥)

٣٢. إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، مَن اتخذه سميره وأنيسه، وجعله جليسه على مرِّ الأيام والليالي، نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبُغية، وأن يظفر بالطِّلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول.

الشاطبي، الموافقات (٤ / ١٤٤) بتصرف

٣٣. الآيةُ من كتاب الله والأثرُ من حديث رسول الله ﷺ تجد فيه من أصولِ الهداية ودقيقِ العلم ولطيفِ الإشارة، في لفظٍ بيِّن وكلامٍ بيِّن ما فيه الكفاية وفوق الكفاية، لمن أُوتِي العلم ومُنِح التوفيق.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٦١)

٣٤. لا تجد طريقًا نافعًا فيه إحقاق الحق وإبطال الباطل إلا وقد رسمه القرآن على أكمل الوجوه.

السعدي، القواعد الحسان (ص: ٤٢)

٣٥. هو الصراط هو الحبل المتين هو الـ ـميزان والعروة الوثقى لمعتصمِ
هو البيان هو الذكر الحكيم هو التـ ـفصيل فاقنع به في كل مُنبَهِم
هو البصائر والذكرى لمدكر هو المواعظ والبشرى لغير عمي
هو المُنَزَّل نوراً بيِّنًا وهدًى وهو الشفاء لما في القلب من سقم

حافظ حكمي، المنظومة الميمية (ص: ٧ - ٨)

٣٦. إياك يا أخي ثم إياك أن يزهدك في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل الكيِّس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين.

الشنقيطي، أضواء البيان (١ / ٥)

٣٧. الله تبارك وتعالى منذ أنزل هذا الكتاب كان واجبًا شرعًا ألَّا يَدخُل أحدٌ الجنة كائنًا من كان إلا عن طريق العمل به، وألَّا يَدخُل أحدٌ النار إلا عن طريق الإعراض عنه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]، فالعمل به مفتاح الجنة، والإعراض عنه سبب دخول النار.

الشنقيطي، العذب النمير (٤ / ٤٥٦)

٣٨. الأمة برجوعها إلى القرآن تجدِّد نفسها، وتستأنف في الحياة تاريخها.

آثار محمد البشير الإبراهيمي (١ / ٢٨٤)

٣٩. وقد مكثت زمنًا طويلًا أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧ / ١٤)

٤٠. لا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حِسًّا ومعنًى.

ابن باز، مجلة البحوث الإسلامية (٦ / ٢٨٩)

٤١. لو رأيتم رجلًا قعد يقرأ جريدة حتى أتمَّها كلها، من عنوانها إلى آخر إعلانٍ فيها، فسألتموه: ما هي أخبارها؟ فقال: واللهِ ما أدري! لم أحاول أن أتفهَّم معناها! فماذا تقولون فيه؟ أما تُنكِرونه وتُنكِرون عليه؟ فكيف لا تنكرون على من يعكف على المصحف حتى يختم الختمة وقد خرج منها بمثل ما دخل فيها، ما فهم من معانيها شيئًا؟! فمن أين جاءت هذه المصيبة؟ وأيُّ عدوٍّ من أعداء الله استطاع أن يلعب هذه اللعبة فيحرم المسلمين من قرآنهم، وهو بين أيديهم، وفي كل بيتٍ نُسخٌ منه، وهو يُتلى دائمًا في كل مكان؟! يحرمهم منه وهو في أيديهم، وهو ملءُ أنظارهم وأسماعهم! مسألةٌ عجيبة جدًّا واللهِ!

علي الطنطاوي، فصول إسلامية (ص: ٢٠٤)

٤٢. إن أعظم حقيقة في هذا القرآن أنَّه كلام الله! وكفى بها حقيقةً وجوديَّةً كبرى تملأ القلبَ رَهَبًا.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١ / ١٠٩)

٤٣. هذا الكتاب المبارك انتقل بالإنسان من حدود الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة ونعيمها، فجعل من سعي الآخرة برًّا بالدنيا، ومن العمل الصالح في الدنيا نعيمًا في الآخرة؛ فلم يَعُد الإنسان -بفقه القرآن- حبيس غمٍّ وهمٍّ على فوات دنياه أو أسير تنافس مسعورٍ على حطامها، بل غدا بنور القرآن مُدركًا حقيقتها، مُبصرًا غايتها.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (ص: ٣٣٥)

٤٤. لو جاء نظام مُوجَّه إلى عموم موظفي شركة أو جهةٍ ما لتطبيقه؛ تجد أول ما يَرِد هذا النظام، مديرُ الدائرة ووكلاؤه ورؤساء الأقسام يحتجبون عن الناس لمدارسة هذا النظام وفهمه،

وهو نظام بشر، لكن تمُرُّ عليهم الآيات والكلمات التي تحتاج إلى فهم، تحتاج إلى توضيح واستيضاح من أهل العلم أو بالرجوع إلى الكتب، تمُرُّ كأنها لا تعني القارئ أو لا تعني السامع!

د. عبد الكريم الخضير، شرح الدروس المهمة (صوتي)

٤٥. إن المرء المسلم لتأخذه الدهشة بلُبِّه كل مأخذ، حين يرى مواقف الكثير من كتاب ربهم، وقد أحاط بهم الظلام، وادلهمَّت عليهم الخطوب من كل حدبٍ وصوب، ثم هم يتخبطون خَبْطَ عَشْواء؛ أفلست النظم، وتدهورت القوميات، وهشَّت العولميات، فياللهِ العجب! كيف يكون النور بين أيدينا، ثم نحن نلحق بركاب الأمم من غيرنا؟!

سعود الشريم، رمضان شهر القرآن (صوتي)

٤٦. ما عُرِف الله بأبلغ مما أرسل به رسله! والقرآنُ الكريم أعظم وأصح وأبين وأهدى ما أُرسلت به رسل الله قاطبة، فمَن فهم كلام الله على مراد الله، وعرف ما وصف به نفسه فيه، وما شَرَعَه من أحكام، وما قدَّرَه من أقدار، وأجراه على الأمم من الأحوال، واعتبر بذلك؛ عظَّمه أيما تعظيم.

إبراهيم الأزرق

العلاقة مع القرآن

٤٧. ذُكر لعائشة ﵂ أن ناسًا يقرؤون القرآن في الليلة مرةً أو مرتين فقالت: «أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا! كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرُّ بآيةٍ فيها تخويف إلا دعا الله ﷻ واستعاذ، ولا يمرُّ بآيةٍ فيها استبشار إلا دعا الله ﷻ ورغب إليه».

مسند أحمد (٢٤٦٠٩)

٤٨. كان عبد الله بن مسعود ﵁ يختم في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة للجمعة.

سنن سعيد بن منصور (٢ / ٤٤٩)

٤٩. قال أبو الدرداء ﵁: «أَخوَف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر! أَعَلِمتَ أم جهلت؟ فإن قلتُ: عَلِمت، لا تبقى آيةٌ آمرة أو زاجرة إلا أُخذتُ بفريضتها؛ الآمرة: هل ائتمرت؟! والزاجرة: هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من عِلمٍ لا ينفع، ونفسٍ لا تشبع، ودعاءٍ لا يُسمع».

حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ٢١٤)

٥٠. قال أحدهم لابن عباس ﵄: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاثٍ! فقال ابن عباس: لَأنْ أقرأ البقرة في ليلةٍ فأتدبرها وأرتلها، أحب إليَّ من أن أقرأها كما تقول.

فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ١٥٧)

٥١. قال الحسن البصري ﵀: «إن هذا القرآن قد قرأه صبيانٌ وعبيد، لا علم لهم بتأويله، ولم يأتوا الأمر من قِبَل أوَّله؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وما تدبُّر آياته إلا اتباعه بعِلمه، واللهِ ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن

أحدهم ليقول: واللهِ لقد قرأت القرآن كله وما أُسقِط منه حرفًا واحدًا، وقد أسقطه كله، ما ترى له في القرآن مِن خُلُقٍ ولا عمل، وحتى إن أحدهم ليقول: واللهِ إني لأقرأ السورة في نَفَسٍ واحد، واللهِ ما هؤلاء بالقُرَّاء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرَعَة، ومتى كان القُرَّاء يقولون مثل هذا؟! لا كثَّر الله في المسلمين من هؤلاء»!

مصنف عبد الرزاق (٣ / ٣٦٣)

٥٢. قال الحسن البصري ﷺ: «تفقَّدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذِّكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها؛ فاعلم أنَّ بابك مغلق».

حلية الأولياء لأبي نعيم (٦ / ١٧١)

٥٣. عن مالك بن دينار قال: «يا حملة القرآن؛ ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمنين، كما أن الغيث ربيع الأرض».

الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٥٨)

٥٤. سئل أبو زُرعة الرازي عن كتب فيها بدع وضلالات فقال: «إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب» قيل له: في هذه الكتب عِبْرة! قال: «من لم يكن له في كتاب الله عِبْرة فليس له في هذه الكتب عِبْرة».

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤ / ١١٠)

٥٥. ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم فضوحًا؛ كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه، قال ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»[1].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١ / ٢)

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

٥٦. ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبُّر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب.

النووي، الأذكار (ص: ١٠٧)

٥٧. كان الصحابة والتابعون يجعلون القرآن يحيط بكل ما يُطلب من علم الدين.

ابن تيمية، درء التعارض (١ / ٢٠٨)

٥٨. علينا عند ورود كلِّ شبهة من كلِّ ذي ضلالة أن نفزعَ إلى آي القرآن، ولا إخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسنَّا النظر إلَّا واجديها فيها!

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٣)

٥٩. هل يوجد شيء أهم في حياة الأمة من القرآن حتى نُقدِّمه على القرآن؟! هل يوجد؟ كلا طبعًا! فيجب أن يصبح القرآن هو الأساس في التعليم وفي بناء الشخصية في الأمة.

الشاهد البو شيخي، نظرات في الهدى المنهاجي (ص: ٢٢)

٦٠. لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابك وبلا تردد: نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في (رمضان)! فإنَّ حالَ هذا في الحقيقة هي كمن يعلن استغناءه عن هدى الله ونوره ورحمته وشفائه وحياة قلبه أحدَ عشر شهرًا!

أ. د. عمر المقبل

٦١. تأمَّل كيف تكون قوة الصلة بالقرآن!

في محاضرة واحدة فقط استدل سماحة الشيخ ابن باز ﷺ فيها بأكثر من مئة آية.

عن تلميذ الشيخ: د. عمر العيد

أثر القرآن

٦٢. عن أبي وائل قال: قرأ ابن عباس سورة النور ثم جعل يفسرها، فقال رجل: لو سمعتْ هذا الدَّيلَمُ لأسلمتْ.

المعرفة والتاريخ للفسوي (١ / ٤٩٥)

٦٣. عن عبد الملك بن عمير قال: كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُرَّاء القرآن.

مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ١٢٠)

٦٤. الإنسان يقرأ السورة مرات -حتى سورة الفاتحة- ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلت، فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر، بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٧ / ٢٣٦)

٦٥. القرآن كلام الله وقد تجلَّى الله فيه لعباده..
فتارَةً يتجلَّى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات ويذوب الكِبر كما يذوب الملح في الماء.
وتارةً يتجلَّى في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال على كمال الذات، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها.
وإذا تجلَّى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان، انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوي طمعه.
وإذا تجلَّى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة، انقمعت النفس الأمَّارة وبطلت أو ضعفت قُواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات.

وإذا تجلَّى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع، انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره والتبليغ لها والتواصي بها.

وإذا تجلَّى بصفة السمع والبصر والعلم انبعث من العبد قوة الحياء فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يُخفي في سريرته ما يمقته عليه.

وإذا تجلَّى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد وسَوقِ أرزاقهم إليهم ودفع المصائب عنهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه والرضا به.

وإذا تجلَّى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته والانكسار لعزته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح له، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وقوته وحِدَّته.

وأنت إذا تدبَّرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين أشهدَك ملكاً قيوماً فوق سماواته على عرشه يُدبِّر أمرَ عباده؛ يأمر وينهى، ويرسل الرسل وينزل الكتب، ويرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، يرى مِن فوق سبع، ويسمع ويعلم السر والعلانية، فعَّال لما يريد، موصوفٌ بكل كمال، منزَّهٌ عن كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ليس لعباده من دونه ولي ولا شفيع

ابن القيم، الفوائد (ص: ٦٩ - ٧١) مختصر

٦٦. ناظر أحد العلماء يهوديًّا شهرًا كاملاً، فأبى أن يُذعن، فجاء اليهودي يومًا وقت الصبح، وكان ذلك العالم مشتغلاً بتلاوة القرآن، وكان كريه الصوت في الغاية، فلما دخل اليهودي الباب وسمع القرآن أثَّر في قلبه تأثيرًا بليغًا، فأعلن إسلامه! ثم سأله العالم عن السبب؟ فقال: ما سمعت مدة عمري كريه الصوت مثلك، فلما وصلت إلى الباب سمعت منك القرآن وقد حصل تأثيره البليغ فيَّ، فعلمت أنه وحي.

إظهار الحق لرحمت الله الهندي (٣ / ٨٢٣)

٦٧. قال الشاعر محمد إقبال في آخر عمره: «أقول لكم ما أومن به وأدين: إن القرآن ليس بكتابٍ فحسب، إنه أكثر من ذلك؛ إذا دخل في القلب تغيَّر الإنسان، وإذا تغيَّر الإنسان تغيَّر العالم... إنه كتاب حيٌّ خالدٌ ناطق».

روائع إقبال لأبي الحسن الندوي (ص: ١١٥ - ١١٦)

٦٨. واللهِ الذي لا إله إلا هو! ما رأيت -وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب- أعظم إلانَةً للقلب واستدرارًا للدمع وإحضارًا للخشية وأبعثَ على التوبة؛ من تلاوة القرآن وسماع القرآن.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٣٩)

٦٩. ما أحسن وقع القرآن المجيد وبَلَّ نداه على القلوب التي ما تحجَّرت ولا غلب عليها الأشر والبطر والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد! هو واللهِ نهرُ حياةٍ متدفقٌ على قلوب القابلين له والمؤمنين به، يغذيها بالإيمان والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفن والفساد، ويحملها على كل خيرٍ وفضيلة.

صالح البليهي، الهدى والبيان في أسماء القرآن (١ / ١٢)

٧٠. القرآن آيةٌ في تأثيره على القلب، فإن الإنسان إذا قرأه بتدبُّر فإنه يُليِّن القلب، ويُوجِّه الإنسان إلى ربه، ويُوجِد طعمًا عجيبًا للإيمان؛ قال ابن عبد القوي ﷺ في داليته المشهورة:

وحافظ على درس القران فإنه يلين قلباً قاسياً مثل جلمد

شرح العقيدة السفَّارينية لابن عثيمين (ص: ٥٤٢)

٧١. كنت في جلسة مع أحد العلمانيين، واشتد عليَّ ووصفني بالرجعية والتأخر عن إدراك معنى الحياة والوجود، فقلت له: يا أخي هذا شيك بعشرة آلاف ريال في مقابل أن تقرأ كتاب الله -القرآن كاملاً- مرةً واحدة بتأمُّلٍ وتدبُّر، كأنه رسالةٌ مرسلة إليك من عزيزٍ عليك، وأن تعاهدني على ذلك، وأن تحدد لي معك جلسة أخرى بعد انتهائك من القراءة، فأخذ الشيك وأعطاني عهدًا ألَّا يَصْرِفه إلا بعد القراءة، وبعد أسبوع اتصل بي وطلب تحديد وقتٍ للجلسة الثانية، حيث أتمَّ قراءة القرآن، وعند الاجتماع به أعاد لي الشيك حيث لم يصرفه، وأعطاني شيكًا بعشرين ألف ريال وقال: أما شيكك فقد كان له أثر كبير في إخراجي من الظلمات إلى

النور، فقد قرأت كتاب الله فوجدت فيه من العِظة والعِبر وأسباب حياة القلب ما قادني إلى الأمل مِن الله أن أكون بعد الموت من فريق الجنة، وأما الشيك الآخر المسحوب مني لك فهو جزاء إنقاذك إياي من ظلمات الشك والحيرة إلى أنوار اليقين. فقلت: يا أخي ما رأيك أن نُغيِّر الشيكين إلى شيك لصالح جمعية تحفيظ القرآن شكرًا لله على هذه النتيجة المباركة.

عبد الله بن منيع، مقالة: الذهب ذهب وإن علاه الصدأ، جريدة الرياض عدد (١٥٤١٥) مختصر

٧٢. مَن تأمَّل موضوعات القرآن وطريقة عرضها، ثم نظر في نفائس أشعار العرب -كالمعلقات التي لا تعدو أن تكون تجارب شخصية للشاعر، كالفخر بالذات أو القبيلة-؛ تبيَّن له شيء مما أحدثه القرآن من تغيير في نفوس العرب.

د. مساعد الطيار

٧٣. تكاد تُجمِع الدراسات التي أُجريت على العديد ممن حفظوا القرآن داخل السجن، واستفادوا من العفو المشروط بالحفظ، على أنه لم يعد منهم أحد إلى سابق عهده، وأن نسبة العودة: (٠٪).

د. سليمان الصغير، القرآن معجزة أمنية (ص: ٣٥)

٧٤. لاحظت من خلال ممارستي الإكلينيكية الطويلة أن بعض المرضى يعالجون أنفسهم ذاتيًّا بقراءة القرآن بعمق وخشوع وتأمُّلٍ لمعانيه، وأنهم ينجحون غالبًا في خفض درجة توترهم، والتغلب على مشاعر الخوف والقلق والوساوس التي تسيطر على أذهانهم بدرجة كبيرة.

الدكتور النفسي رامز طه

٧٥. سألت أحد الشباب -الذين مَنَّ الله عليهم بحفظ القرآن، والعيش معه، كما أحسبه- فقلت له: أنت في بيئة عُرِف عنها النزاعات والخلافات والتفرق، فكيف نجوت من ذلك؟ فقال: لا أعرف سببًا أعزو الأمر إليه إلا الإقبال على القرآن؛ فقد رباني على حفظ اللسان، والإعراض عما لا ينفعني في الآخرة. فأعجبني هذا منه، فاللَّهُمَّ أكثِر من أمثاله.

عبد الرحمن العقل

٧٦. رأى أحد طلبة العلم رجلاً من الأتراك لا يُحسن العربية، ولكنه إذا قرأ القرآن يبكي، فدار الحديث بينهما عن طريق المترجم، فسأله: كيف تبكي وأنت لا تعرف معنى ما تقرأ؟ فقال له: إنه كلام الله، ولكن أنتم عرب، فلماذا لا تبكون؟!

من مشاركات المتدبرين

القرآن المُعجِز

٧٧. في إعجاز القرآن وجهٌ ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه.

الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ص: ٨٢)

٧٨. إنما يقوم الكلام بهذه الثلاثة: لفظٌ حامل، ومعنًى به قائم، ورباطٌ لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا من نظمه، وأما المعاني فهي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل.

الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ص: ٢٧) مختصر

٧٩. النبي ﷺ قد تحدَّى العرب قاطبةً أن يأتوا بسورةٍ من مثل القرآن، فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد كان في قومه الخطباء الماهرون والشعراء الحاذقون، وقد وصفهم الله في كتابه بالجدل واللدد، فقال سبحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧]، فكيف جاز على هؤلاء القوم أن يتركوا القرآن من غير أن يجدوا فرصة في التغلب عليه لولا أنهم عاجزون عن ذلك.

الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ص: ٢٥ - ٢٦) بتصرف

٨٠. فإن اشتبه على متأدبٍ أو متشاعر أو ناشئ أو مُرْمِدٍ فصاحةُ القرآن وموقعُ بلاغته وعجيبُ براعته؛ فما عليك منه! إنما يخبر عن نقصه، ويدل على عجزه، ويبين عن جهله، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله.

الباقلاني، إعجاز القرآن (ص: ١٢٥)

٨١. القرآن في سرد القصص الطِّوال وأخبار القرون السوالف التي يضعُف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان؛ آيةٌ لمتأمله، من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه، كقصة يوسف على طولها، ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها.

القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٢٦٤)

٨٢. مَن تدبر القرآن تدبراً تامًّا تبيَّن له اشتماله على بيان الأحكام، وأن فيه من العلم ما لا يدركه أكثر الناس، وأنه يبين المشكلات ويفصل النزاع بكمال دلالته وبيانه إذا أُعطي حقه، ولم تُحرَّف كَلِمُه عن مواضعه.

ابن تيمية، جامع المسائل (١ / ٢٥٦)

٨٣. أسرار كلام الله أجلُّ وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنما غاية أولي العلم الاستدلالُ بما ظهر منها على ما وراءه، وإنَّ بادِيَه إلى الخافي يسير.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ / ٢٤٩)

٨٤. مَن تدبَّر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرةً وخفيَّة: من حيث اللفظ، ومن جهة المعنى.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ١٩٩)

٨٥. القرآن جميعه فصيحٌ في غاية نهايات البلاغة، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرر حلا وعلا، وإن أخذ في

الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصُّمُّ الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٢٠٠) مختصر

٨٦. من القضايا المسلَّمَة والمقدمات الضرورية أنه مهما تأنق الخبير في تحبير دقائق القرآن السامية، فما هو إلا كالشرح لشذرةٍ من معانيه الظاهرة، وكالكشف للمعةٍ يسيرة من أنواره الباهرة؛ إذ لا قدرة لأحدٍ على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب، وما تضمنه من لب اللباب.

جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل (١ / ٤)

٨٧. أما ورود القرآن بما تُـحِيلُه العقول الصحيحة وتمنعه فهذا محال، والحسُّ والتجربة شاهدان بذلك، فإنه مهما توسعت الاختراعات وعظمت الصناعات، وتبحرت المعارف الطبيعية، وظهر للناس في هذه الأوقات ما كانوا يجهلونه قبل ذلك، فإن القرآن -ولله الحمد- لا يخبر بإحالته، بل نجد بعض الآيات فيها إجمالٌ أو إرشادات تدل عليه.

السعدي، القواعد الحسان (ص: ٣٥)

٨٨. كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه، وعجائبه متجددة على مرِّ الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل.

الشنقيطي، أضواء البيان (٢ / ٢٥٨)

٨٩. لم أرَ غَرَضًا تناضلت له سهام الأفهام، ولا غايةً تسابقت إليها جِيَاد الهمم، فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ١٠١)

٩٠. كلما لمح آيات القرآن قارئُها المتبصر، وتدبرها حق التدبر، وجد فصاحة إعجازه الدالة على أنه ليس من مألوف كلام البشر ساريةً في كل ما يحتويه مما له دلالةٌ على مقدارٍ من معاني الكلام البليغ.

ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة (ص: ٣٥)

٩١. قال المستشرق الألماني د. شومبس: «يقول بعض الناس: إن القرآن كلامُ محمد ﷺ، وهذا خطأٌ محض، فالقرآن كلامُ الله المُوحى على لسان رسوله محمد ﷺ، فليس في استطاعة محمد، ذلك الرجل الأُمي، في تلك العصور الغابرة، أن يأتي بكلامٍ تحار فيه عقول الحكماء، ويُخرِج الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة، فقد درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والأنظمة المُحْكَمَة، والبلاغة الرائعة، التي لم أجد مثلها قطُّ في حياتي؛ جملةٌ واحدةٌ منه تغني عن مؤلفات، هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه».

بالقرآن أسلم هؤلاء لعبد العزيز الغزاوي (ص: ٤٩)

٩٢. القرآن هو كلام الله الذي لا يشبع منه طالب العلم، وفيه الأعاجيب، لا تنقضي عجائبه، عجبًا لهذا الكلام الذي يُردَّد في كل يومٍ عند بعض الناس، وفي كل ثلاث وفي كل سبع عند كثير، ويقرؤه الإنسان في كل وقت ولا يمله، بينما لو ردد كلام البشر مرتين أو ثلاثًا لن يطيق أكثر من ذلك.

د. عبد الكريم الخضير، القرآن في شهر رمضان (صوتي)

أهمية التدَبُّر وفضلُه

٩٣. قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله».

سنن ابن ماجه (١٣٣٩)

٩٤. قال علي بن أبي طالب ﷺ: «إنه لا خير في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا علمٍ لا فهمَ فيه، ولا قراءةٍ لا تدبُّرَ فيها».

سنن الداري (١ / ٣٣٨)

٩٥. روي عن الحسن البصري ﷺ أنه قال: «الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، رحِم اللهُ عبدًا عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب».

أخلاق أهل القرآن للآجري (ص: ٣٩)

٩٦. عن وُهيب بن الورد قال: «نظرنا في هذا الأمر فلم نجد شيئًا أرَقَّ لهذه القلوب ولا أشدَّ استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبَّره».

حلية الأولياء لأبي نعيم (٨ / ١٤٢)

٩٧. إذا كان كلام العالِم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها، واللهُ أعلمُ العلماء وأرحمُ الرحماء، فكلامه أولى كلامٍ بالاستماع والتدبر والفهم.

الحارث المحاسبي، فهم القرآن (ص: ٢٤٧)

٩٨. لو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر، ومع الحاجة: تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية: يقع العجز والبلادة.

ابن قتيبة، تأويل مشكِل القرآن (ص: ٥٨)

٩٩. القليل من الدرس للقرآن مع الفِكر فيه وتدبُّرِه، أحبُّ إليَّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبُّرٍ ولا تفكُّرٍ فيه، وظاهرُ القرآن يدل على ذلك، والسُّنة وقول أئمة المسلمين.

الآجري، أخلاق أهل القرآن (ص: ١٦٩)

١٠٠. قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: «لو تدبَّر إنسانٌ القرآن كان فيه ما يرُدُّ على كل مبتدعٍ بدعته».

السنة لأبي بكر ابن الخلال (٣ / ٥٤٦)

١٠١. لـمَّا كان القرآن العزيز أشرفَ العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم.

ابن الجوزي، زاد المسير (١ / ١١)

١٠٢. المفسِّر المحقق الذي لا يزال يطَّلع في كل آية على أسرار عجيبة، ودقائق لطيفة، فإنه يكون اعتقاده في عظمة القرآن أكمل!

الرازي، مفاتيح الغيب (٩ / ٤٦١)

١٠٣. وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء: أحدها: تدبُّر القرآن. والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تُبيِّن أنه حق. والثالث: العمل بموجب العلم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣ / ٣٣٠)

١٠٤. فإن ما في القلب من معرفة الله ومحبته وخشيته وإخلاص الدين له وخوفه ورجائه والتصديق بأخباره وغير ذلك مما يتباين الناس فيه ويتفاضلون تفاضلاً عظيمًا، ويقوى ذلك كلما ازداد العبد تدبُّرًا للقرآن، وفهمًا ومعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته، والافتقار إليه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٢ / ٦٠٦)

١٠٥. لسماع القرآن من المواجيد العظيمة، والأذواق الكريمة، ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة؛ ما لا يتسع له خطاب، ولا يحويه كتاب، كما أن في تدبر القرآن وتفهُّمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ٨١)

١٠٦. من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبَّره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى وشفاء القلوب والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيءٍ من الكلام؛ لا منظومه ولا منثوره.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٢٧٠)

١٠٧. قد عُلم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك، فإنه لا بد أن يكون راغبًا في فهمه وتصوُّر معانيه، فكيف بمن قرؤوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم، الذي به هداهُم الله، وبه عرَّفهم الحقَّ والباطل، والخيرَ والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي؟!

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٧)

١٠٨. دخل في قوله ﷺ «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[١] تعليمُ حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلّم معانيه هو المقصود الأول من تعلُّم حروفه، وذلك الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: «تعلَّمنا الإيمان، ثم تعلَّمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وأنتم تعلَّمتم القرآن، ثم تتعلَّمون الإيمان»[٢].

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٣ / ٤٠٣)

١٠٩. ما أشدَّها من حسرة وما أعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبُه أسرارَه ومعانيه، فالله المستعان.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١ / ١٩٤)

١١٠. إن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة، وانعقاد الصلاة عليه، بل أُنزل ليُتدبَّر ويُعقَل ويُهدى به علمًا وعملاً، ويُبصِّر من العمى، ويُرشِد من الغي، ويُعلِّم من الجهل، ويشفي من العِي، ويهدي إلى صراط مستقيم.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (١ / ٣١٦)

١١١. لو علِمَ الناسُ ما في قراءة القرآن بالتدبُّر؛ لانشغلوا بها عن كلِّ ما سواها!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٧)

١١٢. حقيقٌ بالإنسان أن ينفق ساعات عمره بل أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتَفَهُّمِه وتَدَبُّره واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه والعكوف بالهمة عليه، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٣٠)

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرج أوَّله ابن ماجه في سننه (٦١)، وأخرجه الطبراني بتمامه في المعجم الكبير (١٦٧٨) عن جندب بن عبد الله.

١١٣. قال ابن القيم:

فتدبَّرِ القرآنَ إن رمتَ الهدى فالعلم تحت تدبُّر القرآنِ

قال الشيخ ابن عثيمين: هذا بيتٌ عظيم ينبغي أن يحفظه الإنسان ويُمِرَّه على قلبه دائماً.

شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١ / ٥٠٢)

١١٤. مِن أنفع ما يعرف به المرء تفاصيل أسباب الشر والخير: تدبُّر القرآن؛ فإنه كفيل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعًا مفصَّلة مبيَّنة.

ابن القيم، الجواب الكافي (ص: ٢١)

١١٥. وأما الفكرة في صفات المعبود وأفعاله وأحكامه، فتوجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عمَّا لا يليق به، ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام. ومجاري هذه الفكرة: تدبُّر كلامه، وما تَعَرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نزَّه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٥٣٢)

١١٦. إن الرجل قد يكون له قلب وقَّاد، مليء باستخراج العبر واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورًا على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله، وأعظمهم إيمانًا وبصيرة.

ابن القيم، مدارج السالكين (٤٤٢/١)

١١٧. مَن لم يكن له علمٌ وفهمٌ وتقوى وتدبُّر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئًا.

الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢ / ١٥٥)

١١٨. المقصود الأعظم بإنزال القرآن والتعبد بحفظ ألفاظه هو هداية القلوب، ورجوعها بالاستكانة والخضوع إلى علام الغيوب، وتنزهها عن كل خُلقٍ ذميم، وعملٍ رميم، فمن ظفر بذلك مع حفظه فقد ظفر بالكنز الأعظم.

ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية (ص: ٤٢)

١١٩. اعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبُّر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمى وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبُّر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبُّره.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٤٦٣)

١٢٠. جُلُّ فائدة الصلاة -وهي عماد الدين- بتلاوة القرآن مع التدبُّر والتخشُّع، فإذا زال منها هذا صارت عادةً قليلةَ الفائدة.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٤٦٣)

١٢١. لا يوجد كتابٌ لإمامٍ مجتهد ولا لمصنفٍ مُقلِّد يغني عن تدبُّر كتاب الله في إشعار القلوب عظمة الله تعالى وخشيته وحبه، والرجاء في رحمته، والخوف من عقابه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٥ / ٢٤١)

١٢٢. لو أن المسلمين استقاموا على تدبُّر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما زال مُلكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالة في معايشهم وأسبابها على سواهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٥ / ٢٤١)

١٢٣. قلوبنا مُعَرَّضةٌ للضعف عن القيام بأعباء التكليف وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة ويبعث فيها الهمة هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلى تجديد تلاوته وتدبُّره أكيدةٌ جدًّا، لتقوية قلوبنا باليقين وبالعلم وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٠)

١٢٤. إذا بذل العبد وسعه في الإقبال على تدبُّر القرآن وتفهمه وكثرة التفكُّر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقًا ومفهومًا، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورًا لا تدخل تحت كسبه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠) بتصرف

١٢٥. تدبُّر كتاب الله مفتاحٌ للعلوم والمعارف، وبه يُستنتَج كل خير وتُستخرَج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٠)

١٢٦. المؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خيرٌ كبير، فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره؟!

السعدي، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص: ٧٢)

١٢٧. ينبغي للقارئ للقرآن المتدبِّر لمعانيه ألا يدع التدبُّر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خيرٌ كثير، ونفعٌ غزير.

السعدي، تيسيرالكريم الرحمن (ص: ٧٢٢)

١٢٨. القرآن يملأ النفوس بعِظَم الهمة... وإذا رأينا من بعض قُرائه هممًا ضئيلة خاملة، فلأنهم لم يتدبَّروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (٥ / ٢٠٢٦)

١٢٩. تدبُّر القرآن واتِّباعُه هما فرقُ ما بين أول الأمة وآخرها، وإنه لفرقٌ هائل! فعدمُ التدبُّر أفقدَنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل!

آثار محمد البشير الإبراهيمي (١ / ٣٢٧)

١٣٠. من أحكم الوسائل لجذب الأمة إلى القرآن: وصفُ القرآن، وتشويق الناس إلى الإقبال عليه وتدبره وفهمه، ومعرفة ما ضيَّعت من خيرٍ وما خسرت من هداية بتضييعها للقرآن، وإنما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها من وصفه والإشادة بشأنه، والتنويه بجلاله وخطره، والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظٍ قليلة.

آثار محمد البشير الإبراهيمي (١ / ٣٢٣)

١٣١. السر في تأخر مسلمي هذا الزمن على رغم وفرة المصاحف في أيديهم، ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانَيْهِم، وعلى رغم كثرة عددهم واتساع بلادهم، في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحًا مدهشًا، كان وما زال موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين، مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قِلَّةٍ من العدد، وضيقٍ من الأرض، وخشونةٍ من العيش، ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم، ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة؛ أجل إن السر في ذلك هو أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته.

الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (٢ / ٧)

١٣٢. من أعظم الأسباب لخشية الله وتعظيم حرماته: تدبُّر القرآن، والإكثار من تلاوته، والتفكير في المصير بعد الموت.

ابن باز، فضل خشية الله (صوتي)

١٣٣. مَن تدبَّر كتاب الله وأكثر من تلاوته عرف صفات الرابحين وصفات الخاسرين على التفصيل.

مجموع فتاوى ابن باز (٥ / ٩٥)

١٣٤. عليك بتدبُّر القرآن حتى تعرف المعنى، تدبَّره من أوله إلى آخره، واقرأه بتدبُّر وتعقُّل، ورغبة في العمل والفائدة، لا تقرأه بقلبٍ غافل، اقرأه بقلبٍ حاضر بتفهُّم وبتعقُّل، واسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن أكثره -بحمد الله- واضح للعامة والخاصة ممن يعرف اللغة العربية.

مجموع فتاوى ابن باز (٩ / ٢٥)

١٣٥. وإني أحثكم أيها الشباب على الحرص التام على تدبُّر القرآن ومعرفة معانيه؛ لأن القرآن إنما نزل ليدَّبَّر الناس آياته، وليتذكروا به... إذ لا فائدة بتلاوة اللفظ دون فهمٍ للمعنى.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح رقم (١٧١)

١٣٦. ليس الغرض من التدبُّر مجرد الترف العلمي، والافتخار بتحصيل المعرفة، والتوصُّل إلى كشف المعاني للتعالي بمعرفتها واكتشافها، وإنما وراء الفهم غرضُ التذكُّر والعِظَة، والعمل بموجب العلم، وهذا التذكُّر المقصود لا يحظى به إلا أولو الألباب.

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل (ص: ٩)

١٣٧. أول أسباب رقة القلب: تدبر كلام الله تعالى وتَعَقُّل معانيه كلمةً كلمة، فمن تدبره وأكثر منه رُجي بذلك أن ينفعه الله وأن يرِق قلبه، وذلك لما في القرآن من المواعظ والوعد والوعيد.

ابن جبرين، شرح كتاب العظمة (صوتي)

١٣٨. علينا أن نقرأ القرآن وأن نتدبر معانيه، وأن نستعرض أحوالنا على ضوئه، وأن نبحث عن مكاننا فيه، وعن الواقع الذي نعيشه منه، في هذه المجتمعات البشرية، والنماذج الأممية، الغابرة والحاضرة، كما فعل السلف، لأن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وهدايته قائمة في كل آن.

علي بن قاسم الفيفي، مجلة البحوث الإسلامية (٥٤ / ٣٦١)

١٣٩. ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: (كان النبي ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن)، هذا يدل على أن مدارسة القرآن تزيد من الطاعة والبر والخير، ومن اشتكى ضعفًا في هدايته والتزامه فلينظر ما بينه وبين القرآن في ختمه وتعاهده.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (صوتي)

١٤٠. نقرأ آيات فلربما نغفل عن تدبر كثير من معانيها ودلالاتها، فتأتي الأحداث والفتن، فيدرك المتدبِّرون الرابط القرآني بين هذه الدلالات وتلك الفتن، وكأن القرآن يتحدث عن ذات الفتنة الواقعة، والمحنة النازلة، ولكنه حظ من كان القرآن آياتٍ بينات في صدورهم.

أ. د. عبد العزيز العويد

١٤١. إن أعظم ما يمكن أن يتحقق للدعاة من نجاحات يَكمُن في إحداث ذلك التفاعل الإيماني العميق بالنص القرآني، بالانتقال من مجرد القراءة اللفظية له إلى عوالم التدبُّر، والتي تحقق لأصحابها الانتفاع الحق بالقرآن الكريم، وتستتبع ثمراتها الإيمانية والعلمية والعملية.

د. عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد (ص: ١٨٦)

من أخبار المتدبِّرين

١٤٢. كان عمر بن الخطاب ﷺ يمُرُّ بالآية في وِرده فتخنقه العَبْرة فيبكي حتى يلزم بيته، فيعودُه الناسُ يحسبونه مريضًا.

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٩٥)

١٤٣. سأل عبد الله بن عروة بن الزبير جدته أسماء بنت أبي بكر ﷺ قال: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: «كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم».

الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٣٥٩)

١٤٤. قال ابن عباس ﷺ: «لم أر رجلاً يجد من القشعريرة ما يجد عبد الرحمن بن عوف عند القراءة».

صحيح ابن حبان (٢ / ١٥٢)

١٤٥. قال ابن عباس ﷺ: «إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم».

فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ١٠٢)

١٤٦. قال أيوب السختياني ﷺ: «كل آية فيها ذِكرُ النفاق فإني أخافها على نفسي».

الإبانة الكبرى لابن بطة (٢ / ٧٥٤)

١٤٧. قيل لعيسى بن وردان ﷺ: ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى، ثم قال: أشتهي أن ينفرج لي عن صدري، فأنظر إلى قلبي ماذا صنع القرآن فيه وما نكأ؟

المتمنين لابن أبي الدنيا (ص: ٤٩)

١٤٨. قال المَرُّوذي ﷺ: سمعت أبا عبد الله يقول لرجل: اقعد اقرأ. فجئته أنا بالمصحف، فقعد فقرأ عليه، فكان يمرُّ بالآية فيقف أبو عبد الله فيقول له: ما تفسيرها؟ فيقول: لا أدري. فيفسرها لنا، فربما خنقته العبرة فيردها.

بدائع الفوائد لابن القيم (٣ / ١٠٨)

١٤٩. قال أحمد بن أبي الحواري ﷺ: إني لأقرأ القرآن، فأنظر في آيةٍ منه فيحار عقلي فيها، وأعجب من حُفاظ القرآن؛ كيف يهنيهم النوم ويسيغهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتكلمون كلام الرحمن؟! أَمَا لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذَّذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رُزِقوا ووُفِّقُوا.

حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠ / ٢٢)

١٥٠. كان أبو العباس بن عطاء ﷺ يختم القرآن كثيرًا، إلا أنه جعل له ختمة يستنبط منها معاني القرآن، فبقي بضع عشرة سنة، فمات قبل أن يختمها.

حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠ / ٣٠٢)

١٥١. تقول عائشة برجت هوني -امرأة إنجليزية- وهي تصف قصة إسلامها: «لن أستطيع -مهما حاولت- أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدةً لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاةٍ لي في الإسلام».

قالوا عن الإسلام للدكتور عماد خليل (ص: ٨٨)

١٥٢. هذا القرآن لو أنزله الله جل وعلا على جبلٍ لرأيته خاشعًا متصدعًا! عجوز في السبعين أو في الثمانين من عمرها، تذهب إلى المستشفى ويقرر لها عملية: حصوات في المرارة أو في الكلى، فخرجت من المستشفى لتستخير، ثم رجعت إليهم من الغد، فحلَّل لها ووجد أن

الحصى نزل، طيب! ماذا صنعت هي؟! ما هي بعادة ينزل الحصا من هذا المكان الذي هو فيه، لا بد من الاستئصال؛ قالوا: أيش صنعتِ؟ قالت: والله ما سويت إلا كأس من ماء زمزم نفثت فيه، قرأت فيه الفاتحة والمعوِّذتين، ونزل الحصا، قالوا لها: عجيب، قالت: نعم. والله جل وعلا يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر: ٢١] هذه حصوات صغيرة جدًّا؛ كيف لا تتفتَّت من القرآن؟ لكنه اليقين والإيمان، والله المستعان.

د. عبد الكريم الخضير، شرح العقيدة الواسطية (صوتي)

١٥٣. ذكرت صيدلية نصرانية أنَّ من أسباب إسلامها هو سماعها قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، تقول: «لا أستطيع وصف شعوري حينها! فكل حياتي الماضية هُدِمت أمامي، في حياة سوداء مقيتة، لأنها حياةُ كفرٍ، وهنا أعلنت إسلامي».

صحيفة اليوم (١٩ ذي القعدة ١٤٢٥)

١٥٤. زرت والدي (عمره قرابة ٧٠ سنة) في المستشفى فسألته عن نومه؟ فقال: نمت بحمد الله، وأنا أفرح إذا طار عني النوم! فقلت: لم؟ فقال: لأعيش مع كلام ربي! فقلت: كم تقرأ؟ قال: سبعة أجزاء! قلت: وأنا لا أعرف عن قراءة والدي إلا التدبُّر والسؤال، والتكرار، والوقوف الطويل عند الآيات.

من مشاركات المتدبرين

١٥٥. كم أتحسر حين أتذكر من نفسي شيئًا من الإغراق لفهم شيءٍ من عميق كلام شيخ الإسلام أو لحل عويصةٍ من كتب المخالفين أو الموافقين، ثم لا أجد من نفسي ذات الحماسة في تقليب النص القرآني، في محاولةٍ لتعميق الفهم، واستجلاء أبعاده ودلالاته ومظاهر جلاله وجماله!

د. عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد (ص: ١٨٦)

الأمور المعينة على التدبُّر

١٥٦. عن أبي نضرة العبدي قال كان أبو سعيد الخدري ﷺ يعلمنا القرآن؛ خمس آيات بالغداة، وخمسًا بالعشي.

تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠ / ٣٩١)

١٥٧. قال الشعبي ﷺ: «إذا قرأت القرآن فاقرأه قراءةً تُسمِع أُذنيك، ويفقه قلبك، فإن الأذن عدلٌ بين اللسان والقلب».

الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٤٢٢)

١٥٨. إنما يعرف فضل القرآن مَن كَثُرَ نظرُه، واتَّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص: ١٧)

١٥٩. القرآن والسنة مؤدِّبان، فالعبد يتصفح القرآن ليؤدِّب به نفسه، هِمَّتُه إيقاع الفهم لما ألزمه الله مِن اتباع ما أمر والانتهاء عما نهى، ليس هِمَّته (متى أختم السورة)؟! هِمَّتُه متى أستغني بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين؟ متى أعقل عن الله الخطاب؟ متى أفقه ما أتلو؟ متى أكون بزجر القرآن متعظًا؟ متى أكون بذكره عن ذكر غيره مشتغلاً؟ متى أُحِبُّ ما أَحَب؟ متى أُبغِض ما أَبغَض؟ متى أحذر مما حَذَّرَني منه ربي؟ فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة، يرى بها ما حَسُن مِن فعله وما قَبُح منه، فما حذَّره مولاه حَذِرَه، وما خوَّفه به من عقابه خافه، وما رغَّبه فيه مولاه رَغِب فيه ورجاه.

الآجري، أخلاق أهل القرآن (ص: ٧٩ - ٨١) مختصر

١٦٠. قال أبو عثمان المغربي: ليكن تدبُّرك في الخلق تدبُّرَ عبرة، وتدبُّرك في نفسك تدبَّرَ موعظة، وتدبُّرك في القرآن تدبُّرَ حقيقة!

سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦ / ٣٢١)

١٦١. إذا كان القرآن بهذه المنزلة من الإعجاز في نظمه ومعانيه، احتاجت ألفاظه في استخراج معانيها إلى زيادة التأمُّل لها، وفضلِ الرويَّة فيها، ولا يقتصر فيها على أوائل البديهة، ولا يقنع فيها بمبادئ الفكرة.

الماوردي، النكت والعيون (١ / ٣٤)

١٦٢. تلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظُّ اللسان تصحيحُ الحروف بالترتيل، وحظُّ العقل تفسير المعاني، وحظُّ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (١ / ٢٨٧)

١٦٣. البكاء مستحب مع القراءة، وطريق ذلك: أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، وذلك بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزنٌ وبكاءٌ فليبكِ على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (١ / ٢٧٧) مختصر

١٦٤. أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحِكَم، فمن فتَّشه بيد الفهم، وحادَثه في خلوة الفِكر؛ استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ١٢٣)

١٦٥. إذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بنيَّةٍ صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورًا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ / ١٧٦)

١٦٦. مِن الأدب في التلاوة: الحضور والفهم، والشعور بأن القرآن رسالةُ الله إلى كل عبد، وأن هذا دعوةٌ عامةٌ لجميع الخلق، وأن هذا العبد التالي منهم.

ابن شيخ الحزاميين، مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق (ص: ٩٩)

١٦٧. مَن تدبَّر القرآن، وتدبَّر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبيَّن له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٩٤)

١٦٨. ليس في القرآن لفظٌ إلا وهو مقرون بما يبين به المراد، ومَن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٠ / ٤٧٤)

١٦٩. قال ابن تيمية: «من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه؛ تبيَّن له طريق الحق»[١].

علَّق الشيخ ابن عثيمين على هذه الجملة فقال: (مَن تدبَّر) لا بد من تدبُّرٍ وتفكُّرٍ في المعنى، ولابد أن نُحسن القصد، وهو قوله ﷺ: (طالباً الهدى منه)، والنتيجة: (تبيَّن له طريق الحق) وصدق رحمه الله.

وعلَّق أيضاً في موطنٍ آخر: (مَن تدبَّر القرآن) متيقناً أنه إذا دلَّ على شيء فإنه سيأخذ به ولو خالف رأيه، فهذا هو الذي يُوفَّق ويتبيَّن له (طريق الحق)، ولا يمكن أن يخفى عليه أبداً؛ إنما يخفى علينا إما من قصور علمنا أو تقصيرنا أو أننا لا نريد الاهتداء به، بمعنى أننا نعلم الشيء ولا نعمل به.

جلسات رمضانية (درس رقم ١٩) - شرح الكافية الشافية (١ / ٥٠٤)

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣ / ١٣٧)

١٧٠. في القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله في كلام أحد من الناس بل عامة ما يأتي به حذاق النظار من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلاصتها وبما هو أحسن منها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٢ / ٨١)

١٧١. لو طهُرت مِنَّا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله؛ لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

ابن القيم، أعلام الموقعين (٢ / ٣٠٤)

١٧٢. الشيطان أحرصُ ما يكون على الإنسان عندما يهُمُّ بالخير، أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذٍ ليقطعه عنه، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله كان اعتراض الشيطان له أكثر، فالشيطان بالرَّصدِ للإنسان على طريق كل خير، ولا سيما عند قراءة القرآن، فأمر سبحانه العبد أن يحارب عدُوَّه الذي يقطع عليه الطريق، ويستعيذ بالله منه أولاً، ثم يأخذ في السير.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١ / ١٦٠ - ١٦١) مختصر

١٧٣. إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور مَن يخاطبُه به مَن تكلَّم به سبحانه منه إليه؛ فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسوله ﷺ.

ابن القيم، الفوائد (ص: ٣)

١٧٤. من تدبَّر الابتداء عرف الختم، ومن تأمل الختم لاح له الابتداء[1].

البقاعي، نظم الدرر (٣ / ١٣٦)

(١) ومعنى كلامه: أن من تدبر بداية الآية التي هو فيها؛ عرف سر ختام الآية التي قبلها، وكذلك من تأمل ختام الآية التي هو فيها؛ ظهر له ارتباطها بالآية التي بعدها.

١٧٥. صفة التدبر أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، ويتأمل الأوامر والنواهي، فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى استغفر، وإذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ سأل واستبشر، أو عذابٍ أشفق وتعوَّذ، أو تنزيهٍ نزَّه وعظَّم، أو دعاءٍ تضرَّع وطلب.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١ / ٣٦٩)

١٧٦. القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولَّته بالفهم عقولٌ كعقول السلف، وتولَّته بالتطبيق العملي نفوسٌ سامية وهِمَمٌ بعيدة كنفوسهم وهِمَمِهم، أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي؛ فإنه لا يفيدهم شيئًا.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٦)

١٧٧. خذ نفسك بالغوص في طلب أسرار القرآن، فإن عَمِي عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل، ولكن قل قولاً سديداً؛ قل: (الله أعلم بأسرار كلامه، ولا علم لنا إلا بتعليمه)، ثم إياك أن تركن إلى راحة اليأس فتقعد عن استجلاء تلك الأسرار قائلاً: أين أنا من فلان وفلان؟ بل جِدَّ في الطلب وقل: رب زدني علمًا.

محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم (ص: ١٦٥) مختصر

١٧٨. وقد سمعت من الشيخ محمد الأمين الشنقيطي قوله: «لا يثبِّت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه ويُيسِّر فهمه؛ إلا القيام به من جوف الليل». وقد كان ﷺ لا يترك ورده من الليل صيفًا أو شتاءً.

تتمة أضواء البيان للشيخ عطية سالم (٨ / ٣٥٩)

١٧٩. إنَّك لتمرُّ بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معانٍ كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك، فلا تكُ من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيًا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحًا بذلك.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٩٧)

١٨٠. على متدبِّر كتاب الله أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثًا لغويًّا، وكيف استعملها العرب، وكيف استُعملت وقت نزول القرآن، لا وَفق ما تطورت إليه الكلمة بعد انقطاع الوحي؛ فإن ذلك من شأنه أن يساعد - بتوفيق الله - على فهم المعنى، وأن يكون تدبره أقرب إلى الصواب.

عبد الرحمن الميداني، قواعد التدبر (ص: ٣١٧ - ٣١٩) بتصرف

١٨١. العقل آلة تلتقط الحقائق وتعقلها، ولكنها لا تتخذ القرار؛ وإنما الذي يتخذ القرار هو القلب بمعناه القرآني الخاص؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، فإذا كان القلب محجوبًا عجز عن الوصول إلى ما يعرضه عليه العقل، ومن هنا كان جوهر التفكر في القرآن قلبيًّا.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (ص: ٥٦) مختصر

١٨٢. إن الذي لا يكابد منـزلةَ الإخلاص، ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلَّق بمقام توحيد الله في كل شيء رغباً ورهباً؛ لا يمكن أن يُعتبَر حافظاً لسورة الإخلاص!

وإن الذي لا يذوق طعم الأمان عند الدخول في حِمى (المعوِّذتين)؛ لا يكون قد اكتسب سورتي الفلق والناس!

ثم إن الذي لا تلتهب مواجيدُه بأشواق التهجد لا يكون من أهل سورة المزمل!

كما أن الذي لا تحترق نفسه بجمر الدعوة والنذارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس من المتحققين بسورة المدثر!

ثم إن المستظهر لسورة البقرة، إذا لم يُسْلِم وجهه لله في كل شيء، ولم يسلك بها إلى ربه، متحققاً بأركان الإسلام وأصول الإيمان، متخلِّقاً بمقام الجهاد في سبيل الله، صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، مُتنـزِّهاً عن المحرمات في المطعومات والمشروبات ..إلخ، واضعاً عنقه تحت رِبْق أحكام الشريعة، في دينه ونفسه وماله، متحققاً بـخُلُق السمع والطاعة لله على كل حال، من غير تردد ولا استدراك؛ لا يكون حافظاً لسورة البقرة!

وإنما الحافظ للشيء هو الحافظ لأمانته، المتحقق بحكمته، العامل بمقتضاه، المكابد لما تلقَّى عنه من حقوق الله!

د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن (ص ١٤)

١٨٣. استجمع الفؤاد، وعش مع الآيات في عظاتها! عش مع أهل الجنة في نعيمهم وسرورهم، حتى تتحرك النفس إلى الجنان، وعش مع أهل النار في جحيمهم وسعيرهم، فإن هذا يزكي الفؤاد حال تذكرهما، ويكسبه الرقة والخوف من رب العباد، فما تفكر عبد في آيات القرآن إلا تذكر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، فكن ذلك المدكر!

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي

١٨٤. كيف نتدبَّر؟ استعد! فبعد أن تفتح قلبك، فلتكن عازمًا على تنفيذ ما يمرُّ بك من أوامر، والكف عما يمرُّ بك من نواهٍ، فهذا الصدق في البداية له أثره في النهاية، وتذكَّر: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢١]، وتذكَّر أنك إن تقدمت خطوة في هذا الطريق، فربك أكرم.

أ. د. عمر المقبل

١٨٥. رتل ولا تعجل! تأمل هذه الآية التي خوطب بها نبيك ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة: ١٦]، فالترتيل هو الطريقة الشرعية للدخول إلى عالم التدبر، وقد كرَّر الله الأمر به في مواضع: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، فإياك والهذرمة وسرعة القراءة التي تفقدك لذة التدبر!

أ. د. عمر المقبل

١٨٦. قال ابن مسعود ﷺ: «اقرؤوا القرآن وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة»[1].. فمما يعين على قراءة (التدبر) المحرِّكة للقلوب أن يكون حزب القارئ (وقتُ القراءة) لا (مقدار القراءة)، فمثلاً: بدلاً من تحديد جزء يوميًّا، يكون نصف ساعة يوميًّا؛ لئلا يكون الهمُّ آخر السورة.

عبد الكريم البرادي

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٨٤).

١٨٧. كرِّر الآية التي تجد قلبك قد انفتح لها، وخشع معها، فقد قام نبيك ﷺ بآية واحدة حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[١] [المائدة: ١١٨]. وكان أحد العامة يقرأ قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فما زال يُردِّدها كثيرًا، وكلما قرأها قال: لا والله يا رب ما فيك شك! فبكى وأبكى من كان يسمعه.

من مشاركات المتدبرين

١٨٨. الوقوف على أقوال السلف بالذات في تفسير الآية، والتأمل في مضامينها -خاصة إذا تنوَّعت عباراتهم والمقصود واحد - مما يعين على التدبُّر والتفكُّر في معانٍ أكثر للآية، مثال: تنوُّع عباراتهم في تفسير (الفتنة) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

من مشاركات المتدبرين

١٨٩. الله يخاطبك! فما دمت تتلو القرآن بهذا الشعور، وأن كل آية فيه إنما هي رسالة من الله إليك، فسيكون شعورك مختلفًا تمامًا. قال الحسن البصري ﷺ: «إن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار»[٢]، وإذا كانت الرسالة من الله، أليست جديرة بالتعظيم والإجلال؟!

من مشاركات المتدبرين

١٩٠. «إني أحب أن أسمعه من غيري»[٣] هكذا قال النبي ﷺ حين سمع قراءة ابن مسعود ﷺ، وذرفت عيناه من التأثر، وهذا مفتاح من مفاتيح التدبر، فانظر مَن ترتاح له فاسمع له بتدبُّر؛ فلعلك ترزق دمعات تنجيك من النار.

من مشاركات المتدبرين

(١) أخرجه النسائي في سننه (١٠١٠) وابن ماجه في سننه (١٣٥٠).
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٣٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (٨٠٠).

١٩١. من مفاتيح التدبر: التأني في القراءة؛ فقد روى الترمذي وصححه أن أم سلمة ﵂ نعتت قراءة النبي ﷺ؛ فإذا هي قراءة مفسَّرة حرفًا حرفًا[١]، وهذا كقول أنس في صحيح البخاري: كانت قراءة النبي ﷺ مدًّا[٢]. وقال ابن أبي مليكة: «سافرت مع ابن عباس ﵄، فكان يقوم نصف الليل، فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم يبكي حتى تسمع له نشيجًا»[٣].

من مشاركات المتدبرين

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، والنسائي (١٠٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٦).

(٣) مختصر قيام الليل للمروزي (ص: ١٣١).

موانع التدبُّر

١٩٢. من موانع فهم القرآن والعيش معه: «أن يكون مصرًّا على ذنب، أو متصفًا بكِبْر، أو مبتلًى في الجملة بهوًى في الدنيا مُطاع، فإن ذلك سبب ظُلمة القلب وصدؤه... وهو أعظم حجابٍ للقلب وبه حُجِب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشد تراكُمًا كلما كانت المعاني أشد احتجابًا... فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة».

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (١ / ٢٨٤)

١٩٣. ينبغي أن لا يقصد بالقرآن توَصُّلاً إلى غرضٍ من أغراض الدنيا من مالٍ أو رياسةٍ أو وجاهةٍ أو ارتفاعٍ على أقرانه أو ثناءٍ عند الناس أو صرفِ وجوه الناس إليه أو نحو ذلك.

النووي، التبيان في آداب حامل القرآن (ص: ٣٤)

١٩٤. العناية بالتجويد مهمة، ولكن يجب ألا تكون على حساب العناية بالتدبر والفهم لكلام الله، قال ابن تيمية ﷺ: «ولا يجعل همته فيما حُجِب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها وتفخيمها وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك، فإن هذا حائلٌ للقلوب، قاطعٌ لها عن فهم مراد الرب من كلامه».

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٦ / ٥٠)

١٩٥. وأما ما أُحدِث من تكلُّفِ القراءة على ألحان الغناء فهذا يُنهى عنه عند جمهور العلماء، لأنه بدعة، ولأن ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء، ولأن ذلك يُورِث أن يبقى قلب القارئ مصروفًا

إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يُصغُون إليه لأجل الصوت الملحن كما يُصغى إلى الغناء، لا لأجل استماع القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به.

ابن تيمية، جامع المسائل (٣ / ٣٠٥)

١٩٦. مَن أكثر مِن سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقُص رغبته في سماع القرآن... ومن أدمن أخذ الحكمة والآداب من كلام فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع... ومن أدمن قصص الملوك وسِيَرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسِيَرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٥٤٣)

١٩٧. إذا أصغى القلب إلى غير حديث الله لم يبقَ فيه إصغاءٌ ولا فهمٌ لحديثه، فإذا نطق القلب بغير ذكر الله لم يبق فيه محلٌّ للنطق بذكره، وإذا امتلأ القلب بالشُّبَه والشكوك والعلوم التي لا تنفع والمفاكهات والمضاحكات جاءته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسعادته فلم تجد فيه فراغًا لها ولا قبولاً فتعدَّته وجاوزته إلى محلٍّ سواه.

ابن القيم، الفوائد (ص: ٢٩ - ٣٠) مختصر

١٩٨. من خواص الغناء أنه يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١ / ٢٤٨)

١٩٩. القرآن مملوء بالبراهين، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمُّنه له، ويظنونه في نوعٍ وفي قومٍ قد خلَوا من قبل ولم يُعقِبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٣٥١)

لطائف قرآنية عامة

٢٠٠. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مَن سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]».

سنن الترمذي (٣٣٣٣)

٢٠١. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «صاحبكم خامسُ خمسةٍ، بُشِّرَ بهم قبل أن يكونوا: إسحاق ويعقوب: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ [هود: ٧١]، ويحيي: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وعيسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ومحمد ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، فهؤلاء أخبر بهم من قبل أن يكونوا».

الثالث من مشيخة ابن حيويه الخزاز (مخطوط)

٢٠٢. قال عبد الله بن عمرو ﷺ: «الرياح ثمان: أربعٌ منها عذاب، وأربع منها رحمة، فأما العذاب منها فالقاصف والعاصف والعقيم والصرصر، وأما رياح الرحمة: فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات».

المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا (ص: ١٦٣)

٢٠٣. قال ابن عباس ﷺ: كل (رَيْب) في القرآن فهو شكٌّ إلا مكانًا واحدًا في سورة الطور: ﴿بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: ٣٠] يعني: حوادث الأمور.

إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (١ / ٩٨)

٢٠٤. قال ابن عباس ﷺ: «الدخول، والتغشي، والإفضاء، والمباشرة، والرفث، واللمس، هذا الجماع، غير أن الله حَيِيٌّ كريم يَكْنِي بما شاء عما شاء»[1].

مصنف عبد الرزاق (٦ / ٢٧٧)

٢٠٥. قال ابن عباس ﷺ: «ما رأيت قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ ما سألوه إلا عن ثلاث عشر مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن، منهن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، و ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]؛ ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم».

المعجم الكبير للطبراني (١٢٢٨٨)

٢٠٦. قال عطاء: أول ما نزل في الخمر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فقال بعض الناس: نشربها لمنافعها، وقال آخرون: لا خير في شيء فيه إثم، ثُمَّ نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فقال بعض الناس: نشربها ونجلس في بيوتنا، وقال آخرون: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، فنهاهم فانتهوا.

العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (٢ / ٨٧٢)

٢٠٧. عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠] أنه قال: «ما كان مِن ظن الآخرة فهو علم».

تفسير الطبري (٢٣ / ٢٣٢)

(١) وهذا موجود في هذه الآيات: ﴿مِن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦].

٢٠٨. قال محمد بن كعب القرظي: «كل شيء ذُكر من القنوت في القرآن فهي الطاعة».

تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢ / ٥٩)

٢٠٩. قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبتِ؛ ما لَك لا تنفذ في الأمور؟ فوَاللهِ لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور! قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرَّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جُملةً فيدفعوه وتكون فتنة.

العقد الفريد لابن عبد ربه (١ / ٣٩)

٢١٠. قال هُشيم: جاءني شعبة فقال: قد قَدِم شيخٌ يقال له: (أبو ساسان) فامضِ بنا إليه، فذهبنا إليه فقال له شعبة: حدِّثنا، فقال: حدثنا الضحاك في قول الله ﷻ: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج:٥٥]؛ قال: لا ليلة له، و﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات: ٤١]؛ قال: لا تُلَقِّح، و﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات: ٢٩]؛ قال: لا تلد، فقال له شعبة: عقَّمت علينا يا أبا ساسان!

الكامل لابن عدي (٩ / ١٩٥)

٢١١. أوصى سفيان الثوري رجلاً فقال: كن يا أخي كيِّسًا حذِرًا، فإن إبراهيم ﷺ خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم:٣٥]، وقال يوسف ﷺ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف:١٠١]، وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص:١٧] وقال شعيب ﷺ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف:٨٩]، فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم.

حلية الأولياء لأبي نعيم (٧ / ٢٥) مختصر

٢١٢. قال سفيان الثوري: «كلكم تاجر، فلينظر امرؤٌ ما تجارته؛ قال الله ﷻ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠]».

تفسير الثعلبي (٣ / ١٣١)

٢١٣. قال ابن زيد: «إن الله تبارك وتعالى لم يكلِّم مَلَكاً قَطُّ فيبدأ المَلَكُ فيكلِّمه حتى يُسبحه، فلا يجيبوه حتى يبدؤوه بالتسبيح»، ثم قرأ: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٢]، وقرأ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢ / ٤٦٨)

٢١٤. قال مُطَرِّف بن عبد الله: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فلا أرى أني أعمل كعملهم، فأعرض نفسي على هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ [المدثر: ٤٢]، فأرى القوم مكذبين، وأمرُّ بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.

حلية الأولياء لأبي نعيم (٢ / ١٩٨)

٢١٥. كان الجنيد جالسًا مع رويم والجريري وابن عطاء، فقال الجنيد: ما نجا مَن نجا إلا بصدق الملجأ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقال رويم: ما نجا مَن نجا إلا بصدق التقى؛ قال الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ [الزمر: ٦١]، وقال الجريري: ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [الرعد: ٢٠]، وقال ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤].

شعب الإيمان للبيهقي (١٠ / ١٨٠)

٢١٦. قال عامر بن عبد الله: قرأت ثلاث آيات من كتاب الله استغنيت بهن عما أنا فيه: قرأت قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، فقلت: إن أرادني بضرٍ لم يقدر أحد ينفعني، وإن أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعني، وقرأت قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، [البقرة:١٥٢] فاستغنيت بذكره عن ذكر شيء سواه، وقرأت قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود:٦]، فوَاللهِ ما اهتممت برزقي منذ قرأتها فاسترحت.

السراج المنير شرح الجامع الصغير للعزيزي (٤ / ١٤٣) مختصر

٢١٧. كان الحسين بن الفضل معروفًا بإخراج أمثال العرب والعجم من القرآن، فقيل له: هل تجد في كتاب الله «خير الأمور أوساطها»؟ قال: نعم، في أربعة مواضع:

١. ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة: ٦٨].

٢. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

٣. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٤. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء:١١٠].

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤ / ٤٨)

٢١٨. إن القرآن نزل وعده ووعيده وما كان فيه حقًّا كأنه عِيان، فجرى الكلام فيما لم يكن منه كمجراه في الكائن، ألا ترى قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [سبأ: ٥١] كأنه ماضٍ وهو منتظَرٌ؛ لصدقه في المعنى.

الفراء، معاني القرآن (٢ / ٨٢)

٢١٩. ما الحكمة من تكرار ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣] في سورة الرحمن، وتكرار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥] في سورة المرسلات؟ أما سورة الرحمن فإن الله خاطب بها الثقلين، وعَدَّد عليهم أنواع نِعَمِه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلاً من فصول النعم جدَّد إقرارهم به واقتضاءهم الشكر عليه. وفي سورة المرسلات ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها، فقدَّم الوعيد فيها، وجدَّد القول عند ذكر كل حال من أحوالها ليكون أبلغ في الإنذار، وأوكد لإقامة الحجة والإعذار.

الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ص: ٦٤) بتصرف

٢٢٠. ولما في بقاء الذِّكر من الجمال، وفي خلود الاسم من الكمال؛ قال إبراهيم ﷺ فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٧١]، فقرَّعَهم بإعراضهم عما فيه ذكرهم،

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فامتنَّ عليهم بالقرآن لما لهم فيه من بقاء الذكر، وجميل النشر.

أبو هلال العسكري، الأوائل (ص: ١٥)

٢٢١. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٦-٧]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [القارعة: ٤]، فذلك صنفان مختلفان، وإنما ذلك لأن كون ذلك في وقتين مختلفين:

أحدهما: عند البعث بالخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض، لا جهة لأحدٍ منهم يقصدها؛ نشبههم عند ذلك بالفراش، لأن الفراش لا جهة يقصدها، وإنما هي بعضها في بعض.

فلا يزال الناس كذلك حتى يسمعوا المنادي يدعوهم فيقصدونه، فتصير لهم وجهةٌ يقصدونها، فشبههم في هذا الوقت بالجراد المنتشر، وهكذا الجراد لها وجهة تقصدها وهي منتشرة.

مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١ / ٧١٨٦)

٢٢٢. ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وصف الكفار بالمسارعة في الكفر، كما وصف المؤمنين بالمسارعة في الإيمان فقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١]، وحقيقة المسارعة في ذلك أن يترقَّى الإنسان فيما يتحراه منزلةً فمنزلة، خيرًا كان أو شرًّا، فيتعوَّده فيتقوَّى به على المنزلة الثانية، لأن الشر حاصلٌ بعضه عن بعض، وحاملٌ بعضه بعضًا، وكذا الخير.

تفسير الراغب الأصفهاني (٣ / ٩٩٦)

٢٢٣. قال ابن عقيل: تسمع ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] وأنت تحدق إلى المحظورات تحديق متوسلٍ أو متأسفٍ؛ كيف لا سبيل لك إليها! وتسمع قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: ٢٢]، فتَهِش لها كأنها فيك نزلت، وتسمع بعدها: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾ [القيامة: ٢٤]، فتطمئن أنها لغيرك، ومن أين ثبت هذا الأمر؟ ومن أين جاء الطمع؟ اللهَ، اللهَ، وما هذه إلا خدعة تحول بينك وبين التقوى.

الآداب الشرعية لابن مفلح (١ / ١٥١)

٢٢٤. (سبحان الله)! هذه الكلمة استأثر الله بها؛ فبدأ بالمصدر لأنه الأصل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، ثم بالماضي لأنه أسبق الزمانين: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ [الحديد: ١، والحشر: ١، والصف: ١]، ثم بالمستقبل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة: ١، والتغابن: ١]، ثم بالأمر: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]؛ استيعابًا لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

أبو القاسم الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص: ٢٣٢) بتصرف

٢٢٥. قال ابن العربي: لم يتكرر لفظٌ في القرآن مثلما تكرر لفظ التقوى اهتمامًا بشأنها!

التحرير والتنوير لابن عاشور (١ / ٢٢٨)

٢٢٦. قاعدة: (الحظ) إذا لم يُقيد فإنما يُستعمل في الخير، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

ابن عطية، المحرر الوجيز (١ / ٥٤٤)

٢٢٧. ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [الذاريات: ٣٣] أي: لنهلكهم بهذه الحجارة. ومتى اتصلت (أرسل) بـ(على) فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب، ومتى اتصلت بـ(إلى) فهي أخف، وانظر ذلك تجده مطردًا.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٥ / ١٧٨)

٢٢٨. السياق مرشدٌ إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، فكل صفةٍ وقعت في سياق المدح كانت مدحًا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمًّا. فما كان مدحًا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمًّا واستهزاءً وتهكمًا؛ مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩] ، أي: الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم.

العز بن عبد السلام، الإمام في بيان أدلة الأحكام (ص: ١٥٩)

٢٢٩. الشريعة كلها مصالح؛ إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًّا يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحث والزجر.

العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام (١ / ١١)

٢٣٠. اندرجت المصالح كلها، دقها وجلها، قليلها وكثيرها، جليلها وخطيرها، في قوله ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الفلق: ٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠].

العز بن عبد السلام، الفوائد في اختصار المقاصد (ص: ١٣٤)

٢٣١. استقراء عالِم: «الصدقة متى أطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض».

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٦٨)

٢٣٢. ينبغي للتالي أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، ويتفهَّم ذلك، فإذا تلا قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، فليعلم عظمته ويتلمَّح قدرته في كل ما يراه، وإذا تلا: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة: ٥٨]، فليتفكَّر في نطفةٍ متشابهة الأجزاء، كيف تنقسم إلى لحم وعظم، وعرق وعصب... وإذا تلا أحوال المكذبين فليستشعر الخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر.

نجم الدين ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين (ص: ٥٣)

٢٣٣. ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات: ١٩]، وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾؛ ما وجه زيادة الصفة في سورة المعارج من قوله: ﴿مَّعْلُومٌ﴾، وسقوط ذلك في الذاريات؟ وهل كان يناسب عكس الوارد؟

» والجواب والله أعلم: أن آية المعارج قد تقدَّمها متصلاً بها قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾، والمراد بالصلاة هنا المكتوبة، وأيضاً يُقرن بها في آي الكتاب الزكاةُ المفروضة، وبها فسَّر المفسرون (الحق المعلوم) في آية المعارج، ولما قُصِدَ في آية الذاريات غيرَ هذا المقصد بدليل ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾، فذُكروا بزيادةٍ من التطوع والنفل على ما فُرِض عليهم، فناسب هذا الإطلاقُ الواردُ في إنفاقهم ليُفهِم الزيادةَ على ما فُرِض عليهم من الزكاة المقدَّرة، فناسب الإطلاق في الإنفاق بلا تقييد، حيث المراد: ما زاد على الواجب.

الغَرناطي، ملاك التأويل (٢ / ٤٥٠)

٢٣٤. الله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ في ثلاثة مواضع ليثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار، فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٣ / ١٦٠ - ١٦١) مختصر

٢٣٥. حيثُ ذَكر اللهُ سبحانه: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ [الفتح: ١١] و﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧] فالمراد به أنه قولٌ باللسان مجردٌ لا معنى تحته، فإنه باطل، والباطل لا حقيقة له، وإنما غايته وقصاراه أنه حركة لسانٍ مجردٌ عن معنى، فليس وراء حركة اللسان به شيء.

ابن تيمية، جامع المسائل (٨ / ٣٤٠)

٢٣٦. ومن ظن أن الذنوب لا تضره -لكون الله يحبه- مع إصراره عليها، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه، ولو تدبر الأحمق ما قصَّ الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم وتطهير؛ علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقامًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٨)

٢٣٧. يقرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة تارة، وبين الصلاة والصبر تارة، ولا بد من الثلاثة: الصلاة والزكاة والصبر؛ لا تقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك، في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم، لا سيما كلما قويت الفتنة والمحنة، فإن الحاجة إلى ذلك تكون أشد.

ابن تيمية، الاستقامة (٢ / ٢٦٢) بتصرف

٢٣٨. ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨] ذَكَرَ النور هنا عَقيب أمره بالتوبة، كما ذكره في سورة النور عقيب أمره بغض البصر وأمره بالتوبة، في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٨٥)

٢٣٩. من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة وأقيسته المنصوبة لذِكر المقدمة الجليَّة الواضحة المعلومة، ثم إتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قد عُلم من أول الكلام أنها هي المقصود.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٦٢)

٢٤٠. ذكر الله تعالى عن آدم ﷺ أنه لما فعل ما فعل قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، وعن إبليس أنه قال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩]، فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨ / ١٠٧)

٢٤١. الله تعالى ذكر في القرآن (الهجر الجميل) و(الصفح الجميل) و(الصبر الجميل)، وقد قيل: إن (الهجر الجميل) هو هجرٌ بلا أذى، و(الصفح الجميل) صفحٌ بلا معاتبة، و(الصبر الجميل) صبرٌ بغير شكوى إلى المخلوق.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ١٨٣)

٢٤٢. مسألة: في سورة الليل قدَّم فيها القَسَم بالليل وفي سورة الضحى قدَّم القسم بالنهار؟ جوابه: لما كان الـمُقسَم عليه في سورة الليل هو سعي الإنسان، وغالبه المعاصي قدَّم الليل الذي هو مَظِنة الظلمة، ولما كان الـمُقسَم عليه في سورة الضحى هو لُطفَه بنبيه ﷺ قدَّم الضحى لحسنه.

ابن جماعة، كشف المعاني (ص: ٣٧٦)

٢٤٣. تأمل إخباره ﷺ عن القرآن بأنه نفسه شفاء[1]، وقال عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٢٥٠)

٢٤٤. تأمل ذِكْرَ الله سبحانه لقصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشبيبة وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله في العادة، فذكر قصته مقدمةً بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب، فإن النفوس لما آنست بولدٍ من بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادةً سهُلَ عليها التصديق بولادة ولدٍ من غير أب، وكذلك ذِكْره سبحانه قبل قصة المسيح موافاةَ مريم رزقها في غير وقته وغير إبَّانه.

ابن القيم، إعلام الموقعين (٤ / ١٢٥)

٢٤٥. كل سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أولياءه، فهو السماع الذي تضمن أمورًا ثلاثة: فهمًا وإدراكًا، وتدبرًا، وإجابةً، فمن اختار هذا السماع، لم يعدم إرشادًا لحجةٍ، وتبصرةً لعبرةٍ، وفكرةً في آيةٍ، ودلالةً على رُشدٍ، وردًّا على ضلالةٍ، وإرشادًا من غيٍّ، وبصيرةً من عمى، وحياةً لقلبٍ.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٤٨١ - ٤٨٢) بتصرف

٢٤٦. كثيرًا ما يقع الخطاب في القرآن بالشرائع بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الجمعة:٩]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ففي هذا إشارة إلى أنكم إن كنتم مؤمنين، فالإيمان يقتضي منكم كذا وكذا ؛ فإنه من موجبات الإيمان وتمامه.

ابن القيم، الرسالة التبوكية (ص: ٣٩)

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٩٢] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

٢٤٧. حذارِ حذارِ من أمرين لهما عواقب سوء: أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك، فإنك تعاقب بتقليب القلب؛ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. والثاني: التهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إن تهاونت به ثبَّطك الله وأقعدك عن مراضيه؛ ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة: ٨٣].

ابن القيم، بدائع الفوائد (٣ / ١١٢٨) مختصر

٢٤٨. الغفلة مضادة للعلم، منافية له، وقد ذم سبحانه أهلها، ونهى عن الكون منهم، وعن طاعتهم والقبول منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١١٢)

٢٤٩. وأما تقديم ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ على ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ فهو أولى بالطبع، لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة تُطلب قبل الغنيمة.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١ / ٦٤)

٢٥٠. ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١، القارعة: ٧] وأما العيشة الراضية، فالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية، فإنها اللائقة بهم، فشبَّه ذلك برضاها بهم كما رضوا بها، كأنها رضيت بهم ورضوا بها، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط، فتأمله!

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٠٢)

٢٥١. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥] فلا أحسن من تكرار الويل في هذه السورة، ولا أعظم موقعًا، فإنه تكرر عشر مرات، ولم يُذكَر إلا في إثر دليلٍ أو مدلولٍ عليه، عقيب ما يوجب التصديق وما يجب التصديق به، فتأمله!

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، (ص: ١٤٧) بتصرف

٢٥٢. الفقهاء المصنِّفون يُتبِعون (كتاب الصيام) بـ(كتاب الاعتكاف) اقتداءً بالقرآن العظيم، فإنه نبَّه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم، وفي ذلك إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام، كما ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٥١٩)

٢٥٣. كل حكاية وقعت في القرآن، فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها -وهو الأكثر- ردٌّ لها أو لا، فإن وقع رد فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد فذلك دليل صحة المحكي وصدقه، فإن القرآن سمي فرقانًا وهدى وبرهانًا وبيانًا وتبيانًا لكل شيء، وهو حجة الله على الخلق على الجملة والتفصيل والإطلاق والعموم، وهذا المعنى يأبى أن يُحكى فيه ما ليس بحق ثم لا يُنبّه عليه.

الشاطبي، الموافقات (٤ / ١٥٨ - ١٦٠) مختصر

٢٥٤. مَن تأمل الأدعية المذكورة في القرآن وجدها غالبًا تُفتتح باسم (الرب)، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١]، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]. ومثل هذا في القرآن كثير.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١ / ٢٧٤)

٢٥٥. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ ذكر في أول سورة الفاتحة التي هي أول المصحف: الألوهية والربوبية والملك، كما ذكره في آخر سورةٍ في المصحف: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾، فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعةً في موضعٍ واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعةً في موضعٍ واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن (ص: ١١)

٢٥٦. لفظة (الأرض) لم ترد في القرآن إلا مفردة، فإذا ذُكرت السماء (مجموعةً) جيء بها (مفردةً) في كل موضعٍ منه، ولما احتاج إلى جمعها أخرجها على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]!

مصطفى الرافعي، إعجاز القرآن (ص: ١٦٠)

٢٥٧. إذا قرأت القرآن وتدبرته على ترتيبه وجدت توحيد الله منبثًّا في آياته وسورِه، متجليًا ذلك التجلي الباهر بمعارضه وصوره، سادًّا ببراهينه على النفوس كل ثنيةٍ وكل مطلع.

ابن باديس، مجالس التذكير (ص: ٣٧٠)

٢٥٨. لا بد أن يدخل في آيات الأصول كثيرٌ من الفروع، وفي آيات الفروع كثيرٌ من الأصول، ويدخل فيها من الترغيب والترهيب والقصص شيءٌ كثير، وهذا المزج العجيب من كمال القرآن وعِظَم تأثيره، فإنه كتاب تعليمٍ يزيل الجهالات المتنوعة، وكتاب تربيةٍ يقوِّم الأخلاق والأعمال، فهو يعلِّم ويقوِّم ويهذِّب ويؤدِّب بأعلى ما يكون من الطرق.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ٨)

٢٥٩. كثيرًا ما يقرن تعالى بين خلقه وعلمه، كقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١]، لأن خلق المخلوقات من أقوى الأدلة العقليَّة على علم خالقها وحكمته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٩)

٢٦٠. في هذه الآية: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣]، مع قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥]، مع العلم بأحوال الصحابة ﷺ وشدة إنابتهم؛ دليل على أن قولهم حجة، خصوصًا الخلفاء الراشدين ﷺ.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٤)

٢٦١. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٧)

٢٦٢. القرآن المجيد ليس صورةً لنفسيَّة فرد، ولا مرآةً لعقليَّة شعب، ولا سِجلًا لتاريخ عصر، وإنما هو كتاب الإنسانية المفتوح، ومنهلها المورود، فمهما تتباعد الأقطار والعصور، ومهما تتعدد الأجناس والألوان واللغات، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات، سيجد فيه كل طالبٍ للحق سبيلًا ممهدًا، يهديه إلى الله، على بصيرة وبينة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

د. محمد دراز، الدِّين (ص: ١٧٢)

٢٦٣. ذكر الله التجارة في معرض الحطِّ من شأنها حيث شغلت عن طاعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١]، وعند الأخذ بأدب الشريعة في إيثار الواجبات الدينية، وعدم الانقطاع عنها إلى الاشتغال بالتجارة ونحوها، فإن الله ذكرها ولم يهضم من حقها شيئًا، فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (٤ / ١٧٥٣) بتصرف

٢٦٤. في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش: ٣ - ٤]، ربطٌ بين النعمة وموجَبها، كالربط بين السبب والمسبب، ففيه بيانٌ لموجب عبادة الله تعالى وحده، وحقه في ذلك على عباده جميعًا، وليس خاصًا بقريش.

وهذا الحق قرَّره في أول لفظٍ في القرآن، وأول نداءٍ في المصحف:

فالأول: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، كأنه يقول: هو سبحانه مستحق للحمد، لأنه رب العالمين، أي خالقهم ورازقهم، وراحمهم إلى آخره.

والثاني: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، ثم بيَّن الموجب بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [سورة البقرة: ٢١] ثم عدَّد عليهم نعمه بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، فهذه النعم تعادل الإطعام من جوع، والأمن من خوف، في حق قريش.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ١ - ٢].

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (٩ / ١١١)

٢٦٥. الأمل دافعٌ قوي للمُضي في الدعوة والسعي في إنجاحها، كما أن اليأس سببٌ للفشل والتأخر في الدعوة، ولهذا تجد الله سبحانه يفتح لنبيه ﷺ أبوابًا كثيرة من الأمل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩]، ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ [هود: ٤٩].

ابن عثيمين، رسالة في الدعوة إلى الله (ص: ٤٣)

٢٦٦. قال تعالى في سورة النمل: ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ ثم قال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٩١]، وقال في سورة قريش: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش:٣]؛ لأن السياق في سورة قريش لبيان عظمة البيت، بينما في «النمل» المقام مقام بيان عموم ملكه؛ لئلَّا يدعي المشركون أنَّه رب البلدة فقط.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (ص: ٣٢٢) مختصر

٢٦٧. من نظر في آيات القرآن الكريم وجد أن البيوت مضافة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن، وإنما حصلت هذه الإضافة -والله أعلم- مراعاةً لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان ولزوم للمسكن والتصاق به، لا إضافة تمليك.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة (ص: ٥٨)

٢٦٨. رغبة المسلمين اليوم في دراسة كتاب الله وفهمه والعمل به هي رغبةٌ لم تكن لهم منذ قرون عدة، حيث كان القرآن يُقرأ على الأموات دون الأحياء، ويُعتبَر تفسيره خطيئةً من الخطايا، وذنبًا من الذنوب، إذ ساد بين المسلمين القولُ بأن تفسير القرآن صوابُه خطأٌ، وخطؤه كفرٌ، فلذا القارئ يقرأ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، والناس

حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون بأعلى أصواتهم: يا سيدي يا سيدي كذا وكذا... وهكذا كان يُقرأ القرآن على أموات الأحياء وأحياء الأموات فلا يُرى له أثرٌ في الحياة.

أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (١ / ٤)

٢٦٩. ﴿ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب:٣٣]، ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٦]، هذه المواضع الأربعة التي ذُكر فيها لفظ الجاهلية مقرونًا بالظن والحكم والتبرج والحميَّة، قد أجملت وصف الجاهلية في أهم خصائصها العقدية والقانونية والـخُلقية والاجتماعية، لتشير على نحوٍ بديع وبعبارةٍ مجملة إلى أبرز خصائص المجتمع الجاهلي.

د. ناصر الماجد

٢٧٠. في القـرآن، لم يسـتعمل في أصحاب الجنة إلا (خالدين) بالجمع، ولم يستعمل فيهم (خالدًا) بالإفراد، وذلك لزيادة الأُنس مع الجمع، وأما في أصحاب النار فاستعمل المفرد والجمع.

د. فاضل السامرائي، من أسرار البيان القرآني (ص: ٨٤)

٢٧١. ربُّنا لا يذكُر المساكن في الجنة إلا ذَكَر (عدن): ﴿وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:٧٢، الصف: ١٢]، ولعلَّ من أسباب ذلك أنَّ العَدْن هو الإقامة، والإقامة تحتاج إلى مساكن.

د. فاضل السامرائي

٢٧٢. افتتح الله كتابه الكريم بالدعاء واختمه به، فالفاتحة مشتملةٌ على دعاء الله بأجلِّ المطالب وأكمل المقاصد، ألا وهو سؤال الله ﷻ الهدايةَ إلى الصراط المستقيم، وسورةُ الناس مشتملةٌ على الاستعاذة به سبحانه من شرِّ الوسواس الخنَّاس.

د. عبد الرزاق البدر، فقه الأدعية والأذكار (٢ / ٧) بتصرف

٢٧٣. يقول ريتشاد فيرلي (كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب البريطانية سابقًا): لقد دخلت إلى الدين الإسلامي بعد قراءة وتمعُّن، فأنا خريج الجيولوجيا من جامعة إكستر البريطانية، وهناك آيات قرآنية قلبت حياتي رأسًا على عقب وفتحت قلبي إلى الهداية والنور وعمق الإيمان، منها:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]، لا يمكن لأحد أن يكتشف هذه الحقائق قبل (١٤ قرنًا)! إن وراءها قدرة إلهية بلا شك، فقادني ذلك للغوص في أعماق القرآن الكريم؛ حتى اكتشفت جملة من الحقائق أنارت أمامي الطريق.

لقاء في جريدة الشرق الأوسط (العدد: ١١٤٠٠)

٢٧٤. عصا موسى كانت سببًا لإسلام السحرة، وسببًا لفلق البحر والنجاة من فرعون، وسببًا لتفجير الماء من الصخرة. وقميص يوسف كان سببًا لكشف كذب إخوة يوسف عند يعقوب، وسببًا لنجاة يوسف من افتراء امرأة العزيز، وسببًا لرد بصر يعقوب.

» اعتصم بالله تعالى وسيكفيك سبحانه من حيث لا تحتسب.

أ. د. عبد المحسن المطيري

٢٧٥. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١]، حين تقرأ كلام أولئك الجن عن القرآن يتملكك العجب! أفي جلسةٍ واحدةٍ صنع بهم القرآن كل هذا؟ مع أنهم يقينًا لم يسمعوا إلا شيئًا يسيرًا من القرآن! إنك لو تأملت لانكشف لك سر هذا: إنه استماعهم الواعي وتدبرهم لما سمعوه، وشعورهم أنهم معنيون بتلك الآيات.

أ. د. عمر المقبل

٢٧٦. تأمَّل هذه الآيات: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ﴾ [النمل: ٩٢]، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ونحوها من الآيات التي تشير إلى ضرورة الدعوة بالقرآن، وأنه أبلغ وأنفع ما توعظ به القلوب وتتأثر به، كما هو مشاهد، وهي تشير أيضًا إلى أن البلاغ والوعظ بكلام الله من أعظم ما يُطلب من الرسول ﷺ وأتباعه.

فهد العيبان

٢٧٧. كثيرًا ما تُختم الآيات بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وفي ذلك دعوة للعلم الذي يبعث على العمل، وهذا يُبيِّن أهمية العلم بفضائل الأعمال، وأنه أعظم دافع للعمل والامتثال، وهو منهج قرآني عظيم.

أ. د. محمد الربيعة

٢٧٨. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [الإسراء:١٥]، ﴿مَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت:٦]، أيُّ شيء أبلغ من هذا الحشد من الآيات في تربية القرآن لأهله ليعتنوا بتربية نفوسهم، وتعبيدها لرب العالمين؟

أ. د. عبد العزيز العويد

٢٧٩. من لطائف اسم الربوبية (رب): أنه يظهر في بداية الوحي لمحمد ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، ولموسى عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [سورة طه: ١٢].

د. مساعد الطيار

٢٨٠. تأمَّل في استسقاء موسى لقومه، ودعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن والرزق، وعلاج عيسى للأكمه والأبرص؛ ألا يدلك هذا أن على الدعاة وطلبة العلم أن يحرصوا على إصلاح دنيا الناس مع حرصهم على دينهم؟ ففيها معاشهم وقوام عبادتهم، وهذا داعٍ إلى خلطتهم أيضًا.

د. محمد السيد

٢٨١. قصة مؤمن آلِ فرعون وامرأة فرعون (آسية) فيها رسالة للرجال والنساء أنه يمكن أن نكون إيجابيين فاعلين حتى في أكثر البيئات طغيانًا، فلنكُف عن كثرة التشكي، ولنُقبِل على العمل.

د. محمد السيد

٢٨٢. مَن تدبَّر القرآن تبيَّن له أن الرب العظيم يُذكِّر عباده كثيرًا بنعمة الخلق والإيجاد، وإن تَذَكُّر هذه النعمة يثمر ثمراتٍ جليلة، منها: استحقاق الخالق ﷻ للعبادة بجميع أنواعها، والإيمان بالبعث والنشأة الآخرة، وإثبات حكمة الله وعلمه في شرعه وقدَره، ولزوم التواضع وترك

الكبر، ولعل هذا من أسرار بدء الوحي بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ١ - ٢].

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

٢٨٣. من أوجه التعظيم اللطيفة في القرآن تعظيمُ الله ﷻ بعضَ مخلوقاته بنسبتها إليه نسبةَ تشريفٍ وتعظيم، كبيت الله، وناقة الله، وروح الله؛ أرأيت كيف كانت إضافة تلك المخلوقات إلى الاسم الشريف تعظيمًا لها! فكيف بالاسم نفسه، وكيف بالمسمى؟!

إبراهيم الأزرق

٢٨٤. تأملتُ عدة مواضع قرآنية تتناول الحديث عن الغيث وإحيائه للأرض الميتة، فرأيتها مصاحبةً لآيات تتحدث عن القرآن؛ كأنما هي إشارة إلى أن القرآن غيث القلوب!

سليمان العبودي

٢٨٥. إن من أعظم المهام التي تتولاها المرأة: الأمومة، وقد رعى القرآن حقَّ هذه القائدة الأم؛ فكرر ذكرها في سُوَرِه المكية والمدنية، وتدبر جيدًا حديثه عن حملها ورضاعها ووهنها وشفقتها، والأمر ببرها ورعايتها، وتأمل كيف جسَّد القرآنُ البرَّ الحقيقي بها، من غير ربطٍ لذلك بيوم في العام، فالأم في نفوس أهل القرآن ملء السمع والبصر.

أ. د. ابتسام الجابري

٢٨٦. كم بين قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء: ٣]، وقوله: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر: ٢]؟ إنها سنوات قليلةٌ لا تساوي شيئًا في أعمار الأجيال!

من مشاركات المتدبرين

٢٨٧. تجد اقترانًا لذكر آيات الجهاد مع آيات الحج، تكرر هذا في سورة البقرة والتوبة والحج، ولعل من مناسبة ذلك: أن الحج نوع جهاد، بل هو جهاد كل ضعيف وامرأة.

من مشاركات المتدبرين

درر اللطائف

سورة الفاتحة

٢٨٨. يؤخذ من سورة الفاتحة إيجاز المقدمة مع بلاغتها؛ لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود، وهذا سنة للخطباء ألا يطيلوا المقدمة فيُنسَبوا إلى العِيِّ؛ فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ١٥٣)

٢٨٩. من الهدايات العظيمة المباركة المستفادة من سورة الفاتحة أنَّ فيها بيانًا لمكانة الدعاء وأهميته، وشدَّة حاجة المسلم إليه في كل وقتٍ وحين.

عبد الرزاق البدر، من هدايات سورة الفاتحة (ص: ٨٣)

٢٩٠. مبنى الفاتحة على العبودية؛ فإن العبودية إما محبة، أو رجاء، أو خوف، و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ محبة، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ رجاء، و ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ خوف، وهذه هي أصول العبادة، فرحم الله عبدًا استشعرها وأثَّرت في قلبه وحياته.

من مشاركات المتدبرين

٢٩١. كثيرًا ما يستعجل الإمام أو يغفل المأموم عن تدبُّر سورة الفاتحة، خاصة مع تكررها في مثل التراويح، طلبًا لتدبُّر ما بعدها من تلاوة، وربما لتدبُّر قنوت، مع أنَّ الفاتحة أولى السور بالتدبُّر، لأنها أعظم سورة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧]، والفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم.

باسل الرشود

٢٩٢. من أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قال: مجَّدني عبدي -وقال مرة: فوَّض إلي عبدي- فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[1]. فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصفٌ لله، وهو أولها إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ونصفٌ للعبد، دعاءً يدعو به لنفسه، وتأمل أن الذي علَّمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضَمِن إجابةَ هذا الدعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب؛ تبيَّن له ما أضاع أكثر الناس.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ٨)

٢٩٣. إذا قرأ المسلم سورةَ الفاتحة سائلاً الله الهدايةَ إلى صراطه المستقيم، وأن يجنِّبه سُبل المغضوب عليهم وسُبل الضالين، وكرَّره كما شُرع له في يومه مرات وكرات، فإن ذلك يعالج بإذن الله ﷻ فسادَ قلبه، لأنه لا يزال يشعر بافتقاره إلى صلاح النية والعلم، واحتياجه الشديد إلى الاستقامة.

عبد الرزاق البدر، من هدايات سورة الفاتحة (ص: ١٤)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

٢٩٤. (الله) هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، و(الرب) هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة، فالاسم الأول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه، وما خُلق له، وما فيه صلاحه وكماله، وهو عبادة الله، والاسم الثاني يتضمن خلق العبد ومبتداه، وهو أنه تعالى يَرُبُّهُ ويتولاه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ١٢) مختصر

(١) رواه مسلم (٣٩٥).

٢٩٥. كُلُّ حَمْدٍ لأحدٍ من العالَـمين فرَبُّه أولى به منه. إن الذي خلق لسانَ الحامد وفِعل المحمود ليستحق الحمد كله.

باسل الرشود

٢٩٦. وصف الله تعالى نفسَه بعد قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ترهيب؛ قرنه بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ لما تضمنه من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٣٩)

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

٢٩٧. تقديم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحقُّ بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (١ / ١١) بتصرف

٢٩٨. قال أهل العلم: هذان الاسمان يفتحان -لمن عقل- أوسع أبواب المحبَّة لله، والرجاء فيه، وتنويع الاسمين -مع أنَّ المصدر واحد وهو الرحمة- دليل سعتها، وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي»[1].

صالح آل الشيخ

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

٢٩٩. أضاف ملكه ليوم الدين مع أنه المالك المطلق في الدنيا والآخرة، فإنه يوم القيامة الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرها وشرها، ويُرتِّب عليها جزاءها، وتشاهد الخليقة من آثار ملكه وعظمته وسعته، وخضوع الخلائق كلها لعظمته وكبريائه، واستواء الخلق في ذلك اليوم على اختلاف طبقاتهم في نفوذ أحكامه عليهم= ما يعرفون به كمال ملكه وعظمة سلطانه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ١١)

٣٠٠. آية المجد في سورة الفاتحة هي: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ إذ يقول الله تعالى حينما يتلوها العبد: «مجَّدني عبدي»، أي: عظَّمني، ومن عظَّم الله فإنه لا يجترئ على محارمه.

أ.د. إبراهيم الدوسري

٣٠١. تأمَّل كيف تضمَّنت هذه الآية:

إثبات المعاد.

جزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيِّئها.

تفرُّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق.

كون حكمه تعالى بالعدل.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٣١)

٣٠٢. إنما قال: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ولم يقل: مالك الدين؛ لتعريفنا بأن للدين يومًا ممتازًا عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يلقى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١ / ٤٦)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

٣٠٣. كل عمل لا يعين الله العبد عليه فإنه لا يكون ولا يقع، فما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا يدوم ولا ينفع، [يعني أن الذي لا يكون بعون الله لا يحصل، والذي لا يكون لوجه الله لا ينفع]، فلذلك أمر العبد أن يقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ في كل صلاة.

مختصر الفتاوى المصرية عن ابن تيمية للبعلي (ص: ١٨٢)

٣٠٤. ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك، فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ٦٥٢)

٣٠٥. فإذا عُلِم أن العبد لا بد له في كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه هو مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانته وعبادته= تبيَّن أن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ كلامٌ جامع محيط أولاً وآخراً، لا يخرج عنه شيء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١ / ٣٦)

٣٠٦. كثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعُجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمُرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمُعجَب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ خرج عن الإعجاب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٧٧)

٣٠٧. هاتان الكلمتان مُقْتَسَمُ السورة، فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مع ما قبله لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ مع ما بعده للعبد، وله ما سأل. ولهذا قال مَن قال مِن السلف: نصفها ثناء ونصفها مسألة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٨)

٣٠٨. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تحقيقٌ لكلمة (لا إله إلا الله)، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ تحقيقٌ لكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله).

عبد الرزاق البدر، من هدايات سورة الفاتحة (ص: ٢١)

٣٠٩. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى (لا إله إلا الله)، لأن معناها مركَّبٌ من أمرين: نفيٌ وإثبات، فالنفي: خلعُ جميعِ المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفرادُ رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع، وقد أشار إلى النفي من (لا إله إلا الله) بتقديم المعمول الذي هو (إياك)، وأشار إلى الإثبات منها بقوله: (نعبد).

الشنقيطي، أضواء البيان (١ / ٧)

٣١٠. هذا كما يقول العبد للملِك الـمُعظَّم شأنُه: نحن عبِيدُك ومماليكك، وتحت طاعتك، ولا نخالِف أمْرَك، فيكونُ هذا أحسنَ وأعظم موقِعًا عند الملك مِن أن يقول: أنا عبدك ومملوكك.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ / ٣٩)

٣١١. كل نقض لصفاء الإخلاص؛ إنما هو نقض لعهد الله، وخيانة له جل علاه، كيف لا؟ وها أنت ذا تقطعه شهادة على نفسك صباح مساء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ثم تنصرف خلفها إلى سواه!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (ص: ١٣٨)

٣١٢. قال ابن تيمية رحمه الله: «تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته تعالى، ثم رأيته في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾».

مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٧٣)

٣١٣. الاستعانة فرع عن العبادة، ولكن لأهميتها أُفردت لذاتها؛ فكانت مسلكًا خاصًّا إلى توحيد الله وإفراده رغبًا ورهبًا، فلا استقامة على العبادة ابتداءً إلا بالاستعانة بالله، ولا ثبات على العبادة انتهاءً إلا بالله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (ص: ١٣٥)

٣١٤. يقول مُزاحِم بن زُفَر ﷺ: «صلَّى بنا سفيان الثوري ﷺ المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فبكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾».

حلية الأولياء لأبي نعيم (٧ / ١٧)

٣١٥. قال محمد بن عوف الحمصي: «رأيت أحمد بن أبي الحواري ﷺ قام يصلي العشاء، فاستفتح بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فطفت الحائط كله ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها، ثم نمت، ومررت في السحر وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح».

سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٨٧)

٣١٦. صليت خلف الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷺ كثيراً، فما أذكر أنه استقامت له قراءة الفاتحة بدون بكاء، خصوصًا عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

أ. د. عبد العزيز العويد

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

٣١٧. لمَّا تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يُعقَّب بالسؤال، كما قال: «فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»[1]، وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسؤوله، ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾، لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ١٣٦)

(١) رواه مسلم (٣٩٥).

٣١٨. أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾؛ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته، وترك معصيته، فلم يصبه شيء، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٢٠)

٣١٩. العبد مضطرٌّ دائمًا إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطرٌّ إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فاته فهو إما من المغضوب عليهم وإما من الضالين، وهذا الهدى لا يحصل إلا بهدى الله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٧)

٣٢٠. دعاء الهدى هو الغاية التي تنتهي إليها سورة الفاتحة، فإذا كانت آية: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ هي خلاصتها وروحها، فإن دعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هو ثمرة تلك الخلاصة.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (ص: ١٤٥)

٣٢١. إن سورة الفاتحة تُعلِّمنا أن الاستقامة على الدين لا تتم إلا بأمرين متلازمين:

» العمل بالطاعات

» اجتناب المعاصي والسيئات

فإن الله تعالى أمرنا بسؤال الهداية في كل ركعة، وأمرنا بالاستعاذة من طريق المغضوب عليهم والضالين.

أ. د. عمر المقبل

٣٢٢. إذا كان القارئ المؤمن مهتديًا للإيمان، فلِمَ طلب الهداية؟ الجواب: الهداية هدايات: هداية إلى الصراط، وهداية في الصراط، وهداية إلى الثبات على الصراط، وهداية إلى غاية الصراط. فهو دعاء بالهداية، والثبات عليها، واجتناب ما يضل عنها. والله أعلم.

أ. د. يوسف العليوي

٣٢٣. بين: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ و: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]: قصَّةُ حالِ المؤمن مع الهداية في الدارين، ففي الدنيا بحث، وفي الآخرة حمدٌ!

من مشاركات المتدبرين

٣٢٤. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ إنك هنا تدعو لنفسك ولغيرك، ودعاءُ المسلم لإخوانه المسلمين في ظهر الغيب مستجاب.

عبد الرزاق البدر، من هدايات سورة الفاتحة (ص: ٩٢)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

٣٢٥. في هذه الآية دليلٌ واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم وتوفيقه إياهم لها.

الطبري، جامع البيان (١ / ١٧٨)

٣٢٦. قد يسأل بعضنا عن إضافة الصراط هنا إلى المنعَم عليه، ولم يكتف بقوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾؟ قال ابن القيم في الجواب عن ذلك: لما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه، مريدًا لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق؛ نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء:٦٩]، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرًا، وإن كانوا الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين».

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٤٥ - ٤٦)

٣٢٧. وقد يسأل بعضنا عن وجه إضافة النعمة إليه ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾، وحذف فاعل الغضب ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ لم يقل: (غضبتَ)؟

» والجواب عن ذلك والله تعالى أعلم: يمكن أن يكون باعتبار أن النعمة هي الخير والفضل، كما أن الغضب من باب الانتقام والعدل، ومعلوم أن الرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما، وهذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ، فيُذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يُبنى الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة، حُذف الفاعل وبُني الفعل معها للمفعول، أدباً في الخطاب، وإضافةً إلى الله أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية، فإنه ذكر النعمة وأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حَذف الفاعل وبَنى الفعل للمفعول، فقال: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال في الإحسان، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٣٥) وبدائع الفوائد (٢ / ١٨) بتصرف

٣٢٨. تأمل ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وُكل إلى نفسه.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ١٩)

٣٢٩. كثيرٌ من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود (مغضوب عليهم) وأن النصارى (ضالون)، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يُقِرُّ أن ربه فارضٌ عليه أن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله! كيف يُعلِّمه الله ويختار له ويفرض عليه أن يدعو به دائمًا مع ظنه أنه لا حذر عليه منه؟!

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ١٨)

٣٣٠. قدَّم المغضوب عليهم على الضالين، لأن معنى المغضوب عليهم كالضد لمعنى الـمُنعَم عليهم، فكان جديرًا بأن يوضع في مقابلته قبل (الضالين).

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ١٢)

٣٣١. ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ دالٌّ على أن المسلم غير المتحقق بصراط أهل اليقين، وغير المتأسي بهديهم، لا يأمن على نفسه أن تزيغ به الشهوات والأهواء؛ فيتردى في

جحيم العذاب؛ بما يقع عليه من غضب الله، أو يضيع في متاهات الضلال؛ بما يعبد من هواه! تمامًا كما وقع لليهود من قبل، وكما وقع للنصارى بعدهم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (ص: ١٤٤)

٣٣٢. من أعظم ما يُذكَّر به الذين يتساهلون بالتشبه بالكفار: تدبر سورة الفاتحة، فإنها تقتلع أصول التشبه من جذوره، لكن المؤسف أن يسأل المصلي ربه -في كل ركعة- أن يجنبه صراط المغضوب عليهم والضالين، ثم يتشبه بهم! إنه ليعز على الإنسان أن يَصعُب على هؤلاء التشبه بالنبي ﷺ وصحابته، ويسهل عليهم التشبه بأعداء الله!

أ. د. عمر المقبل

سورة البقرة

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

٣٣٣. بيان علوِّ القرآن لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾، فالإشارة بالبُعد تفيد علو مرتبته، وإذا كان القرآن عالي المكانة والمنزلة، فلا بد أن يعود ذلك على المتمسك به بالعلو والرفعة.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ٢٨)

٣٣٤. ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ هذا الكتاب العظيم هو الوحيد الَّذي تقرؤه وأنت في غاية اليقين بصِدق كلِّ ما فيه.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

٣٣٥. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ إنما يهتدي من يقبل الاهتداء، وهم المتقون لا كل أحد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٨٨)

٣٣٦. كل من سمع القرآن من مسلمٍ وكافر عَلِمَ بالضرورة أنه ضمِنَ الهدى والفلاحَ لمن اتبعه دون من خالفه.

ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٣٧٤)

٣٣٧. الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ! ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية، فكلما اتَّقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى.

ابن القيم، الفوائد (ص: ١٣٠)

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

٣٣٨. عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ذكروا أصحاب محمد ﷺ وإيمانَهم عند عبد الله بن مسعود، فقال: «إن أمر محمد كان بيِّنًا لِمَن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن مؤمنٌ أفضل من إيمانٍ بغيب»، ثم قرأ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٣٦)

٣٣٩. قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾: «أنفِقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عَوارٍ وودائعُ عندك يا بن آدم، أوشكتَ أن تفارقها».

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٣٨)

﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

٣٤٠. إيراد الضمير ﴿هُمْ﴾ قبل قوله: ﴿يُوقِنُونَ ۝٤﴾ تعريض بغيرهم ممن كان اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابقٍ للحقيقة، أو غير بالغٍ مرتبة اليقين.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٢٠)

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

٣٤١. واستعمل في هذا حرف الاستعلاء (على)، لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالمًا موقنًا بالحق، فيكون العلم والإيمان صبغةً له ينصبغ بها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٦٣)

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

٣٤٢. الحكمة في الإخبار بعدم إيمان هذا الصنف من الكفار تسليةُ النبي ﷺ حتى لا يكون في صدره حرج من تمردهم وعدم إيمانهم بعد أن قام بواجب دعوتهم، وفي هذا تذكرةٌ لكل

داعٍ مصلح بأن لا يحترق قلبه أسفًا على قوم دعاهم إلى سبيل من الحق، وبذل جهده في دعم دعوته بالحجة، فنأَوْا بجانبهم وانحطوا في أهوائهم.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٢٣)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

٣٤٣. قال محمد بن سيرين: «لم يكن عندهم أخوف من هذه الآية».

الدر المنثور للسيوطي (١ / ٧٤)

٣٤٤. كرَّر حرف الجر (الباء) مع العطف، وهذا لا يكون إلا للتأكيد، وهذه الآية حكايةُ كلام المنافقين، وهم أكَّدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة؛ فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

الكرماني، أسرار التكرار في القرآن (ص: ٦٧)

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

٣٤٥. نفى عنهم الشعور، وهو مبادئ الإدراك، فبنفي مبادئ الإدراك ينتفي كل الإدراك من باب أحرى.

تفسير ابن عرفة (١ / ٥٢)

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

٣٤٦. قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: «المريض يجد طعم الشيء على خلاف ما هو عليه، فيرى الحامض حلوًا، والحلو مرًّا، وكذلك هؤلاء المنافقون يرون الحقَّ باطلاً، والباطل حقًّا».

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ١٥٢)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

٣٤٧. قال أبو العالية في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: «يعني: لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك معصية الله، لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة».

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٤٤)

٣٤٨. ليس كل من ادَّعى شيئًا يُصدَّق في دعواه، لأن المنافقين قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾، فقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾، وليس كل ما زينته النفس يكون حسنًا؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨].

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ٤٨)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

٣٤٩. من مظاهر التكبر العقلي: عدم الرضا بما يرضى به بسطاء الناس: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾، ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء:١١١]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧]، ثم تبدأ صورة أشد من هذه حين يجعل المتكبر انقياده للأمر دليلاً على أنه صحيح، وعدم انقياده للأمر دليلاً على أنه خاطئ! ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف:١١]!

ناصر المدلج

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

٣٥٠. الإنسان إنما خُلق لاكتساب السعادة الأبدية، ورأسُ ماله العمر؛ هل رأيت تاجرًا يضيِّع رأس ماله؟! فإذن بماذا يربح إذا ضيَّعه؟ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

الطيبي، شرح مشكاة المصابيح (٤ / ١٣٧٠)

٣٥١. إذا كان من بذل ديناراً في مقابلة درهم خاسراً، فكيف من بذل جوهرةً وأخذ عنها درهما؟! فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن عاليها؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤)

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

٣٥٢. قال أبو العالية: «إنما ضوء النار ما أوقدتها، فإذا خمدت ذهب نورها، وكذلك المنافق؛ كلما تكلم بكلمة الإخلاص بـ (لا إله إلا الله) أضاء له، فإذا شك وقع في الظلمة».

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٥٠)

٣٥٣. تأمل في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ كيف قال: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ فجعله واحداً، ولما ذكر ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾ جمعها، لأن الحق واحد -وهو الصراط المستقيم- بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة؛ ولهذا يفرد الله الحق ويجمع الباطل كقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢ / ٦٦) بتصرف

٣٥٤. قال: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: (بنارهم)؛ لأن النار فيها الإحراق، وكذلك حال المنافقين! ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم.

ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٥٤)

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

٣٥٥. لم يقل: (صمٌّ وبُكمٌ وعُميٌ) لـمَا عُرف من استعمالات البُلغاء أن تجريد أمثال هذه الأوصاف من حرف العطف يفيد تأكيدها، حيث إن المتكلم قد قصد إلى تقرير كل صفة منها على حدة.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٣٧)

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

٣٥٦. في قوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ جمع الظلمات، وأفرد الرعد والبرق! إن المقتضي للرعد والبرق واحد، وهو السحاب، والمقتضي للظلمة متعدد، وهو الليل والسحاب والمطر، فجمع لذلك.

ابن جماعة، كشف المعاني (ص: ٩٠)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

٣٥٧. في ذكره تعالى باسم الرب وإضافته إلى المخاطبين تقويةٌ لداعية إقبالهم على عبادته، فإن الإنسان إذا اتجه بفكره إلى معنى كون الله مالكًا أو مُربيًا له، وتذكَّر ما يحفُّه به من رفق، وما يجود به عليه من إنعام؛ لم يلبث أن يخصّه بأقصى ما يستطيع من خضوع وتعظيم.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ ٤٣)

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

٣٥٨. ارتكاب الباطل من الجاهل قبيح، وهو من العالم ببطلانه أشد قبحًا، وأدعى إلى أن يُقابَل بأغلظ الإنكار.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ ٤٥)

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

٣٥٩. ذَكَر الله سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته، وهي مقام التحدي ومقام الإسراء ومقام الدعوة، فقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾، وقال في مقام الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، وقال في مقام الدعوة:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]... فأشرف صفات العبد صفة العبودية، وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية.

ابن القيم، روضة المحبين (ص: ٥٣)

٣٦٠. في ذكره صلوات الله عليه باسم العبودية تذكيرٌ لأمته بهذا المعنى، حتى لا يغلوا في تعظيمه إلى أن يدَّعوا إلهيته، كما غلت بعض الفرق في تعظيم أنبيائهم أو زعمائهم فادعَوْا إلهيتهم.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٤٦)

٣٦١. وأمْرُهم بدعوة الأصنام وهي جماد، وتسميتُها (شهداء) مع إضافتها لهم وهي لا تعقل ولا تنطق؛ واردان على الطريقة المعروفة بين البلغاء بطريقة التهكُّم، وهي أسلوب لطيف يثير في نفوس المخاطبين من الألم ما قد يكون سببًا لتنبههم لجهلهم وانصرافهم عن ضلالهم.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٤٧)

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

٣٦٢. من أشد أنواع العقوبات أن تكون نفس الإنسان وجسده مصدراً لعقوبته، وهذا مما توعَّد الله به أهل النار زيادةً في إيلامهم: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

أ. د. عبد العزيز العويد

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

٣٦٣. ما أجمل وألَذَّ للإنسان إذا رأى هذه الفاكهة يراها وكأنها شيء واحد، فإذا ذاقها وإذا الطعم يختلف اختلافًا عظيمًا! تجده يجد في نفسه حركةً لهذه الفاكهة، ولذةً، وتعجبًا.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ٩٢)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

٣٦٤. المثل المضروب يجعله الله سببَ هدايةٍ لقومٍ فهموه، وسببَ ضلالٍ لقومٍ لم يفهموا حكمته، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾.

الشنقيطي، أضواء البيان (٢ / ٢٤٦)

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾

٣٦٥. قال قتادة: «إياكم ونقض هذا الميثاق، فإن الله قد كَرِه نقضه وأوعد فيه، وقدَّم فيه في آي القرآن حُجَّةً وموعظة ونصيحة، وإنَّا لا نعلمُ اللهَ -جلَّ ذِكْرُه- أوعد في ذنبٍ ما أوعد في نقض الميثاق، فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليفِ به لله».

تفسير الطبري (١ / ٤٣٩)

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾

٣٦٦. مع أن سفك الدماء نوع من الفساد في الأرض، إلا أنه أُفرِد بالذكر تخصيصًا لفداحة جُرمه وشناعة ذنبه!

د.فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣ / ١١٤)

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾

٣٦٧. قال: ﴿قُلۡنَا﴾، ولم يقل: (قلت)، لأن الجبار العظيم يُخبِر عن نفسه بفعل الجماعة تفخيمًا وإشادةً بذكره.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١ / ٢٩١)

٣٦٨. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ قال ابن عباس ﷺ: «إذا كانت خطيئة الرجل في كِبْرٍ فلا تَرْجُه، وإذا كانت خطيئته في معصية فارْجُه، فإن خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كِبْر».

تفسير الطبري (١٥ ٢٨٨)

٣٦٩. من لطائف اللغة العربية: أن مادة الاتصاف بالكِبْر لم تجئ منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التفعُّل)؛ إشارةً إلى أن صاحب صفة الكِبْر لا يكون إلا متطلبًا الكِبْر أو متكلفًا له، وما هو بكبير حقًّا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٤٢٥)

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

٣٧٠. ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، قال بعضهم: لو قال رجلٌ لغيره: (أسكنتك داري) لا تصير الدار ملكًا له، فهاهنا لم يقل الله تعالى: وهبت منك الجنة، بل قال: (أسكنتك الجنة)، وإنما لم يقل ذلك لأنه خلقه لخلافة الأرض.

الرازي، مفاتيح الغيب (٣ ٤٥١)

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

٣٧١. عن محمد بن كعب القُرَظي في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: «هي قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣]، ولو سكت الله عن هذه الكلمات ولم يخبرنا ما هي لَتَفَحَّص رجالٌ حتى يعلموا ما هي».

الدر المنثور للسيوطي (١ ١٤٤)

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاًۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

٣٧٢. لا تسأل الهدى إلا من الله عزَّ وجل، لأنه هو الذي يأتي به.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ١٣٩)

٣٧٣. قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: «ليس شيءٌ أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت، فأمَّنهم الله منه».

تفسير الطبري (١ / ٥٩١)

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾

٣٧٤. من وسائل الدعوة إلى الله: تذكير العبد بنعمة الله عليه؛ وذلك أدعى لقبوله الحق، وأقوم للحجة عليه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ١٤٤)

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾

٣٧٥. إنما قال: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ مع أنه تقدمهم إلى الكفر به كفار قريش، لأن المراد أول كافر به من أهل الكتاب، لأنهم العارفون بما يجب للأنبياء، وما يلزم من التصديق.

الشوكاني، فتح القدير (١ / ٨٨)

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢﴾

٣٧٦. المقصود من أهل الكتب والعلم تمييزُ الحق وإظهاره، فمَن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه وأُمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠) مختصر

٣٧٧. لدعاة الضلالة في إغواء الناس طريقتان: طريقة لبس الحق بالباطل، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، وطريقة جحد الحق وإخفائه، وهي المشار إليها بقوله: ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ ٨٣)

٣٧٨. الحريصون على ضبابية المصطلحات يريدون بقاء الحق ملتبسًا، يُسوِّقون لرفض الحق بمزجه بالباطل.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

٣٧٩. قال ابن جريج: «من أمر بخيرٍ فليكن أشدَّ الناس فيه مسارعة».

تفسير الطبري (١ / ٦١٤)

٣٨٠. ليس المستنكَر هو أن نأمر الناس بالبر إذا كنا لا نعمل به، وإنما المستنكَر هو أن ننسى أنفسنا من الخير الذي نُعلِّمه للآخرين!

د. محمد دراز، النبأ العظيم (ص: ٨٤)

٣٨١. النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعلَه، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجرَّدة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١)

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

٣٨٢. عن ابن عباس ﷺ أنه جاءه نَعيُ بعض أهله وهو في سفر فصلَّى ركعتين ثم قال: «فعلنا ما أمر الله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾».

المستدرك للحاكم (٢ / ٢٩٦)

٣٨٣. جَعل الصبرَ عَونًا وعُدَّة، وأمر بالاستعانة به، فمَن لا صبرَ له لا عَونَ له.

ابن القيم، عدة الصابرين (ص: ٧٣)

٣٨٤. العبد إذا وقف بين يدي ربه، يناجي ربه ويتلو كتابه تذكَّر ما عند الله من الثواب، وما لديه من العقاب، فهان في عينه كل شيء، وهانت عليه مصائب الدنيا، واستحقر لذاتها؛ رغبةً فيما عند الله، ورهبةً مما عند الله.

الشنقيطي، العذب النمير (١ / ٤٨)

٣٨٥. كان عالم القصيم في وقته الشيخ عمر بن سليم ﷺ إذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد يترك التدريس بين العشاءين ويفزع إلى صلاته من المغرب إلى العشاء.

تذكرة أولي النهى والعرفان لإبراهيم بن عبيد (٤ / ١٦٦)

٣٨٦. ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فهما أعظم عون للعبد؛ ولذلك احتفَّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، وتلك العبادات الثلاث مجتمعات هن ﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

د. عبد الله الغفيلي

٣٨٧. لا مُعين على تكاليف الحياة بعد لُطف الله كالصَّبر والصَّلاة، فهما الزَّاد الَّذي لا يَنفَد، والمَعين الذي لا يَنضُب.

د. محمد الحمد

٣٨٨. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إنما كبُرت على غير الخاشعين؛ لخلوِّ قلوبهم من محبَّة الله وتكبيره وتعظيمه، والخشوع له، وقلَّة رغبتهم فيه!

ابن القيم، الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤٠)

٣٨٩. إذا أردت أن تكون الصلاة عونًا لك على الثبات في الأمر، فأدِّها كما أُمرت بخشوع وخضوع وحضور قلب واستحضار عظمة الرب.

أ. د. بندر العبدلي

٣٩٠. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ لخشوعهم سهلت عليهم صلاتهم، فعلى الآية: تسهل الأمور على قدر خشوع القلب؛ خشوع القلب من وسائل التيسير.

د. عقيل الشمري

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

٣٩١. وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته؛ لأن من كان غير موقن بمعاد، ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب، فالصلاة عنده عناء وضلال؛ لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضر، وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة، وإقامتها عليه ثقيلة، وله فادحة.

ابن جرير، جامع البيان (١ / ٢٢)

٣٩٢. ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فهذا الذي خفَّف عليهم العبادات، وأوجب لهم التسلِّي في المصيبات، ونَفَّس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١)

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

٣٩٣. لـمَّا كان الغرق من أعسر الموتات وأعظمها شدة، جعله الله تعالى نكالاً لمن ادعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]؛ إذ على قدر الذنب يكون العقاب، ويناسب دعوى الربوبية والاعتلاء؛ انحطاط الـمُدَّعي وتغييبه في قعر الماء.

أبو حيان، البحر المحيط (١ / ٣٢٠)

٣٩٤. إغراق العدو أو إهلاكه نعمة، وكونه ينظر إلى عدوه وهو يغرق نعمة أخرى، لأنه يشفي صدره.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ١٧٩)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

٣٩٥. ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ في الآية سرٌّ لطيف، وهو أن من أبرز من العدم إلى الوجود هو الذي يستحق أن يُعبد، ويُتاب إليه من الذنوب.

الشنقيطي، العذب النمير (١ / ٩٣)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

٣٩٦. ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ لا تلازم بين عطاء الله وَجُودِه بمتاع الدنيا، وبين رضاه!

د. عبد الله السكاكر

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾

٣٩٧. بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب، فالذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئًا صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح، فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ / ٢٣١)

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

٣٩٨. إذا كان الله نكَّل بعقوبة هؤلاء سائرَ مَن بعدهم، ووعظ بها المتقين، فحقيقٌ بالمؤمن أن يحذرَ استحلالَ محارمِ الله وأن يعلم أن ذلك من أشد أسباب العقوبة.

ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (٦ ٣٠)

٣٩٩. الذين ينتفعون بالمواعظ هم المتقون، وأما غير المتقي فإنه لا ينتفع لا بالمواعظ الكونية -التي يفسرها بأنها ظواهر طبيعية- ولا بالشرعية، وربما انتفع بالمواعظ الكونية اضطراراً.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (١ ٢٣٢)

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

٤٠٠. تدل على أن من فعل سوءاً وكتمه أن الله يظهره غالبًا؛ لا يُسِرُّ الإنسان سريرة إلا ألبسه الله رداءها.

الشنقيطي، العذب النمير (١ ١٤٥)

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

٤٠١. قال أبو العالية: «عَذَرَ اللهُ الحجارةَ، ولم يعذُر القاسيةَ قلوبُهم».

تفسير ابن أبي حاتم (١ ١٤٧)

٤٠٢. الحجارة أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أُذيب في النار ذاب، بخلاف الأحجار.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٥)

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

٤٠٣. قسَّم الله مَن ذمَّه من أهل الكتاب إلى محرفين وأُميِّين حيث يقول: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨]، وفي هذا عبرة لمن ركب سَنَنهم من أمتنا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٧٠)

٤٠٤. ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ العادة في القرآن أن (الإيمان) إذا كان تصديقًا بالله جل وعلا عُدِّي بالباء، فتقول: «ويؤمنون بالله»، «آمنت بالله»، وإذا كان تصديقًا ببشرٍ عُدِّي باللام. وهذا معروف من استقراء القرآن.

الشنقيطي، العذب النمير (١ / ١٥٦)

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

٤٠٥. ذمَّ اللهُ الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناولٌ لمن ترك تدبُّر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه!

ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (١ / ٧٧)

٤٠٦. فمن جعل أهل القرآن كذلك، وأمرهم أن يكونوا فيه أميين، لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، فقد أمرهم بنظير ما ذم الله عليه أهل الكتاب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ / ٤١٥)

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

٤٠٧. ما الفائدة في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ والكتابة لا تكون إلا باليد؟

الجواب: فائدته تحقيق مباشرتهم ذلك التحريف بأنفسهم، وذلك زيادة في تقبيح فعلهم، فإنه يقال: كتب فلان كذا وإن لم يباشره بنفسه بل أمر غيره به من كاتبٍ له ونحو ذلك.

زين الدين الرازي، أنموذج جليل (ص: ٩)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

٤٠٨. ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ قال قتادة: «نفسُك يا ابن آدم: أهلُ مِلَّتك».

تفسير الطبري (٢ / ٢٠٢)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

٤٠٩. لما أراد الله إكرام نبيِّه ﷺ بالشهادة ظهر تأثير ذلك الأثر الكامن من السم الذي أصابه بخيبر من اليهود ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وظهر سِرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾؛ فجاء بلفظ: ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ بالماضي الذي قد وقع وتحقَّق، وجاء بلفظ: ﴿تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ بالمستقبل الذي يتوقعونه وينتظرونه.

ابن القيم، زاد المعاد (٤ / ١١٣)

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

٤١٠. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ فإن قيل: وهل هناك عذاب غير مهين؟ قيل: المهين هو المورِث صاحبه ذلَّةً وهوانًا، ويخلد فيه صاحبه لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبدًا، وهو

المختص بالكفار، وأما الذي هو غير مهين، فهو ما كان تمحيصًا لصاحبه، كأهل الكبائر الذين يعذبون في الآخرة بقدر إجرامهم ليُمَحَّصُوا من ذنوبهم ثم يدخلون الجنة، فإن ذلك وإن كان عذابًا فهو غير مهين؛ لأن الغاية تمحيصه من آثامه ثم يورده الله مَعدِن العز والكرامة ويخلده في نعيم الجنان.

الطبري، جامع البيان (٢ / ٢٥٤) مختصر

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

٤١١. قال تعالى في حق عُبَّاد العجل: ﴿أُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾؛ أي: أُشرِبوا حُبَّه، فإذا كان المخلوق الذي لا تجوز به محبته قد يحبه القلب حبًّا يجعل ذلك شرابًا للقلب، فحب الرب تعالى أن يكون شرابًا تشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى.

ابن تيمية، جامع المسائل (١ / ١٣٢)

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

٤١٢. صَرَفَ اللهُ دواعي اليهود عن تمني الموت، مع أن ذلك مقدورٌ لهم، وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة، فهم مع حرصهم على تكذيب النبي ﷺ لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت.

ابن تيمية، الجواب الصحيح (٦ / ٧٦)

٤١٣. دل على أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: «ما يكره الموتَ إلا مريب».

ابن رجب، لطائف المعارف (ص: ٢٩٦)

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

٤١٤. كذا أخبرنا ربُّنا عن أماني بعض اليهود، فما سرُّ ذلك؟ لعلَّ من أسرار ذلك ما نبَّه عليه مجاهد ﷺ بقوله: «حَبَّبت إليهم الخطيئةُ طُولَ العمر».

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٧٩)

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

٤١٥. ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ خصَّ القلبَ بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقِّي المعارف.

القُرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٣٦)

٤١٦. ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ قال قتادة: «جعل الله هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين، لأن المؤمن إذا سمع القرآن وحفظه ووعاه انتفع به واطمأن إليه، وصدَّق بموعود الله الذي وعد فيه، وكان على يقين من ذلك».

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ١٨١)

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية

٤١٧. مَن ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره... كذلك هؤلاء اليهود لـمَّا نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٠ - ٦١)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

٤١٨. من طريقة القرآن والسنة أنه إذا سدَّ باب الحرام فإنه يفتح باب الحلال، لئلا يُوصد أمام الإنسان العمل والحركة، ولهذا نظائر، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (١ / ٣٢)

٤١٩. هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان، في ترتيب المصحف، وقد اشتمل على الآتي:

١. أصل عقدي: النهي عن التشبُّه بالكفار، وخاصة اليهود.

٢. قاعدة شرعية: قاعدة سد الذرائع.

٣. أدب شريف: انتقاء أنسب الألفاظ والعبارات.

٤. طريقة تربوية: وهي إيجاد البدائل لما ننهى عنه قدر الإمكان.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

٤٢٠. نبَّه بقوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ دون (ما يودُّ أهل الكتاب) على أنهم لم يتبعوا كتابهم، لأن كتبهم تأمرهم باتباع الحق حيثما وجدوه وبالإيمان بالنبي.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٦٥٣)

٤٢١. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ والوصف بـ (ذو) أشرف عندهم من الوصف بـ (صاحب)، لأنهم ذكروا أن (ذو) أبدًا لا تكون إلا مضافة لاسم، فمدلولها أشرف.

أبو حيان، البحر المحيط (١ / ٥٤٦)

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

٤٢٢. مَن تدبر هذه الآية يجد دليلًا واضحًا على أن حرمان التوفيق أقعدهم عن الإيمان، فإنهم لم يحسدوا غيرهم عليه إلا بعد أن تبينت لهم حقيقته؛ إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطل عندهم وفي أيديهم ما يزعمون أنه خيرٌ منه.

القصاب، النكت الدالة على البيان (١ / ١٣٢) بتصرف

٤٢٣. ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ الحسد قد يهجم على الإنسان ولا يكون في وسعه دفعه لشدة النفرة بينه وبين المحسود، وإنما يؤاخذ الإنسان على رضاه به، وإظهار ما يستدعيه من القدح في المحسود، والقصد إلى إزالة النعمة عنه.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ١٩٩)

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾

٤٢٤. شريعتنا مبرهَنة، ففي كلِّ جزئية من جزئياتها تتبعها الحجة ودليلٌ من كتاب أو سنة، لا نقول: اعتقد وأنت أعمى، لمَّا قال اليهود والنصارى كما حكى الله عنهم في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، قال الله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾.

د. عمر العيد

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

٤٢٥. هناك علاقة سببية بين الأقوال اللسانية والأحوال القلبية، فإذا تشابهت القلوب تشابهت الأقوال.

أ. د. جعفر شيخ إدريس

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

٤٢٦. استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (حيثُ أفردَ الـمِلَّة) على أن الكفر كله مِلَّة واحدة، كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ٦]، فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرِث قرينه، سواء كان من أهل دينه أم لا، لأنهم كلهم ملة واحدة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٠٣)

٤٢٧. قال: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهًا على أنَّ لكلِّ واحد منهم هوًى غيرَ هوى الآخر، ثمَّ هوى كلِّ واحدٍ منهم لا يتناهى.

تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٣٠٦)

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

٤٢٨. إذا ذُكِر أهل الكتاب في القرآن بصيغة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، فهذا لا يذكره الله إلا في معرض المدح، وإذا ذُكِروا بصيغة: ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فلا تكون إلا في معرض الذم، وإن قيل فيهم: (أوتوا الكتاب) فقد يتناول الفريقين، لكنه لا يفرد به الممدوحون فقط، وإذا جاءت (أهل الكتاب) عمت الفريقين كليهما.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١٠٤) بتصرف

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

٤٢٩. وإنما قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ ولم يقل: (وذريتي)، لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تَـجْرِ بأن يكون جميع نسلِ أحدٍ ممن يصلحون لأنْ يُقتدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيلٌ عادةً، لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٧٠٥)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

٤٣٠. ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ ذكر الطواف الذي هو أقرب العبادات بالبيت، ثم الاعتكاف الذي يكون في سائر المساجد، ثم الصلاة التي تكون في البلد كله، بل في كل بقعة.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١ / ٨١)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

٤٣١. قال في هذه السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥] وناسب هذا هناك لأنه - والله أعلم- كأنه وقع دعاءً ثانيًا بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًّا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة؛ ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم:٣٩].

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٢٥)

٤٣٢. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الدنيا إذا طُلبت ليتقوى بها على الدين، كان ذلك من أعظم أركان الدين، فإذا كان البلد آمنًا وحصل فيه الخصب تفرَّغ أهله لطاعة الله تعالى، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك.

الرازي، مفاتيح الغيب (٤ / ٤٨)

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

٤٣٣. عن وهيب بن الورد أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، ثم بكى، وقال: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مُشفق أن لا يُتقبَّل منك!

تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٣)

٤٣٤. وعن وهيب بن الورد أيضًا أنه قال: «ما رجا اللهَ عبدٌ قطُّ حتى يخاف، إنما كان الراجي خليل الرحمن، إذ يخبرك الله ﷻ عنه فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، ماذا قال؟ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾»

حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ١٤٩)

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

٤٣٥. يفرغان من بناء أعظم بيوت الله في الأرض ويسألان ربهما التوبة! ما أجمل الأدب مع الله!

د. عبد الله بلقاسم

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

٤٣٦. «مناسبة العزَّة والحكمة لبعث الرسول ظاهرة جدًّا؛ لأن ما يجيء به الرسول كله حكمة، وفيه العزة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، للمؤمنين عربًا كانوا أو عجمًا ؛ مَن كان مؤمنًا بالله عزَّ وجل، قائمًا بأمر الله، فإن له العزة، ومن لم يكن كذلك فاته من العزة بقدر ما أخلَّ به من الإيمان والعمل الصالح».

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢/ ٦٨٩)

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

٤٣٧. كان يطمئن على أعظم اهتماماته: مستقبل التوحيد في قلوبهم!

من مشاركات المتدبرين

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

٤٣٨. قال إبراهيم بن آزر: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عمَّا جرى بين عليٍّ ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجلٌ من بني هاشم، فأقبل عليه، فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦ / ٤٢)

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

٤٣٩. قال الضحاك: «علِّموا أولادكم وأهاليكم وخَدَمكم أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم، ويُصدِّقوا بما جاءوا به» ثم ذكر هذه الآية.

التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢ / ٦١٧)

٤٤٠. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وفي آل عمران: ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٨٤] جوابه: أن آل عمران تقدم فيها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١]، فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيًا، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرَّح فيه بإيتائهم ذلك.

ابن جماعة، كشف المعاني (ص: ١٠٨)

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

٤٤١. الشقاق بين أهل الكتاب والمسلمين أمرٌ قدريٌّ، فلا يمكن أن يتَّفق المسلمون وأهل الكتاب، فتبطل دعوة أهل الضلال الداعين إلى توحيد الأديان، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾، فلما لم يؤمنوا صاروا معنا في شقاق، وهذا الشقاق لا بد أن يؤدِّي إلى عداوةٍ وبغضاء، وبالتالي إلى مدافعة، وهكذا وقع.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٩٤) بتصرف

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

٤٤٢. سُمِّي الدينُ صبغةً استعارةً ومجازًا، حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢ / ١٤٤)

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

٤٤٣. لا يعترض على حكم الله إلا سفيه!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٠)

٤٤٤. ذكرَ وصفَهم ولم يُسمِّهم وحقَّرهم، ثمَّ أجاب عن شُبهتهم. هذه طريقةٌ لدفع شُبهات المُبطِلين، وقَطْع طريق شُهرتهم.

عبد الرحمن بن صالح السديس

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

٤٤٥. فإن قال قائل: ما مناسبة ذِكر وسطيَّة الأمة بعد آية القبلة؟ فالجواب: أن الله تعالى ختم آية القبلة بقوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ فكأن سائلاً يقول: وما هذه الهداية؟ ليأتي الجواب فوراً وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (١ / ١٧٢) بتصرف

٤٤٦. هذه الآية دليلٌ على شرف هذه الأمة من وجوه، منها: وصف الأمة بالعدل والخيرية، ومنها: أن المزكِّي يجب أن يكون أفضل وأعدل من المُزَكَّى، ومنها: أن المزكي لا يحتاج للتزكية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ٢١) بتصرف

٤٤٧. من فوائد الآية: أن التقدُّمَ حقيقةً إنما يكون بالإسلام، وأن الرجعية حقيقة إنما تكون بمخالفة الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله: (رجعيون) قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة، لأن الله سمَّى مخالفة الرسول ﷺ انقلابًا على العقب، ولا أبلغ من هذا الرجوع؛ أن الإنسان يرجع على عقبيه رجوعا أعمى والعياذ بالله؛ لا يدري ما وراءه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ١١٩)

٤٤٨. عن قتادة في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، قال: «قد يبتلي الله العباد بما شاء من أمره؛ الأمرَ بعد الأمرِ، ليَعلَم مَن يطيعه ممن يعصيه، وكل ذلك مقبول إذا كان في إيمانٍ بالله، وإخلاصٍ له، وتسليمٍ لقضائه».

تفسير الطبري (٢ / ٦٣٩)

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

٤٤٩. قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ دون قوله: تحبها أو تهواها فيه دلالة على أن ميل الرسول إلى الكعبة ميلٌ لقصد الخير، لا لهوى النفس، وذلك أن الكعبة أجدر بيوت الله بأن يكون قبلة، فهو أول بيتٍ وضع للناس بالتوحيد.

ابن عاشور، التحرير والتنوير(٢ / ٢٧ - ٢٨) بتصرف

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

٤٥٠. إنما قال ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ ولم يقل: (دينهم)، لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣].

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢)

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

٤٥١. إنما قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ ولم يقل: (أنفسهم)؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ما ليس في ذكر النفس؛ فإن ابن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته.

تفسير الراغب الأصفهاني (١ ٣٣٨)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

٤٥٢. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ إشارة إلى تنوُّع الناس في أعمالهم وعباداتهم، ما بين صلوات وتعليم ودعوة وإغاثة، وكل ميسر لما خلق له، لكن المهم أن يكون المرء سابقًا في المجال الذي يذهب إليه مع مراعاة أنه محاسَب، وهنا يُرَبِّينا القرآن لنكون الأوائل دائمًا.

د. محمد السيد

٤٥٣. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ الأمر بالاستباق إلى الخيرات قدرٌ زائدٌ على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها وإيقاعها على أكمل الأحوال والمبادرة إليها، ومَن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٣)

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

٤٥٤. قال أبو عثمان النَّهْدي: «إني لأعلم حين يذكُرني ربي»، قالوا: «وكيف ذاك؟ قال: إن الله يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، فإذا ذَكَرتُ اللهَ ذكرني».

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٢٠٦)

٤٥٥. قال الربيع بن أنس: «إن الله ذاكرٌ مَن ذكرَه، وزائد مَن شكرَه، ومعذِّب مَن كفرَه»!

تفسير الطبري (٢ / ٦٩٥)

٤٥٦. يقول خالد الربعي: «قف عند هذه الآية ولا تعجل، فلو استقر يقينها في قلبك، ما جفت شفتاك».

الدر المنثور للسيوطي (٢ / ٦٥)

٤٥٧. هما طريقان:

» الطريق الأول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

» الطريق الثاني: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٧]. فأي الطريقين ستختار؟!

أ.د. إبراهيم المحيسن

٤٥٨. تذكُره في الأرض فيذكُرك تعالى في عَليائه والملأ الأعلى، فأيُّ فضل للذِّكر في الدُّنيا بعد هذا الفضل؟

أ. د. محمد الربيعة

٤٥٩. ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ ذِكْرُ الله معينٌ على شكره، وشكره لا يتم إلا بذكره.

د. عبد الله الغفيلي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾

٤٦٠. لـمَّا فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ ٤٤٦)

٤٦١. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ إذا ابتليتَ بمرض، أو فقرٍ، أو ظلم، أو موت حبيب، أو ذهابِ مال، أو اتهام فاصبرْ؛ ليكون الله معك، فيأجرك وينصرك!

د. محمد العريفي

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

٤٦٢. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ﴾ إنما قلَّله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ بالإضافة إلى ما وقاهم منه؛ ليخفِّف عليهم، ويريَهم أنّ رحمته لا تفارقهم، أو بالنسبة لما يصيب به معانديهم في الآخرة، وإنما أخبرهم به قبل وقوعه؛ ليوطِّنوا عليه نفوسهم.

البيضاوي، أنوار التنزيل (١ / ١١٤)

٤٦٣. أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، فإذا وقعت المحن انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع حصلت له المصيبتان: فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون لله، مدبَّرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرَّف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، ومع أننا مملوكون لله، فإنَّا إليه راجعون يوم المعاد، فمُجازٍ كل عاملٍ بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورًا عنده، وإن جزِعنا وسخِطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر.

السعدي، تيسير الكريم (ص: ٧٥) مختصر

٤٦٤. عن مُطرِّف بن عبد الله أنه لما مات ابنه قال: «وعدني الله على مصيبتي ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها؛ قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، أفأستكين بعد هذا؟!».

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٢٤٤)

٤٦٥. إنما قال: ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ على الجمع؛ تنبيهًا على كثرتها منه، وأنها حاصلة في الدنيا توفيقًا وإرشادًا، وفي الآخرة ثوابًا ومغفرة.

تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٣٥٤)

٤٦٦. لم يعِدهم في الدُّنيا (ثَرَوات) بل (صَلَوات)، ولا (حُظْوة) بل (رحمة)، ولا (رياسة) بل (هداية).

د. عبد الله الدعجاني

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

٤٦٧. لم تزل هاجَرُ تتردد في هذه البقعة المشرَّفة (بين الصفا والمروة)، متذللةً خائفةً مضطرةً فقيرةً إلى الله ﷻ حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طُعْم وشفاء سقم، فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله ﷻ ليزيح ما هو به من النقائص والعيوب.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٧١)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

٤٦٨. لو سكت أهل الحق عن بيان الحق لاستمر المخطئون على أخطائهم، وقلَّدهم غيرهم في ذلك، وباءَ الساكتون بإثم الكتمان الذي توعدهم الله عليه في هذه الآية.

مجموع فتاوى ابن باز (٣ / ٧٢)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

٤٦٩. السرُّ في التعبير بلعن الملائكة والناس له مع أن لعن الله وحده يكفي في خزيه: الدلالةُ على أن جميع من يعلم أحواله من العوالم العلوية والسفلية يراه أهلاً للعن الله ومقْتِه، فلا يشفع له شافعٌ ولا يرحمه راحم، فهو قد استحق اللعن لدى جميع من يعقل ويعلم، ومن استحق النكال من الرب الرءوف الرّحيم، فماذا يرجو من سواه من عباده؟!

تفسير المراغي (٢ / ٣٢)

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

٤٧٠. فليتدبَّر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجَه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده، بأوجز كلام وأبلغ حجة وألطف معنى يُشرِف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه!

الطبري، جامع البيان (٢ / ٧٤٧)

٤٧١. مَن تدبَّر قول الله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾؛ عرف ما فيها من قدرة الله، ورحمته، وعزته، وحكمته؛ لو أن جميع مكائن الدنيا كلها اجتمعت، وصارت على أقوى ما يكون من نَفْث هواء لا يمكن أن تُحرِّك ساكنًا إلا فيما حولها فقط، لكن أن تصل من أقصى الشمال إلى الجنوب أو بالعكس فلا.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٢١٧)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

٤٧٢. قيل لسفيان بن عيينة ﷺ: إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حبًّا شديدًا! قال: أنسيت قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]؟!

قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص: ٨٨)

٤٧٣. من أنصف نفسه وعرف أعماله استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه، وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوبٍ له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حُسنِه شيئًا إلا فعله، فاسمع صفة المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ٣٣٣)

٤٧٤. هل جرب الراكضون خلف سراب (عيد الحب) أن يملأ أحدهم قلبه بحب الله؟

» ماذا لو جرب أن يناديه بأسمائه الحسنى كما يتقرب الحبيب إلى حبيبه بمناداته بأحب أسمائه؟

» وكيف سيكون حبه لله لو حاول أن يفكر في معاني صفات الله العلى كما يفكر المحبوب بصفات حبيبه؟

» إذن لأخذت عليه كل تفكيره، ولغمرته سعادة لا يمكن وصفها إلا بسعيه بالمزيد في إرضاء مولاه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

د. محمد السيد

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

٤٧٥. تسمية استدراج الشيطان «خطوات» فيه إشارتان:

١. الخطوة مسافةٌ يسيرة، وهكذا الشيطان يبدأ بالشيء اليسير من البدعة أو المعصية حتى تألفها النفس.

٤٧٥. قوله: ﴿خُطُوَٰتِ﴾ دليلٌ على أن الشيطان لن يقف عند أول خطوة في المعصية.

فهد العيبان

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

٤٧٦. حياة البدن من دون حياة القلب، من جنس حياة البهائم، لها سمعٌ وبصر، وهي تأكل وتشرب وتنكح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾، فشبههم بالغنم التي ينعق بها الراعي وهي لا تسمع إلا نداء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ١٠٤)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾

٤٧٧. عن الحسن البصري في قول الله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾، قال: «واللهِ ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على النار!».

تفسير الطبري (٣ / ٦٨)

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

٤٧٨. قال أبو ميسرة: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل البر».

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٥٢)

٤٧٩. قال القرطبي ﷺ: قال علماؤنا: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام، لأنها تضمَّنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته، والنَّشر، والحشر، والميزان، والصراط، والحوض،

والشفاعة، والجنة، والنار، والملائكة، والكتب المنزلة، وأنها حق من عند الله، والنبيين، وإنفاق المال، وإيصال القرابة وترك قطعهم، وتفقد اليتيم وعدم إهماله، والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل، والسؤال، وفك الرقاب، والمحافظة على الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر في الشدائد. وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب.

الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٢٤١)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

٤٨٠. الحكمة في تصدير الخطاب بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تقوية لداعية إنفاذ حكم القصاص، فكأنه يقول: إن معكم من الإيمان ما يمنعكم من التهاون بإقامة هذا الواجب، فإن المؤمن الصادق يحرص على أن يسد الأبواب في وجه كل فتنة تحل عرى الألفة والمودة بين الأفراد والجماعات، وتلقي بحبل الأمن في اضطراب واختلال.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٣١٩)

٤٨١. ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾، إطلاق وصف الأخ على المماثل في الإسلام أصلٌ جاء به القرآن، جعل به التوافق في العقيدة كالتوافق في نسب الإخوة، وحقًّا! فإن التوافق في الدين رابطة نفسانية، والتوافق في النسب رابطة جسدية، والروح أشرف من الجسد!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ١٤٢)

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

٤٨٢. قال قتادة: «جعل الله هذا القصاص حياةً، ونكالاً وعِظَةً لأهل السَّفَه والجهل، وكم مِن رجلٍ قد هَمَّ بداهيةٍ؛ لولا مخافة القصاص لوقع بها، وما أمر الله بأمرٍ قط إلا وهو أمرُ صلاحٍ في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمرٍ قط إلا وهو أمرُ فسادٍ في الدنيا والدين».

تفسير الطبري (٣ / ١٢١)

٤٨٣. ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، معناه كثير، ولفظه قليل؛ لأن معناه أنَّ الإنسان إذا علم أنه متى قتل اقتصوا منه كان ذلك داعيًا ألا يُقْدِم على القتل، فارتفع بالقصاص كثيرٌ من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياةً لهم.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣ / ١٨٥)

٤٨٤. والتنكير في ﴿حَيَوٰةٌ﴾ للتعظيم، أي: في القصاص حياةٌ لنفوسكم، فإن فيه ارتداع الناس عن قتل النفوس، فلو أُهمِل حكم القصاص لما ارتدع الناس لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث هو الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخِفًّا بالعقوبات... ولو تُرِك الأمر للأخذ بالثأر كما كان عليه في الجاهلية لأفرطوا في القتل وتسلسل الأمر، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ١٤٥)

٤٨٥. هذا من مراعاة القرآن لمصالح البشرية في دينها ودنياها، لأن القاتل إذا احترق قلبه من الغضب فأخذ الآلة ليقتل تذكَّر إيقافه للقصاص على الخشبة للقتل فارتعدت فرائصه، وخاف من ذلك الموقف الهائل، فسَلِم هو من القتل، وسَلِم من كان يريد أن يقتله.

الشنقيطي، العذب النمير (٢ / ١٧٧)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

٤٨٦. لمَّا أراد الله جل جلاله أن يكلِّفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسمائهم، وأجل صفاتهم، وأعلى مقام لهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

ابن الجوزي، بستان الواعظين (ص: ٢٢٢)

٤٨٧. قال بعض العلماء: إن الله تعالى قال في المكروهات: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، على لفظٍ لم يُسمَّ فاعله، وإن كان قد عُلِم أنه هو الكاتب، فلما جاء إلى ما يُوجِب الراحة قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ١٠١)

٤٨٨. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فيه الاهتمام بهذه العبادة، والتنويه بها، لأنها شرعها الله قبل الإسلام لمن كانوا قبل المسلمين، وشرعها للمسلمين، وذلك يقتضي اطراد صلاحها ووفرة ثوابها... وفي التشبيه بالسابقين تهوين على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم؛ فإن في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ ١٥٦)

٤٨٩. فيه بيان أن هذه الأمة كُمِّلت لها الفضائل كما كُمِّلت للأمم السابقة، ولا ريب أن الصيام لله ﷻ من أعظم الفضائل.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة (صوتي)

٤٩٠. هذا يدل على أهمية الصوم، وأنه مُصلِحٌ لكل الأمم، وأنه لا بد للأمم من صوم.

ابن عثيمين، جلسات رمضانية (١٤١٠ - ١٤١٥ هـ)، (درس رقم ٨)

٤٩١. تسلية هذه الأمة، وأنها لم تُكلَّف شيئًا لم تُكلَّف به الأمم السابقة، لأن من المعلوم أن في الصوم نوع مشقة، ولاسيما في أيام الصيف الطويلة الحارة، ولكن الله سلَّى هذه الأمة بأن الصوم قد كُتب على من قبلهم.

ابن عثيمين، جلسات رمضانية (١٤١٠ - ١٤١٥ هـ)، (درس رقم ٨)

٤٩٢. الصيام كان في الأمم السابقة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، والاعتكاف والقيام كذلك: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥]؛ وفي هذا إلهاب لعزائم هذه الأمة ألا تقصِّر عمن قبلها في تلك العبادات، فإنَّا الآخرون السابقون.

د. عبد المحسن العسكر

٤٩٣. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ للصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحِميتِها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ

المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى.

ابن القيم، زاد المعاد (٢ / ٢٨)

٤٩٤. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ فهو صومٌ ينبني عليه تقوى ينبني عليها فرقان، كما قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] ينتهي إلى جمعٍ يُشعِر به نقل الصوم من عدد الأيام إلى وحدة الشهر.

تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير (ص: ٣٤٢)

٤٩٥. قوله ﷺ (الصيام جُنَّة)[1] أي: وقاية يتقي بها العبد الذنوب في الدنيا، ويتمرن به على الخير، ووقاية من العذاب. فهذا من أعظم حكم الشارع من فوائد الصيام، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾، فكون الصوم جُنَّة وسببًا لحصول التقوى هو مجموع الحِكَم التي فُصِّلت في حكمة الصيام وفوائده.

السعدي، بهجة قلوب الأبرار (ص: ٩٥)

٤٩٦. كلما جاء الصوم جدَّد التقوى وقوَّاها واكتسبت حصانة ووقاية إلى عامٍ قادم، وهكذا كل عام في رمضان.

عطية سالم، استقبال المسلمين لرمضان (ص: ٣٢)

٤٩٧. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ (لعل) هنا للتعليل، أي: كي تتقوا، وهنا قاعدة مفيدة، وهي أن (لعل) إذا جاءت بعد الأمر فهي للتعليل، كقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

د. عبد المحسن العسكر

(١) رواه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).

٤٩٨. رمضان مدرسة التقوى: تأمل كيف ذُكرت التقوى في أول آية وآخر آية من آيات الصيام؛ ذلك أن الصيام من أعظم ما يعزز التقوى في النفوس، فلنفتش عن أثر الصيام على تقوانا لربنا في أسماعنا وأبصارنا وكلامنا لنحقق الغاية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.

أ. د. محمد الربيعة

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

٤٩٩. المراد بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام رمضان، وفيه إشارة إلى التيسير، حيث لم يوجب صوم كل السنة، وإنما أوجبه أيامًا معدودات.

تفسير السمعاني (١ / ١٧٩)

٥٠٠. إن قيل: فهلَّا أُديمَ فرض الصوم إذا كان سببًا لهذه الفضيلة العظيمة؛ قيل: إن الله ﷻ ما خلقه في الأرض وشهَّاه إلينا ليحرمناه، ولكن ليُنتفَع به بقدر ما يَحسُن، وفي وقت ما يَحسُن.

تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٣٨٦)

٥٠١. وإنما عبَّر عن رمضان بـ(أيام) وهي جمع قلَّة، ووصف بـ(معدودات) وهي جمع قلة أيضًا؛ تهوينًا لأمره على المكلفين؛ لأن الشيء القليل يُعَدُّ عدًّا؛ والكثير لا يُعَد.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ١٦١)

٥٠٢. أيام معدودة قليلة، فاصبر نفسك، واتق الله في هذه الأيام، حتى تربي نفسك وتعتاد على التقوى فيما يُستقبل من عمرك.

ابن عثيمين، جلسات رمضانية (١٤١٠ - ١٤١٥ هـ)، (درس رقم ٨)

٥٠٣. الصوم عبادة شاقة على النفوس، فشرعها الله تدريجًا: كان أول ما بُدئ: وجوب الصوم بثلاثة أيام من كل شهر، ثم فُرض رمضان أولًا على سبيل الخيار بين الصوم وبين الإطعام كما في

قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فلما أنست النفوس بالصوم وتمرنت عليه أوجب الصوم إيجابًا تامًّا بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

الشنقيطي، العذب النمير (٥ / ٢٦٧ - ٢٦٨) مختصر

٥٠٤. السر في الالتفات إلى الخطاب في قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ «جعل أهل الصوم محل حضرة الخطاب، إيذانًا لما له من الشرف على ذلك كله، ترغيبًا فيه، وحضًّا عليه».

ابن بدران، جواهر الأفكار (ص: ٥٠٠)

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

٥٠٥. إن قيل: لِـمَ أعاد ذكر الشهر، ولم يقل: (فمن شهده)؟ قيل: لأمرين: أحدهما: تعظيمًا لذكره، لأن ما يَعظُم فإنه يُعاد ذكره مع كل حكم يُـحدد له. والثاني: ليس يحل الصوم على من كان شهد الشهر الذي أنزل فيه القرآن فقط، فلذلك أعاد ذكره.

تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٣٩٣)

٥٠٦. إن قيل: إذا كان الهدى مقتضيًا للبينات، فما فائدة قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾؟ قيل: القرآن يهدي على ضربين؛ أحدهما: أن يدل على سبيل المجمل، والثاني: على سبيل التفصيل.

تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٣٩٢)

٥٠٧. وفي مدحه بإنزاله فيه مدحٌ للقرآن به، من حيث أشعر أن من أعظم المقاصد لمشروعيته تصفية الفكر لأجل فهم القرآن، ليوقف على حقيقة ما أتبع هذا به من أوصافه التي قررت ما افتتحت به السورة من أنه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] وأنه ﴿هُدًى﴾ [البقرة: ٢].

البقاعي، نظم الدرر (٣/٥٦-٥٧)

٥٠٨. فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله العظيم فيه عليكم أن يكون معظمًا محترمًا، موسمًا للعباد مفروضًا فيه الصيام.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦)

٥٠٩. ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان؛ كاملاً كان أو ناقصًا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أيامًا قصيرة باردة عن أيامٍ طويلة حارة كالعكس.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦)

٥١٠. روى قتادة حديثًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيرُ دينكم أيسره»[1]، ثم قال قتادة: «إن كتاب الله قد جاءكم بذاك وربِّ الكعبة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾».

تفسير يحيى بن سلام (١ / ٣٩٠)

٥١١. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر، فإنه ما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة، ثم ذلك القليل ما أوجبه على المريض ولا على المسافر، وكل ذلك رعاية لمعنى اليسر والسهولة.

الرازي، مفاتيح الغيب (٥ / ٢٥٨)

٥١٢. قال ابن عباس: «حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبروا الله حتى يفرغوا من عيدهم، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾».

تفسير الطبري (٣ / ٢٢٢)

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٩٣٦).

٥١٣. ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ أي: يَسَّر لكم من شرائع هذا الدين فهيَّأكم للزومها ودوام التمسك بعُراها، ولعل هذا سر الاهتمام بالصيام من الخاص والعام، حتى لا يكاد أحدٌ من المسلمين يُـخِلُّ به إلا نادرًا، والله سبحانه وتعالى الموفق.

البقاعي، نظم الدرر (٣ / ٦٦ - ٦٧)

٥١٤. تكبير الله على هدايته جاء في ثنايا آيات الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ وفي ثنايا آيات الحج: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [الحج:٣٧] فإذا أردت أن تعرف موقع هاتين الآيتين الكريمتين، فيكفي أن تتذكر أن هناك (٥ مليارات) من البشر محرومون من هذه الهداية! فلمن المنة؟ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات:١٧].

أ. د. عمر المقبل

٥١٥. ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ الهداية تشمل: هداية العلم، وهداية العمل، فمن صام رمضان وأكمله فقد منَّ الله عليه بهاتين الهدايتين، وشكرُه سبحانه على أربعة أمور: إرادة الله بنا اليسر، وعدم إرادته العسر، وإكمال العدة، والتكبير على ما هدانا، فهذه كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٣٣٦)

٥١٦. ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ فتأمل ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ إنها تقطع أوصال العُجب.. فما منك شيء أيها الصائم القائم المنفق، بل هي هداية الله وحده، ولذا ذَكَّرك ربك بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾.

من مشاركات المتدبرين

٥١٧. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ

عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ إذا كان التكليف شاقًا ناسب أن يعقب بترجي التقوى، وإذا كان تيسيرًا ورخصة ناسب أن يعقب بترجي الشكر.

أبو حيان، البحر المحيط (٢ / ٢٠٤)

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

٥١٨. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لـمَّا تضمَّن قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ طلبَ تكبيرَه وشكرَه؛ بيَّن أنه مُطَّلِعٌ على ذِكْر من ذَكَره، وشُكْر من شَكَره، يسمع نداءه ويجيب دعاءه أو رغبته، تنبيهًا على أن يكون ولا بد مسبوقًا بالثناء الجميل.

أبو حيان، البحر المحيط (٢ / ٢٠٥)

٥١٩. في ذِكْرِه تعالى هذه الآيةَ الباعثة على الدعاء متخللةً بين أحكام الصيام إرشادٌ إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فِطْر.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٠٩)

٥٢٠. لم يقل: (فقل لهم: إني قريب)... وفيه لطيفة قرآنية وهي إيهام أن الله تعالى تولَّى جوابهم عن سؤالهم بنفسه؛ إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ تنبيهًا على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ١٧٩)

٥٢١. مَن استشعر هذه ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وهو يدعوه فلن يخيب. ادعُ وأنت تستشعر قُربَه وتُوقِن بإجابته.

أ. د. عمر المقبل

٥٢٢. فأي وقت دعاه العبد وجده سميعًا قريبًا مجيبًا، ليس بينه وبينه حجاب ولا بوَّاب، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب، ويعسر الوصول إليه في أغلب الأوقات؛ قال طاوس

لعطاء: «إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة؛ أمرك أن تسأله، ووعدك بالإجابة».

مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٣ / ١٢٧)

٥٢٣. إنْ أردتَ أن تُدرِك فضل القُرب والإجابة فحقِّق بكل جوارحك الشرط: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾.

د. محمد الصاوي

٥٢٤. قال أنس بن مالك ﷺ: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ أنهم إذا دعوني استجبت لهم.

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٣١٥)

٥٢٥. حين كان الغني مجيبًا، كان أولى بأن يكون المحتاج مستجيبًا.

تراث أبي الحسن الحرالي (ص: ٣٥١)

٥٢٦. خَتْمُ الآية برجاء الرشد من أحسن الأشياء، لأنه تعالى لما أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به نبَّه على أن هذا التكليف ليس القصد منه إلا وصولك بامتثاله إلى رشادك في نفسك، لا يصل إليه تعالى منه شيء من منافعه، وإنما ذلك مختص بك.

أبو حيان، البحر المحيط (٢ / ٢١٠)

٥٢٧. من تأمل آيات الصيام وجد فيها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ فمن صامه اتقى ربه، ومن اتقاه دعاه ليَرشُد، وتلك لعَمر الله نِعم تُوجب الشكر.

أ.د. سعود الشريم

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

٥٢٨. تعديةُ (الرفث) بـ(إلى) في قوله تعالى جدُّه: ﴿لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ وأنت لا تقول: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولاً على الإفضاء الذي يراد به الملامسة.

أمالي ابن الشجري (١ ٢٢٣)

٥٢٩. تأمل قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، وما فيها من تربية الذوق والأدب في الكلام، إضافة إلى ما في اللباس من دلالة (الستر، والحماية، والجمال، والقرب).. وهل أحد الزوجين للآخر إلا كذلك؟ وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثرًا كما يشير إلى ذلك البدء بضميرها: ﴿هُنَّ﴾.

د. عويض العطوي

٥٣٠. ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: اقصدوا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرُّب إلى الله بذلك، واقصدوا أيضًا حصول الذرية وإعفاف الفرج وحصول جميع مقاصد النكاح، وابتغوا أيضًا ليلة القدر، فإياكم أن تشتغلوا بهذه اللذة وتوابعها وتضيعوا ليلة القدر، وهي مما كتبه الله لهذه الأمة، وفيها من الخير العظيم ما يُعدُّ تفويتُه من أعظم الخسران، فاللذة مُدرَكة، وليلة القدر إذا فاتت لم تُدرَك، ولم يعوِّض عنها شيء.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (١ / ٩٥)

٥٣١. ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ في تجويز المباشرة إلى الصبح، الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه، وصحة صوم المصبح جُنُبًا.

البيضاوي، أنوار التنزيل (١ / ١٢٦)

٥٣٢. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ أخذ بعض أهل العلم من هذا استحباب السُّحور، وتأخيره، وهذا الاستنباط له غور، لأنه يقول: إنما أبيح الأكل والشرب ليلة الصيام رفقًا بالـمُكلَّف، وكلما تأخر إلى قُرب طلوع الفجر كان أرفق به، فما دام نسخ التحريم من أجل الرفق بالـمُكلَّف فإنه يقتضي أن يكون عند طلوع الفجر أفضل منه قبل ذلك، لأنه أرفق.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٣٥٣)

٥٣٣. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ من سعة رحمة الله ﷻ أنه أتى بـ(ثم) بعد التبيُّن للتوسعة على العباد.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة (صوتي)

٥٣٤. ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ دلَّ على أن المسجد من شرط الاعتكاف، وإلا لم يكن لتخصيصه من سائر الأماكن مع النهي عن المباشرة في جميعه معنى.

القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٨٩)

٥٣٥. ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ وقال بعد ذلك [في آية: ٢٢٩]: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ لأن الحد الأول نهي، وهو قوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾، وما كان من الحدود نهيًا أُمِر بترك المقاربة، والحد الثاني أمر، وهو بيان عدد الطلاق، بخلاف ما كان عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق من غير عدد، وما كان أمرًا أُمِر بترك المجاوزة، وهو الاعتداء.

الكرماني، أسرار التكرار في القرآن (ص: ٨٣)

٥٣٦. ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، قال: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من قوله: (فلا تفعلوها)؛ لأنَّ القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧)

٥٣٧. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ إن العلم الصحيح سبب للتقوى؛ لأنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا بان لهم الباطل اجتنبوه، ومن علم الحق فتركه، والباطل فاتبعه، كان أعظم لجرمه وأشد لإثمه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ٩٦)

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

٥٣٨. ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ذِكْرُ تحريمِ أكل أموال الناس بالباطل، فإن تحريم هذا عامٌّ في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب، فكان إشارةً إلى أن من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنه محرمٌ بكل حال، لا يباح في وقت من الأوقات.

ابن رجب، لطائف المعارف (ص: ١٥٦)

٥٣٩. ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ والمراد من الأكل ما يعمُّ الأخذ والاستيلاء، وعبر به لأنه أهم الحوائج وبه يحصل إتلاف المال غالبًا، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، فهو كقوله تعالى: ﴿تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

الآلوسي، روح المعاني (١ / ٤٦٦)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

٥٤٠. ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ يؤخذ من عمومها اللفظي والمعنوي أن كل مطلوبٍ من المطالب المهمة ينبغي أن يُؤتى من بابه، وهو أقرب طريق ووسيلة يُتوصَّل بها إليه، وذلك يقتضي معرفة الأسباب والوسائل معرفةً تامة، ليسلك الأحسن منها والأقرب والأسهل.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ٣١٧)

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

٥٤١. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ نُبِّهُوا على أن تعهد الله لهم بالتأييد والنصر لا يسقط عنهم أخذ العُدَّة المعروفة، فلا يحسبوا

أنهم غير مأمورين ببذل الوسع لوسائل النصر، فالمسلمون إذا بذلوا وسعهم ولم يفرطوا في شيء ثم ارتبكوا في أمرٍ بعد ذلك فالله ناصرهم ومؤيدهم فيما لا قِبَل لهم بتحصيله، ولقد نصرهم الله ببدرٍ وهم أذلة، إذ هم يومئذ جملة المسلمين، وإذ لم يقصروا في شيء، فأما أقوامٌ يتلفون أموال المسلمين في شهواتهم، ويُفِيتُون الفرص وقت الأمن، فلا يستعدون لشيءٍ، ثم يطلبون بعد ذلك من الله النصر والظفر فأولئك قوم مغرورون، ولذلك يسلط الله عليهم أعداءهم بتفريطهم، ولعله يتداركهم في خلال ذلك بلطفه فيما يرجع إلى استبقاء الدين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ٢١٢)

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾

٥٤٢. ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ لم يَقُل في الصلاة وغيرها: (لله)؛ لأن الحج والعمرة مما يكثر الرياء فيهما جدًّا... فلما كانا مَظِنَّة الرياء قيل فيهما: (لله) اعتناءً بالإخلاص.

القرافي، الذخيرة (٣ / ١٧٣)

٥٤٣. في دعاء رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثًا، وللمقصرين مرة[1] دليلٌ على أن الحلق في الحج والعمرة أفضل من التقصير، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾ الآية، ولم يقل: (تقصروا).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٣٨١)

(١) أخرجه مسلم (١٣٠٣) عن أم الحصين رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة.

٥٤٤. جاء لفظ القرآن في بيان الرخصة بالأسهل فالأسهل: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، ولما أمر النبي ﷺ كعب بن عُجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل، فقال: «انسُك شاة، أو أطعم ستة مساكين، أو صم ثلاثة أيام»[1]، فكل شيء حَسَنٌ في مقامه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٣٦)

٥٤٥. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ فيه بلاغة القرآن، لقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾، فحُذف المفعول للعموم، ليشمل مَن لم يجد الهدي أو ثمنه، فاستُفيد زيادةُ المعنى مع اختصار اللفظ.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٤٠٩)

٥٤٦. بعدما ذكر الله تعالى أحكامًا كثيرة للحج قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وختم الله الآية بقوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وهو معنى عظيم يغفل عنه الكثير من الحجاج، فالحج المقصود منه تحقيق تقوى الله؛ لذلك أكد هذا المعنى بالآية التي تليها فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾.

أ. د. عبد المحسن المطيري

٥٤٧. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ تلا مُطرِّف بن عبد الله هذه الآية وقال: «لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرَّت أعينهم بشيء».

تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٣٤٥)

٥٤٨. حين يكون التيسير والتخفيف في التشريع يعظم الإثم والعقاب على الترك والتفريط، ولذلك ختم الله الآية هنا بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

أ. د. محمد الربيعة

(١) روايات الحديث فيها اختلاف في الترتيب، لكن يشهد للترتيب المذكور ما في المعجم الأوسط للطبراني (١٨١٢) أن النبي ﷺ قال له أولاً: «أهدِ هَديًا» قال: ما أجد هدياً، قال: «فأطعِم ستة مساكين» قال: ما أجد، قال: «فصُم ثلاثة أيام»، وينظر في التمهيد لابن عبد البر (٢ / ٢٣٨)، والحديث أصله عند البخاري (١٨١٦) ومسلم (١٢٠١).

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

٥٤٩. كيف قيل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، وهو شهران وبعض الثالث؟ الجواب: «أنَّ العرب لا تمتنع خاصةً في الأوقات من استعمال مثل ذلك، فتقول: له اليوم يومان منذ لم أره. وإنما تعني بذلك يومًا وبعض آخر، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وإنما يتعجل في يوم ونصف».

الطبري، جامع البيان (٣ / ٤٥٢)

٥٥٠. ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ هذه المدة أولها عيد الفطر، وآخرها عيد النحر، والحج هو موسم المسلمين وعيدهم، فكأنه جعل طرفي وقته عيدين!

ابن تيمية، شرح عمدة الفقه (٢/٣٨٢)

٥٥١. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ جَمَعَ الحجُّ ثلاثةَ أصول: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: عِفَّة. ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: تقوى. ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: أخلاق.

د. عقيل الشمري

٥٥٢. قال ابن عقيل: لو كان في الملاحاة خيرٌ لما كانت سببًا لنسيان ليلة القدر![1] ولأن الله تعالى صان الإحرام عن الجدال فقال: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٣ / ٣٨٣)

(١) عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحى فلان وفلان، فرُفِعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم» رواه البخاري في صحيحه (٤٩).

٥٥٣. لما نهى الله عباده عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾، حثهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالِمٌ به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾.

ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم (١ / ٥٤٧)

٥٥٤. الخادم متى علم أن مخدومه مُطَّلِعٌ عليه؛ كان أحرص على العمل وأكثر التذاذًا به، وأقل نفرة عنه، وكان اجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن المحظورات أشد؛ فلهذه الوجوه أتبع الله تعالى الأمر بالحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾.

الرازي، مفاتيح الغيب (٥ / ٣٢٠)

٥٥٥. في سياق آيات الحج: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ وكان المتوقع أن يقال: وما تفعلوا من شيء؛ ليتناول كل ما تقدم من الخير والشر، إلا أنه خص الخير بأنه يعلمه لفوائد، منها: إذا علمتُ منك الخير ذكرته وشهرته، وإذا علمتُ منك الشر سترته وأخفيته؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا، فكيف في العقبى؟!

الرازي، مفاتيح الغيب (٥ / ٣٢٠)

٥٥٦. ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ هذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصًا في تلك البقاع الشريفة والـحُرُمات المُنيفة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١)

٥٥٧. مجمل عـبادات الحج مِـن طوافٍ وسعيٍ ورميٍ ظاهرةٌ، لكن ثمةَ مجالٌ لأسرار العبد مع ربه: مِن نوافل وأذكـار وتلاوة، وتعـليمِ جـاهل، وتأمين خائف، وإغاثة محتاج، وهذا كله داخل تحت قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ وهو تعبير يفيد العموم الذي لا حصر له، وهو مجال للركض في الطاعات، والتسابق في الخيرات.

د. محمد السيد

٥٥٨. ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، أمر الحجاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة وهو التقوى، فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزادٍ يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزادٍ من التقوى، فجمع بين الزادين، فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١ / ٥٨)

٥٥٩. ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ وجَّه الله تعالى الأمر إلى أصحاب العقول، لأنهم هم الذين يدركون فائدة التقوى وثمرتها، أما السفهاء فلا يدركونها.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٤١٥)

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

٥٦٠. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب، إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوبًا إلى فضل الله، لا منسوبًا إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢)

٥٦١. ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جعل الله الذِّكر دون حد؛ لسهولته على العبد، ولعِظَم الأجر فيه.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ١٩٧)

٥٦٢. المتأمِّلُ في شعائر الحج يلحظُ تربيةً عجيبةً على كثرة الذكر؛ فنجد النصَّ عليه في القرآن في مواضع: عند المشعر الحرام، وفي أيام التشريق، وعند الفراغ من المناسك، وعند الذبح، والذكر على عموم نعمة التوحيد، والتوفيق لهذه المناسك؛ فلنفتِّش عن أثر هذه العبادة في مناسكنا.

أ. د. محمد العواجي

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

٥٦٣. ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ في الحجِّ كُن متواضعًا، خاشعًا لله مع عموم النَّاس، لا تتكبَّر ولا تَحتقِر مُسلمًا، كَفكِف غُلَواء النَّفس وبَطَرها تعبُّدًا لله وخضوعًا.

أ. د. عبد الرحمن الشهري

٥٦٤. ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ أُمرتَ بالاستغفار بعد طاعة، فهل يليق أن تتركه بعد معصية؟!

أحمد بن عبد الكريم الخضير

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

٥٦٥. ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، هكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن التقصير، ويذكره شكراً على التوفيق، فهذا حقيق بأن الله يجبر له ما نقص منها ويتقبلها، ويزيده نعمًا أخرى.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ١٠٤) بتصرف

٥٦٦. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾، قال عطاء: هو كقول الصبي: «أبه، أمه» أي: فكما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم، فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٠٢)

٥٦٧. وفي الأمر بالذكر عند انقضاء النسك معنى؛ وهو أنَّ سائر العبادات تنقضي ويُفرَغ منها، وذكر الله باقٍ لا ينقضي ولا يفرغ منه، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

ابن رجب، لطائف المعارف (ص: ٢٩٠)

٥٦٨. ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الناس ليسوا سواء في طاعة الله... ومَن طلب الدنيا لا يفرِّق بين هوى يُردِيه، وصالح يقيمه!

محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير (٢ / ٦٢٧)

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

٥٦٩. قال ثابت البُناني لأنس بن مالك ﷺ: إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: اللَّهُمَّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فأعاد عليه! فقال: تريدون أن أشقق لكم الأمور؟! إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار؛ فقد آتاكم الخير كله.

تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٥٩)

٥٧٠. عن الحسن البصري في قول الله تعالى: ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؛ قال: هي العلم والعبادة، وقوله: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾؛ قال: هي الجنة. علَّق ابن القيم: «وهذا من أحسن التفسير، فإن أجلَّ حسنات الدنيا: العلمُ النافع والعمل الصالح».

مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٢١)

٥٧١. ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ لأنه تعالى ذِكْرُه لا يحتاج إلى عَقْد أصابع، ولا حفظٍ بقلب، ولكنه عالمٌ بذلك كله قبل أن يعمله العبد، ومن بعد ما عمله.

الطبري، جامع البيان (١٧ / ٣٢٧)

﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾

٥٧٢. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾، من حكمة الله تعالى في توقيت المشاعر بالأشهر الهجرية المعروفة ما ذكره الشافعي ﷺ بقوله: «قد يتأخَّر الزمان ويتقدَّم، وليس تتأخر الأهلة أبدًا أكثر من يوم».

تفسير الإمام الشافعي (١ / ٣٢٣)

٥٧٣. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ تقليلٌ لعددها؛ لتأكيد الحرص على استثمارها.

أ. د. عبد المحسن المطيري

٥٧٤. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ لـمَّا ذكر الله تعالى النفر الأول والثاني، وهو تفرُّق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والآفاق بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ أي: تجتمعون يوم القيامة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٦٢)

٥٧٥. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ليست العبرة بطول الزمن الذي يبقاه الحاج في منى فقط، بل العبرة باستحضار نية التعبد؛ لذلك قال سبحانه: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، فإياك أن تقارن الأفعال بزمنها؛ فإنما هي بإخلاص النية، والتقوى فيها.

تفسير الشعراوي (٢ / ٨٦٣)

٥٧٦. الأعمال المُخيَّر فيها إنما ينتفي الإثم عنها إذا فعلها الإنسان على سبيل التقوى لله تعالى؛ دون التهاون بأوامره؛ لقوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، فمن فعل ما يُـخيَّر فيه على سبيل التقوى لله والأخذ بتيسيره فلا إثم عليه، ومن فعلها على سبيل التهاون وعدم المبالاة، فإن عليه الإثم بترك التقوى، وتهاونه بأوامر الله.

ابن عثيمين، تفسير سورة الفاتحة والبقرة (٢ ٤٤٠)

٥٧٧. بعد أن أباح الله التعجل لمن اتقاه قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله؛ فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣)

٥٧٨. جعل الأمر بالتقوى وصيةً جامعةً للراجعين من الحج؛ أن يراقبوا تقوى الله في سائر أحوالهم وأماكنهم، ولا يجعلوا تقواه خاصةً بمدة الحج، كما كانت تفعله الجاهلية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ٢٦٤)

٥٧٩. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج: ١] تأمل؛ لِمَ ختم الله ذكر الحج في سورة البقرة بيوم المحشر وابتدأ سورة الحج بذكر اليوم نفسه؟! وهل من علاقة بين عظمته وعظمة يوم القيامة؟!

د.طه الدليمي

٥٨٠. خُتمت آيات الحج في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ فتأمل كلمة: ﴿تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ ومناسبتها لزحمة الحج؛ فمن حشركم هذا الحشر باختياركم، فهو قادر سبحانه على أن يحشركم بغير اختياركم.

تفسير الشعراوي (٢ / ٨٦٣)

٥٨١. في آيات الحج الاثنتي عشرة في سورة البقرة اثنا عشر أمرًا بالتقوى وأسبابها من الذِّكْر والاستغفار ومجانبة ما يناقضها من فسوق وجدال؛ وذلك كله تأكيد على أن حج القلب قبل حج البدن.

د. عبد الله الغفيلي

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾

٥٨٢. عن محمد بن كعب القرظي، عن نوف البِكالي قال: «إني لأجد صفة ناسٍ من هذه الأمة في كتاب الله المنزل: قومٌ يجتالون الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمَرُّ من

الصبر، يلبسون للناس لباس مُسُوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب»، قال القرظي: «تدبرتها في القرآن، فإذا هم المنافقون، فوجدتها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾».

تفسير الطبري (٣ / ٥٧٥)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

٥٨٣. المبتدع: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ قال قتادة: «إذا قيل له: اتق الله، فإن هذا الذي تصنع لا يحق لك، قال: إني لأزداد بهذا عند الله قُربة».

تفسير ابن أبي زمنين (١ / ٢١٣)

٥٨٤. البلاغة التامة في حذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ليشمل كل من يقول له ذلك، فيكون ردُّه لكراهة الحق.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢ / ٤٤٨)

٥٨٥. عزة النفس والمكابرة جبلٌ عظيم يحول بين إنسانٍ قَلَّ توفيقه وبين قبول الحق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾.

د. عبد الله السكاكر

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

٥٨٦. الناس فريقان: ناجٍ وهالك، شقي وسعيد، ويشهد للبيع الرابح قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١]، ويشهد للبيع الخاسر قوله تعالى: ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

عبد الرحمن البراك، الفوائد المستنبطة من شرح الأربعين النووية (ص: ٤٥)

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

٥٨٧. حُكي أنَّ أعرابيّاً سمع قارئاً يقرأ: (﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ غفور رحيم)، ولم يكن الأعرابي من القرَّاء، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، ومرَّ بهما رجلٌ، فقال: كيف تقرأ هذه الآية، فقال الرجل: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

السيوطي، الإتقان (٣ / ٣٤٧)

٥٨٨. قد يكتفي الله بذكر أسمائه الحسنى عن التصريح بذكر أحكامها وجزائها، لينبه عباده أنهم إذا عرفوا الله بذكر الاسم العظيم عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، لم يقل (فلكم من العقوبة كذا)، بل قال: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

السعدي، القواعد الحسان (ص: ٥٦)

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

٥٨٩. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيها إثبات عظمة الله ﷻ، فـ ﴿ظُلَلٍ﴾ نكرةٌ تدل على أنها ظُلَلٌ عظيمةٌ وكثيرة، ولهذا جاء في سورة الفرقان: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، يعني تثور ثورانًا بهذا الغمام العظيم من كل جانب؛ كل هذا مقدمة لمجيء الجبار ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ / ١٥)

٥٩٠. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ لا تلجأ لغير الله، فمن أنزل حاجته بالله قُضيت، ومن أنزل حاجته بغير الله وُكل إليه.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات إلى الحديد (ص: ٣٧١)

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

٥٩١. قال السيلوكتي: إن جميع ما في الكافرين من الصفات الذميمة فإنما هو بسبب تهالكهم على الدنيا، وإعراضهم عن غيرها؛ لأنها قد زُيّنت لهم، حتى صار ذلك التزيين مركوزًا في طبيعتهم، فتدبر كلمة ﴿زُيِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

محاسن التأويل للقاسمي (٢ / ٩٤) بتصرف

٥٩٢. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال قتادة: «هُناكُم التفاضل».

تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٧٥)

٥٩٣. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ قال ابن عباس: «يعني كثيرًا بغير مقدار، لأن كلَّ ما دخل عليه الحساب فهو قليل».

تفسير الثعلبي (٥ / ٣٦٣)

٥٩٤. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ فربُّنا تعالى ذِكْره غير خائف نفادَ خزائنه، ولا انتقاص شيءٍ من ملكه بعطائه ما يعطي عباده، فيحتاج إلى حساب ما يعطي، وإحصاء ما يبقي.

الطبري، جامع البيان (٣ / ٦٢٠)

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

٥٩٥. كان أبو العالية يقول: «في هذه الآية المخرجُ من الشبهات والضلالات والفتن».

تفسير الطبري (٣ ٦٣٣)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

٥٩٦. قال الحسن البصري: «أخبر الله النبي والمؤمنين بأن من مضى قبلكم من الأنبياء والمؤمنين، كان إذا بلغ البلاء منهم هذا عجَّلت لهم نصري، فإذا ابتليتم أنتم بذلك أيضًا فأبشروا، فإن نصري قريب».

تفسير ابن أبي زمنين (١ / ٢١٦)

٥٩٧. طريق الجنَّة إنما هو الصبر على البلاء، اقرأ إن شئت: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

ابن الجوزي، زاد المسير (١ / ١٧٩)

٥٩٨. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ الله ﷻ إنما يفرِّج عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواه؛ ليمتحن قلوبَهم للتقوى، فتتقدَّس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتتعلَّق ضمائرهم بالله تعالى وحده.

تراث أبي الحسن الحرالي (ص: ٣٨٣)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

٥٩٩. ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال مجاهد: «ههنا يا ابن آدم فضَعْ كدحك وسعيك، ولا تنفع بها ذاك وذاك وتدع ذوي قرابتك وذوي رحمك».

الدر المنثور للسيوطي (١ / ٥٨٥)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

٦٠٠. ما يصيب الإنسان إن كان يسره، فهو نعمة بيِّنة. وإن كان يسوؤه، فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه، ويثاب بالصبر عليه. ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤: ٣٠٤)

٦٠١. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾، في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

ابن القيم، الفوائد (ص: ١٣٦)

٦٠٢. قال ابن عقيل: تستبطئ الإجابة من الله لأدعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفاسد في دينك ودنياك، وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع بأنه سبحانه لا يمنعك شُحًّا ولا بخلًا ولا نسيانًا... لكن إنما أخَّر رحمةً لك وحكمة ومصلحة، وقد تقدَّم إليك بذلك تَقْدِمَة؛ فقال سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢: ٢٨٠)

٦٠٣. أول مدارج الرضا بالقضاء هو إيمانك بعلم الله وجهلِك.

د. عبد الله الغفيلي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

٦٠٤. قال قتادة: «هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون».

تفسير الطبري (٣ ٦٦٩)

٦٠٥. تأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات! وقال الـمُغتَرُّون: إن المفرِّطين المضيِّعين لحقوق الله المعطِّلين لأوامره، الباغين على عباده، المتجرئين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله!

ابن القيم، الجواب الكافي (ص: ٣٩)

٦٠٦. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى أن العبد -ولو أتى من الأعمال بما أتى به- لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٨)

٦٠٧. لو قال قائل في هذه الآية العظيمة: أنا أرجو رحمة الله وأخاف عذابه. ننظر: هل هو من المتصفين بهذه الصفات؟ فإن كان كذلك فهو صادق، وإلا فهو ممن تمنى على الله الأماني؛ لأن الذي يرجو رحمة الله حقيقةً لا بد أن يسعى لها.

ابن عثيمين، التعليق على القواعد الحسان (ص: ٥٨)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

٦٠٨. ذكر المنافع بصيغة منتهى الجموع الدالة على الكثرة، ومع ذلك فإن كثرتها ليست بشيء بالنسبة لما فيهما من الإثم الكبير.

ابن عثيمين، فتاوى نور على الدرب (صوتي)

٦٠٩. قرأ الحسن البصري قول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فقال: «هي واللهِ لمن تفكَّر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء».

تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٣٩٤)

٦١٠. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ قال ابن عباس ﷺ: «ولو شاء الله لأحرجكم فضيَّق عليكم، ولكنه وسَّع ويسَّر».

تفسير الطبري (٣ / ٧٠٨)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾

٦١١. قال الحسن البصري: لو عمل المرء من الخطايا والذنوب حتى يبلغ الكفر ثم تاب فإن الله يتوب عليه ويُوجِب له محبته، وذلك لقوله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾.

الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ٤٩)

٦١٢. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ علم الله أن الندم يُوجع القلب ويُحزنه، ويلاحقه بالحسرة والأسى، فعوَّض الله النادمين بالحُب! خفِّف ألم ندمك بتذكُّر محبة ربك.

د. عبد الله بلقاسم

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٢٣﴾

٦١٣. ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آدابٌ حسنة؛ على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها، ويتكلَّفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم.

الزمخشري، الكشاف (١ / ٢٦٦)

٦١٤. من محاسن التشبيهات قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ وهذا يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة، والحرث هو الأرض تحرث للزرع، وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعًا، كما يزدرع البذر في الأرض.

ابن الأثير الكاتب، المثل السائر (١ / ٣٨٣)

٦١٥. ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ مزج المسائل العلمية بالمواعظ مما يحقق الانتفاع بالعلم.

د. محمد العريفي

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

٦١٦. قال قتادة: «لا تَعْتَلُّوا بالله أن يقول أحدكم: إنه حلف ألا يَصِل رَحِمًا، ولا يسعى في صلاح، ولا يتصدق من ماله؛ مهلاً مهلاً بارك الله فيكم! فإن هذا القرآن إنما جاء بترك أمر الشيطان، فلا تطيعوه، ولا تنفذوا له أمرًا في شيء من نذوركم ولا أيمانكم».

تفسير الطبري (٤ / ٦)

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

٦١٧. مناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون (الرحيم)، لأن هذه مغفرةٌ لذنبٍ هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢ / ٣٨٤)

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

٦١٨. ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ إنما قال سبحانه: ﴿مَرَّتَانِ﴾ ولم يقل: طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرةً بعد مرةٍ، لا طلقتان دفعةً واحدة، كذا قال جماعة من المفسرين.

الشوكاني، فتح القدير (١ / ٢٧٣)

٦١٩. ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمر ﷺ كان إذا أنكَح قال: أُنكِحك على ما قال الله: إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان.

مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٤٦٣)

٦٢٠. ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، هذه الآية في شأن النساء، وإمساكهن بالمعروف، أو تسريحهن بإحسان، ولكن لا يبعد أن يتعدَّى ذلك المعنى إلى معانٍ أخرى، فيشمل كل من يُتعامل معهم من الناس، فمن ذلك أن يعمل لديك موظف فيمكث عندك فترةً من الزمن، ثم بعد ذلك تقتضي مصلحته أن ينتقل إلى ميدانٍ آخر، فهل يعني ذلك أن تصرم حبال الود معه؟! وهل يلزم أن تُسيء إليه وتُفسِّر انتقاله بقِلَّة المروءة ونُكران الجميل؟! الجواب: لا. فأهل الكرم ينأون بأنفسهم عن ذلك، ويحسنون التسريح والتوديع، وبذلك تطيب النفوس ويُحفَظ الود، ولا يُنسى الفضل.

د. محمد الحمد، خواطر (ص: ١٢٧) مختصر

٦٢١. ليست الحرية أن تفعل كل ما تريد، فإنّ لله حدودًا حرَّم عليك تعديها، وإنما الحرية الحقة في أن لا يمنعك أحدٌ ما أحل الله لك! ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾.

د. سعود الشريم

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

٦٢٢. قال الإمام أحمد ﷺ في مسألة الطلاق: تدبَّرت القرآن، فإذا كل طلاقٍ فيه، فهو الرجعي - يعني طلاق المدخول بها - غير قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣ / ٧٦)

٦٢٣. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ مفهوم الآية الكريمة أنهما إن لم يظنا أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقيةٌ والعشرة السيئة غير زائلةٍ أن عليهما في ذلك جناحًا، لأن جميع الأمور إن لم يقم فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته؛ لم يحل الإقدام عليها، وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان إذا أراد أن يدخل في أمرٍ من الأمور -خصوصًا الولايات الصغار والكبار- نظرَ في نفسه، فإن رأى من نفسه قوةً على ذلك ووثق بها أقدمَ، وإلا أحجم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٠٢)

٦٢٤. وإنما قال: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾؛ لأن الجاهل إذا كثر له أمره ونهيه، فإنه لا يحفظه ولا يتعاهده، والعالم يحفظ ويتعاهد؛ فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣ / ١٥٤)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

٦٢٥. ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾، إنها تربيةٌ قرآنية تؤكد على أن الاعتداء على الآخرين هو ظلمٌ للنفس أولًا؛ بتعريضها لسخط الله وغضبه.

أ. د. عبد العزيز العويد

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

٦٢٦. ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ ما الفائدة في قوله: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ مع أنه يغني قوله: (يتربصن ثلاثة قروء) وقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؟ اعلم أن في قوله ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ فائدة جليلة، وهي أن هذه المدة المحدودة للتربص مقصودةٌ لمراعاة حق الزوج والولد، ومع القصد لبراءة الرحم، فلا بد من أن تكون في هذه المدة منقطعة النظر عن الرجال، محتسبة على زوجها الأول.

السعدي، المواهب الربانية (ص: ١٦)

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

٦٢٧. روي عن علي ﷺ أنه قال: «سيأتي على الناس زمانٌ عضوض؛ يعَض المُوسِر على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾».

سنن أبي داود (٣٣٨٢)

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

٦٢٨. مجيء هذه الآية بين آيات الطلاق لتصوِّر لنا ما يجب أن يكون عليه المؤمن إذا سمع نداء الله وهو منهمك في معركة الحياة، فكأنه بهذا الأسلوب يناديا: إنه ليس شأن المؤمن أن يحتاج إلى كبير معالجةٍ للتسامي بروحه فوق مشاعر الأهل والولد، وإنما شأنه أن ينتشل

نفسه من غمرتها انتشالاً فوريًّا؛ ليسرع إلى تلبية ذلك النداء الأقدس قائلاً للدنيا كلها: «ذريني أتعبَّد لربي»[1].

محمد دراز، النبأ العظيم (هامش٣، ص: ٢٧٧)

٦٢٩. للآيتين علاقة بآيات النكاح والطلاق من وجهين:

١. أن في الآية الثانية بيانُ عفو الله ﷻ وتخفيفه عنَّا بأن لم يكلفنا ما يشق علينا من المحافظة على إتمام صفة الصلاة عند الخوف، فكأنه تعالى يقول: كما عفوت عنكم، وخففت عليكم؛ فاعفوا أنتم عن أزواجكم وخففوا عليهنَّ.

٢. أن أحكام النكاح والطلاق من عظيم نعم الله علينا، فعلينا أن نشكره، والمحافظة على الصلاة هي أعظم الشكر.

عبد الرحمن المعلمي، مجموعة رسائل التفسير (ص: ١٨٩)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

٦٣٠. في هذه القصة عبرةٌ ودليل على أنه لن يغني حذرٌ من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء فرُّوا من الوباء طلبًا لطول الحياة فعُومِلُوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعًا في آن واحد.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ٦٦١)

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠).

٦٣١. عن ابن مسعود قال: لـمَّا نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح ﷺ: يا رسول الله؛ إن الله يريد منَّا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: أرني يدك، فناوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي. وفي حائطه ست مئة نخلة، ثم جاء إلى الحائط، فقال: يا أم الدحداح، فقالت: لبيك، فقال: اخرجي فقد أقرضته ربي[1].

التفسير من سنن سعيد بن منصور (٣ / ٩٣٤) مختصر

٦٣٢. قال أبو عثمان النهدي لأبي هريرة ﷺ: بلغني أنك قلت: إن الله ﷻ يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة! قال أبو هريرة: بل ألفي ألف حسنة! أوَلستم تجدون هذا في كتاب الله ﷻ؟ قلت: وأين؟ قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، والكثيرُ من الله أكثر من ألف ألف، وألفي ألف حسنة.

الزهد للإمام أحمد (ص: ١٤٢)

٦٣٣. قال الحسن البصري: أعطاهم الدنيا قرضًا، وسألهم إياها قرضًا، فما أعطوه عن طيب نفسٍ منهم فلهم به الأضعاف الكثيرة، وما أُخذ منهم كرهًا فصبروا واحتسبوا فلهم به الصلاة والرحمة وتحقيق الهدى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧].

الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ٤٨) مختصر

٦٣٤. في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ إشارةٌ إلى أن الصدقة ترجع لصاحبها حقيقةً، ناهيك عن الأجر، حيث سمَّاها ﴿قَرْضًا﴾، والقرض حقه السداد، والمقترض هو الله سبحانه، ومن أوفى من الله؟ فكان رجوعها مقطوعًا به.

أ. د. عبد المحسن المطيري

(١) قال الشيخ د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي تعليقاً على هذه القصة: هذا يدل على أن الصحابة كانوا يتأملون ألفاظ القرآن، وكلما تأملت ألفاظه وتدبرتها وجدت فيها معاني عجيبة، تزيد من خير الإنسان وتزيد من طاعته لله ﷻ. شرح زاد المستقنع (صوتي).

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

٦٣٥. ميزان التقوى يغلب ميزان القُوى.

د. عقيل الشمري

٦٣٦. اليقين بلقاء الله ومعيَّته زادان ضروريان حين يبدو للعِيان انتصار الأعداء وغلبتهم، لئلا تحصل الهزيمة النفسية، فيحدث اليأس والخذلان.

أ. د. ابتسام الجابري

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

٦٣٧. أكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين إنما أريد به المشركون، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢ / ٣٦)

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

٦٣٨. آيةٌ احتوت على هذه المعاني التي هي أجل المعاني يحقُّ أن تكون أعظم آيات القرآن، ويحقُّ لمن قرأها متدبِّرًا متفقِّهًا أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون بذلك محفوظًا من شرور الشيطان.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٥٤)

٦٣٩. لما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال بعدها: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، فبعد أن ذكر استحقاقه للعبودية ذكر سبب ذلك وهو كماله في نفسه ولغيره، فلا تصلح العبادة إلا لمن هذه شأنه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، «ومن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت»[1].

أ. د. عبد المحسن المطيري

٦٤٠. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي استيلاء السِّنة والنوم على الله تعالى تحقيقٌ لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثباتٌ لكمال العلم، فإن السِّنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياةٌ ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣/ ١٩)

٦٤١. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تأمَّل في أعظم مساحة يملكها تاجر أو حاكم؛ إنها ذرَّة في هذا الكون الفسيح، وهي تشير -أيضًا- إلى أنَّ ما في أيدي الخلق فمآله إليه، فتبارك مَن وسع ملكه وسلطانه السماوات والأرض والدنيا والآخرة.

أ. د. عمر المقبل

٦٤٢. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ من تمام ملكه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيدٌ له مماليك، لا يُقدِمون على الشفاعة لأحدٍ حتى يأذن لهم؛ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ١٨)

٦٤٣. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٢٤١).

الأبصار، وتقلقل الجبال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصبٍ؛ فلهذا قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١١٠)

٦٤٤. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ مثل هذه الجملة التي طرفاها معرفتان تفيد الحصر، فهو وحده العلي؛ أي: ذو العلوِّ المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء، و ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: ذو العظمة في ذاته وسلطانه وصفاته.

ابن عثيمين، تفسير سورة الفاتحة والبقرة (٣ / ٢٥٦)

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

٦٤٥. ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الظلمات حاجبةٌ للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجبٌ أبصارَ القلوب عن إدراك حقائق الإيمان.

الطبري، جامع البيان (٤ / ٥٦٣)

٦٤٦. أحد الإخوة البريطانيين حديثُ عهدٍ بإسلام، واسمه عبد الجليل، سألوه عن أثر الإسلام عليه؟ فأجاب: كنت أعيش في ظلام كما قال الله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ثم أشار إلى عينيه كحال من غُطِّي على بصره.

من مشاركات المتدبرين

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

٦٤٧. المحاجة لإبطال الباطل ولإحقاق الحق من مقامات الرسل.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ / ٢٨١)

٦٤٨. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ النعم قد تكون سببًا للطغيان؛ لأن هذا الرجل ما طغى وأنكر الخالق إلا لأن الله آتاه الملك، ولهذا (أحيانًا) تكون الأمراض نعمةً من الله على العبد، والفقر والمصائب تكون نعمةً على العبد؛ لأن الإنسان إذا دام في نعمةٍ وفي رغدٍ وفي عيشٍ هنيء فإنه ربما يطغى وينسى الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ ٢٨١)

٦٤٩. من أخذ بالعدل كان حريًّا بالهداية؛ لمفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾، فإذا كان الظالم لا يهديه الله، فصاحب العدل حريٌّ بأن يهديه الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ / ٢٨٦)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

٦٥٠. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنًا، فإذا كان ﷺ محتاجًا إلى الأدلة التي تُوجب له الطمأنينة، فكيف بغيره؟!

محمد بن عبد الوهاب، فتاوى ومسائل (ص: ٧٣)

٦٥١. ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ الحكمة من كونها تأتي سعيًا دون أن تأتي طيرانًا كونه أبلغ في الحجة، وأبعد من الشبهة، لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، أو أن أرجلها غير سليمة.

الثعلبي، الكشف والبيان (٧ ٢١٨)

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾

٦٥٢. هذا فيمن أنفق ماله، فكيف بمن أنفق همَّه وهواه، وسعاياته ومُناه، طاعةً فيما يحبِّه ربه ويرضاه؟!

عماد الدين الواسطي، قواعد في السلوك (ص: ٢٧٠)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾

٦٥٣. قال تعالى هنا: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ وفي سورة إبراهيم: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ [إبراهيم: ١٨] وسر هذا التغاير: أن المثل هنا للعامل، فكان تقديم نفي قدرته وصِلتها أنسب، لأن (على) من صِلَة القدرة، أما آية (إبراهيم) فالمثل للعمل؛ لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ تقديره: مثل أعمال الذين كفروا.

ابن جماعة، كشف المعاني (ص: ١٢٠)

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

٦٥٤. فهذا وعد الله، وذاك وعد الشيطان، فلينظر البخيل والمنفق أيُّ الوعدين هو أوثق، وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه، والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، وهو الواسع العليم.

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ٣٧٥)

٦٥٥. ينبغي للمنفق أن يتفاءل بما وعد الله، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا﴾، فإذا أنفق الإنسان وهو يُحسِن الظن بالله ﷻ أن الله يغفر له الذنوب ويزيده من فضله؛ كان هذا من خير ما تنطوي عليه السريرة.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ / ٣٥٠)

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

٦٥٦. ومفهوم الآية: أن الله آخذ بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر، فيجد له نصيرًا ولا يجد الظالم - بوضع القهر موضع البر- ناصرًا.

الحرالي، تراث أبي الحسن الحرالي (ص: ٤٧٠)

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

٦٥٧. ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ لا تتوقف عن النصح والتوجيه لمن حولك برفق، فالنتيجة والتغيير ليس بيدك، بل بيد الله.

عبد الواحد المغربي

٦٥٨. عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ قال: «نفقة المؤمن لنفسه، ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله».

تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٩)

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

٦٥٩. ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ قال قتادة: «محفوظٌ ذلك عن الله، عالمٌ به، شاكرٌ له، وأنه لا شيء أشكر من الله، ولا أجزأ بخيرٍ من الله».

تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٢)

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾

٦٦٠. في الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية، وذلك لأنه قدَّم الليل على النهار، والسر على العلانية في الذكر.

الرازي، مفاتيح الغيب (٧ / ٧١)

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾

٦٦١. ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ تأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين وتسليط المتلِفات عليها، كما فعلوا بأموال الناس ومحقوها عليهم وأتلفوها بالربا، فجُوزوا إتلافًا بإتلاف! فقَلَّ أن ترى مرابيًا إلا وآخرته إلى محق وقِلَّة وحاجة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٥٣)

٦٦٢. ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق أن الإنفاق يَنقُص المال، وأن الربا يَزيده، فإن مادة الرزق وحصول ثمراته من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وامتثال أمره، فالمتجرئ على الربا يعاقبه الله بنقيض مقصوده، وهذا مشاهدٌ بالتجربة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٥٩)

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾

٦٦٣. سئل الإمام مالك عن رجل حلف أنه ما يدخل بطون بني آدم أشرّ من الخمر، فأمره أن يرجع إليه، ثم جاءه، فقال: قرأت كتاب الله ونظرت فيما بلغني من سنة رسول الله ﷺ، فما رأيت أشرّ من الربا، لأن الله سبحانه قال فيه ما لم يقل في شيء مما حرم، فقال: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

الذب عن مذهب الإمام مالك (١ / ٣٠٤)

٦٦٤. ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محاربٌ لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه، ولم يجئ هذا الوعيد في كبيرةٍ سوى الربا وقطع الطريق والسعي في الأرض بالفساد، لأن كل واحد منهما مفسدٌ في الأرض، قاطعٌ الطريقَ على الناس؛ هذا بقهره لهم وتسليطه عليهم، وهذا بامتناعه من تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها.

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ٣٧٨)

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾

٦٦٥. قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة.

الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٣٠٠)

٦٦٦. أعظم آية يوعظ بها آكلو الربا، وأصحاب الأموال -الذين أشغلتهم أموالهم عن طاعة الله- ما ختم الله به آيات الربا، وهي آخر ما أنزله من وحيه، وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾.

أ. د. محمد الربيعة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

٦٦٧. قال بعض العلماء: أرجى آية في القرآن آية الدَّيْن؛ فقد أوضح الله فيها الطرق الكفيلة بصيانة الدَّيْن من الضياع، ولو كان الدَّيْن حقيرًا، قالوا: وهذا من صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه ولو قليلاً، يدل على العناية التامة بمصالح المسلم؛ وذلك يدل على أن اللطيف الخبير لا يضيعه يوم القيامة عند اشتداد الهول، وشدة حاجته إلى ربه.

الشنقيطي، أضواء البيان (٥ / ٤٨٩)

٦٦٨. ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ إنما قال: ﴿بَّيْنَكُمْ﴾ ولم يقل: (أحدكم)؛ لأنه لما كان الذي له الدَّيْن يَتَّهِم في الكتابة الذي عليه الدَّيْن، وكذلك بالعكس؛ شَرَعَ الله سبحانه كاتبًا غيرهما يكتب بالعدل، لا يكون في قلبه ولا قلمه موادَّةٌ لأحدهما على الآخر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٣٨٣)

٦٦٩. ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ من خصَّه الله بنعمةٍ من النعم يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجاتهم؛ لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٦٠)

٦٧٠. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ ختم الآية بذكر الله ثلاث مرات متعاقبة لإدخال الروع في القلوب، وإحداث المهابة في النفوس، وترسيخ الحكم في الأذهان، والإشعار بأنه تعالى مطَّلِع على السرائر، لا تغرب عنه همسات القلوب وخلجات الضمائر.

محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (١ / ٤٤٢)

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

٦٧١. ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إذا تأملنا في هذا المُلك الواسع العظيم وأنه يُدَبَّر بانتظام لا مثيل له علمنا بأن الذي يُدَبِّره كاملُ الصفات.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ / ٤٣٦)

٦٧٢. لما نزلت: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشتد ذلك على الصحابة، فقالوا: قد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا»، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، (فنسخها الله)، وأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

صحيح مسلم (١٢٥)

٦٧٣. ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس، وقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ يقتضي أن الأمر إليه في المغفرة والعذاب لا إلى غيره، ولا يقتضي أنه يغفر ويعذب بلا حكمةٍ ولا عدل، كما قد يظنه مَن يظنه مِن الناس.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ١٠١)

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

٦٧٤. لما ذكر الله جلَّ وعَزَّ فرضَ الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وأقاصيص الأنبياء والدَّيْن والربا؛ ختم السورةَ بذِكْرِ تعظيمه، وذِكْرِ تصديقِ نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١ / ٣٦٨)

٦٧٥. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ دلَّ أنَّ الإيمان الصحيح يقود إلى العمل، فهو ليس مجرَّد معرفة قلبيَّة، وتصورات ذهنية.

من مشاركات المتدبرين

٦٧٦. ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد... سألوه غفرانه الذي هو غاية سعادتهم ونهاية كمالهم، فإن غاية كل مؤمنٍ المغفرة من الله تعالى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ١٣٦)

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

٦٧٧. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ يستدل بها بعضهم على الترخُّص، مع أنها تدل على العزيمة أيضًا، فيقال: إن الله تعالى لم يكلِّف نفسًا فوق وسعها، فمعناه: أنَّ كل ما كان في وسعه، فهو داخل في التكليف.

ابن عثيمين (صوتي)

٦٧٨. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾، جاءت العبارة بـ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما ينتفع العبد به، وجاءت بـ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ في السيئات؛ لأنها مما يضر العبد.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٤٢)

٦٧٩. وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل، فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطؤوا كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء، وأمرنا أن لا نطيع مخلوقًا في معصية الخالق، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فنقول: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآية [الحشر:١٠].

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٢ / ٢٣٩)

٦٨٠. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الحديث القدسي: «أنَّ الله تعالى قال: قد فعلت»[1]، وانظر إلى ترتيبها: فالعفو طلب إسقاط العقوبة، ثم تدرج منه إلى المغفرة، وهي طلب الستر (وقد تسقط العقوبة ولا يستر الذنب)، ثم تدرج منه إلى الرحمة، وهي كلمة جامعة لأنواع من الخير والإحسان، فالحمد لله الذي لا أعظم من رحمته.

من مشاركات المتدبرين

٦٨١. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ سألوه العفو والمغفرة والرحمة والنصر على الأعداء، فإن بهذه الأربعة تتم لهم النعمة المطلقة، ولا يصفو عيش في الدنيا والآخرة إلا بها، وعليها مدار السعادة والفلاح.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤/ ١٤٠)

٦٨٢. عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسَلَّم، وقال: أبشر بنورين أُوتيتَهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة؛ لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطِيتَه».

صحيح مسلم (٨٠٦)

٦٨٣. إن المستظهر لسورة البقرة، إذا لم يسلم وجهه لله في كل شيء، ولم يسلك بها إلى ربه متحققًا بأركان الإسلام وأصول الإيمان، متخلقًا بمقام الجهاد في سبيل الله، صابرًا في البأساء والضراء وحين البأس، متنـزهًا عن المحرمات، واضعًا عنقه تحت ربق أحكام الشريعة، في دينه ونفسه وماله، متحققًا بخلق السمع والطاعة لله على كل حال، من غير تردد ولا استدراك؛ لا يكون حافظًا حقًّا لسورة البقرة!

د. فريد الأنصاري، من مقالة: هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها

(١) رواه مسلم (١٢٦).

سورة آل عمران

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

٦٨٤. ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ كلما اهتدى الإنسان للفروق كان أعظم اهتداءً بالكتب المنزلة من الله، لأن الكتب كلها فرقان.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (١ / ٢١)

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾﴾

٦٨٥. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾ في جعل قلوبهم مقرًّا للزيغ مبالغةٌ في عدولهم عن سنن الرشاد، وإصرارهم على الشر والفساد.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢ / ٨)

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

٦٨٦. عُلِم من تعقيب قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أنَّ من جملة ما قُصد بوصف الكتاب بأن منه محكمًا ومنه متشابهًا، إيقاظ الأمة إلى ذلك لتكون على بصيرة في تدبر كتابها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣ / ١٦٩)

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾

٦٨٧. لا يسلي قلب العبد عندما يرى مُتع الحياة الدنيا شيءٌ كيقينه بما أعده الله لمن صبر على طاعته واتقى محارمه؛ إنها الجنة وكفى.

أ. د. عمر المقبل

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

٦٨٨. أمر الله عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار، فكان ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثًا[1]، وقد قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة (المزمل) وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١ / ٢٥٣)

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

٦٨٩. بدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيمًا لنفسه وتنزيها لها عما نسب أهل الشرك إليها، كما سنَّ لعباده أن يبدؤوا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره، مؤدبًا خلقه بذلك.

الطبري، جامع البيان (٥ / ٢٧٩) مختصر

(١) رواه مسلم في صحيحه (٥٩١).

٦٩٠. كل ما تراه في الوجود من شرٍّ وألمٍ وعقوبة وجدب، ونقص في نفسك وفي غيرك، فهو من قيام الرب تعالى بالقسط، وهو عدل الله وقسطه، وإن أجراه على يد ظالم، فالمسلِّط له أعدل العادلين.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٤٢٥)

٦٩١. إنما كرر التهليل لوجهين: أحدهما: أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانيًا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة، والآخر: أن ذلك تعليمٌ لعباده ليكثروا من قولها.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٤٧)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

٦٩٢. ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ تحكي حال كثير من أهل الباطل؛ يفترون الباطل من عند أنفسهم ثم يصدقونه.

د. عبد الله السكاكر

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

٦٩٣. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ قال الربيع بن أنس: «لا يُخرِجُه بحسابٍ يخاف أن ينقص ما عنده، إن الله لا ينقص ما عنده».

تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٦٢٨)

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

٦٩٤. بيَّن أنَّه تعالى عالم بكلِّ المعلومات، ثمَّ بيَّن أنَّه قادر على جميع المقدورات، فيكون في هذا تَمامُ الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

الرازي، مفاتيح الغيب (٨ / ١٩٥) مختصر

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

٦٩٥. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ من رحمته وفضله بدأ بالحسنة قبل السيئة، بينما عينُ الرقيبِ البشري لا تكاد ترى إلا السيئات!

محمد الفراج

٦٩٦. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ قال الحسن البصري: «من رأفته بهم أنْ حذَّرهم نفسَه».

تفسير الطبري (٥ / ٣٢٤)

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

٦٩٧. من أحبَّ الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبه، أوجب له ذلك أن يحبَّ بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى به الله ورسوله، ويسخط ما يسخطُه الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحبِّ والبغض.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٣ / ١١٥٠)

٦٩٨. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ هذه الآية هي الميزان الذي يُعرف به من أحب الله حقيقة!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٦٥)

٦٩٩. تأمل هذه الآية، إنها آية واضحة في بيان معيار المحبة والاتباع الحقيقي للنبي ﷺ، فلا يصح لأحدٍ أن يزايد على هذه المحبة بفعل ما لم يشرعه، فضلاً عن الابتداع في دينه بدعوى المحبة، وأشد من ذلك أن يقلب الأمر فيُوصف من لم يوافق المبتدع على بدعته بأن محبته للنبي ﷺ ناقصة.

من مشاركات المتدبرين

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾

٧٠٠. جاء في التفسير: أنَّ امرأةَ عمران نذرت أن يكون ولدها عابدًا في بيت المقدس؛ إذًا حقيقة الحرية أن تكون عبدًا لله.

أ. د. عبد المحسن المطيري

٧٠١. همُّ صلاح الذرية، واستعمالهم في مراضي الله يسبق -في قلوب الصالحين- قدوم أولادهم إلى الدنيا، هذه امرأة عمران تقول: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

٧٠٢. تحرَّز زكريا عليه السلام في طلب الولد فقال: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، وقال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم:٦]، والولد إذا كان بهذه الصفة نفع أبويه في الدنيا والآخرة، وخرج من حد العداوة والفتنة إلى حد المسرة والنعمة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٨٠)

٧٠٣. ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾، ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم:٣٩] هكذا ختم الخليل وزكريا عليهما السلام دعواتهما! إن استشعار العبد قرب ربه منه حال دعائه؛ من أعظم ما يعين على إظهار الافتقار بين يدي الغني، والذل بين يدي العزيز سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة، وتلك واللهِ سمة العبودية، وما أحرى من هذه حاله بإجابة دعائه!

أ. د. عمر المقبل

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾

٧٠٤. إن قيل: كيف أَخَّر هذا الذكر لمريم عن ذكر قصتها؟ قيل: لما ذكر آيتها قرن بها آية زكريا وعبادته، ثم أتبعها بعبادة مريم متممًا لقصتها لئلا يحتاج إلى قطع قصة زكريا، فيكون قد قرن ذكر الآية بالآية، والعبادة بالعبادة.

تفسير الراغب الأصفهاني (٢ / ٥٥٧)

٧٠٥. كلما مَنَّ الله ﷻ على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر؛ لأن الملائكة لما قالت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾، أمرتها بالقنوت والسجود والركوع، فدلَّ هذا على أنه ينبغي للإنسان كلما ازدادت عليه نعم الله أن يزداد على ذلك شكرًا بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران (١ / ٢٦٠)

٧٠٦. ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ إن السجود لما كانت الهيئة التي هي أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله قُدِّم وإن كان متأخرًا في الفعل على الركوع، فيكون إذ ذاك التقديم بالشرف.

أبو حيان البحر المحيط (٣ / ١٤٨)

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٤﴾

٧٠٧. ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ في المجتمع الصالح يزدحم الناس على التطوع، حتى يحتاجوا للقرعة.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

٧٠٨. فإن قلت: لِمَ قيل: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطابُ لمريم؟ قلت: لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأُعْلِمَت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب، فلا ينسب إلا إلى أمه.

الزمخشري، الكشاف (١ / ٣٦٣)

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

٧٠٩. صرَّح هاهنا بقوله: ﴿يَخْلُقُ﴾ ولم يقل: (يفعل)، كما في قصة زكريا، بل نص هاهنا على أنه يخلق لئلا يبقى لـمُبطِلٍ شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢ / ٤٤)

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

٧١٠. إنما قال ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ دون (عَلِمَ) تنبيهًا أنه ظهر منهم الكفر ظهورًا باديًا لذي الحاسة، فضلاً لذي العقل.

تفسير الراغب الأصفهاني (٢ / ٥٨٢)

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

٧١١. ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فيها إشارة إلى نجاسة الكفار معنويًّا، وأن من يعايشهم ويتبع أثرهم ويتشبه بهم؛ فسيَعلَق به أثر من نجاستهم.

أ. د. سيد ساداتي الشنقيطي

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

٧١٢. إنما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ ولم يقل: (وليهم) تنبيهًا أن موالاة الله تعالى تُستَحق بالإيمان، وأنها ليست بمقصورةٍ على من تقدَّم ذِكرُهم، بل ذلك لكل مؤمن في كل وقت.

تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٦٢٤)

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

٧١٣. لم يُبْقُوا على الحق محبةً فيه، لكن لأن الباطل لا يروج إلا بمزجه بشيء من الحق.

د. عبد الله بلقاسم

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

٧١٤. التخطيط لإفساد الدين عادة اليهود وأتباعهم في كل زمان.

د. نايف الزهراني

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

٧١٥. التَّحاضُّ والتَّعاون على عقيدة الباطل مَنهَج يُديره الأعداء بوضوح: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾.

د. مِشعل الفَلاحيُّ

٧١٦. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ ونحوها من الآيات، تدل على أن من طلب الهدى والرشد من غير الكتاب والسنة ضل؛ لأن الهدى محصور في هدى الله الذي أرسل به رسوله ﷺ.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (ص: ٢١٦)

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

٧١٧. حين يَبلُغ بالإنسان أن يمنع الأمانة والحقوق فلا يؤديها لأهلها إلا بإلحاح عليه فذلك خصلة من خصال اليهود.

أ. د. محمد الربيعة

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

٧١٨. دلَّت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا؛ فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب عمله، وكان مثله مثلَ مَن غرس شجرةً حسناء مونقة بمنظرها ولا منفعة بثمرها.

الرازي، مفاتيح الغيب (٨ / ٢٧٢)

٧١٩. ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ إذا نظرنا إلى السيرة النبوية وجدنا كيف كان الرسول ﷺ يُعلِّم الناس تعليمًا مقرونًا بالتربية مصحوبًا بها، وإذا تأملنا سيرة الخلفاء الراشدين وجدناها كذلك، فالحقيقة أن المعلم ليس هو الذي يملأ أذهان الناس علمًا فحسب، ولكنه الذي يملأ أذهانهم علمًا، وأخلاقهم تربيةً.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران (١ / ٤٥٤) مختصر

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾

٧٢٠. قال عبد الله بن عمر ﷺ: خطرت على قلبي هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ففكرت فيما أعطاني الله، فلم يكن شيء أحب إلي من (رُمَيثة)، فهي حُرَّةٌ لوجه الله تعالى، فلولا أن أكره أن أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. ثم أنكحها نافعًا مولاه.

الزهد لأبي داود (ص: ٢٧٠)

٧٢١. ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ دلَّت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون برُّه، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٣٨)

٧٢٢. ينبغي للإنسان أن يعمل بهذه الآية ولو مرةً واحدة؛ إذا أعجبه شيءٌ من ماله، فليتصدَّق به؛ لعله ينال هذا البر.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (١ ٥٢٦)

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

٧٢٣. تأمل كيف افتتح الآيات في إيجاب الحج بذكر محاسن البيت وعِظَم شأنه بما يدعو النفوس إلى قَصْدِه وحَجِّه وإن لم يُطلب ذلك منها فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ ٤٦١)

٧٢٤. تأمل أوصاف المسجد الحرام: أول بيت وضع للناس (عتيق)، مبارك وهدى للعالمين، فيه آيات بينات، من دخله كان آمنًا، لله على الناس حجه، حرم، حرام، محرم، من يرد فيه بإلحاد بظلم أُذيق من عذاب أليم، قيامٌ للناس، فلك أن تتصور حاجًّا يستشعر هذه الفضائل والمزايا لبيت الله الحرام؛ ألا يجد لنسكه طعمًا آخر؟

أ. د. محمد الربيعة

٧٢٥. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ما فائدة تقديم قوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾ على ما بعده؟ «الاسم المجرور من حيث كان اسمًا لله سبحانه وجب الاهتمام بتقديمه تعظيمًا لحرمةِ هذا الواجب الذي أوجبه وتخويفًا من تضييعه؛ إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره».

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ ٤٥٦)

٧٢٩. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ لهم ومن أجلهم، لدَعَواتهم وهُمومهم ودُموعهم، ومهما ازدحمت بهم جَنَبات الحَرَم، فالله غَنِيٌّ عنهم.

د. عبد الله بن بَلْقاسم

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

٧٣٠. في الآية دلالة على عِظَم قدر الصحابة، وأن لهم وازعَينِ عن مواقعة الضلال: سماع القرآن، ومشاهدة الرسول ﷺ، فإن وجودَه عصمةٌ من ضلالهم. قال قتادة رحمه الله: «أما الرسول فقد مضى إلى رحمة الله، وأما الكتاب فباقٍ على وجه الدهر»[1].

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤ / ٢٩)

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

٧٣١. ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ لـمَّا نهاهم عن التفرق مطلقًا دلَّ ذلك على أنهم لا يجتمعون على باطل.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٢)

(١) رواه الطبري (٥ / ٦٣٤) وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٠) في تفسيريهما.

٧٢٦. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ هذا من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب؛ إذا قال العربي (لفلانٍ عليَّ كذا) فقد أكَّده وأوجبه، فذكر الله سبحانه الحجَّ بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدًا لحقِّه، وتعظيمًا لـحُرمته، وتقويةً لفرضه.

ابن العربي، أحكام القرآن (١ / ٣٧٤)

٧٢٧. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ أفادت ﴿عَلَى﴾ في الآية الوجوب، والتهديدُ بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ يدل على أنَّه رُكن، لأنَّ الواجب الَّذي ليس برُكن لا يُستعمَل فيه مِثلُ هذا الوعيد.

صالح آل الشيخ

٧٢٨. هذا النظم دالٌّ على تأكد وجوب الحج من عشرة أوجه:

١، ٢- أنه قدَّم اسمه تعالى (الله)، وأدخل عليه (لام الاستحقاق والاختصاص): ﴿وَلِلَّهِ﴾.

٣، ٤- ثم ذكر مَن أوجبه عليهم (بصيغة العموم)، الداخلة عليها حرف (على): ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٥- ثم أبدل منه أهل الاستطاعة: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾، وتأمل سر البدل في الآية المقتضي لذكر الإسناد مرتين: مرةً بإسناده إلى عموم الناس، ومرةً بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البدل: تقوية المعنى وتأكيده بتكرار الإسناد.

٦- ثم نَكَّر السبيل في سياق الشرط، إيذاناً بأنه يجب الحج على أيِّ سبيل تيسرت مِن قوتٍ أو مال، فعلَّق الوجوبَ بحصول ما يسمى ﴿سَبِيلًا﴾.

٧- ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: بعدم التزام هذا الواجب وتركه.

٨- ثم عظَّم الشأن وأكَّد الوعيد بإخباره باستغنائه عنه: ﴿غَنِىٌّ﴾، وفيه إعلامٌ بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو مِن أعظم التهديد وأبلغه.

٩- ثم أكَّد ذلك بذكر اسم العالمين عموماً: ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ ولم يقل: (فإن الله غنيٌّ عنه)، لأنه إذا كان غنيّاً عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه عن كل أحد بكل اعتبار، وكان أدلَّ على عِظَم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه.

١٠- ثم أكَّد هذا المعنى بأداة (إنَّ) الدالة على التوكيد: ﴿فَإِنَّ﴾.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ / ٤٦٠) بتصرف

٧٣٢. الأمر الذي إذا دعوتَ الناس إليه بجميع أطيافهم لن يخالفوك هو (كتاب الله)؛ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

أ. د. محمد الربيعة

٧٣٣. سمع أعرابيٌّ ابنَ عباسٍ وهو يقرأ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ فقال الأعرابي: واللهِ ما أنقذهم منها وهو يريد أن يدخلهم فيها، فقال ابن عباس: خذها من غير فقيه!

المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٢ / ٣٤١)

٧٣٤. قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾، ثم قال في آية بعدها: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، أي: كما عرفتم النعيم والكمال بعد الشقاء والشناعة، فالأحرى بكم أن تسعَوْا بكل عزم إلى انتشال غيركم من سوء ما هو فيه إلى حسنى ما أنتم عليه، حتى يكون الناس أمةً واحدةً خَيِّرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤ / ٣٦) بتصرف

٧٣٥. مجيء هذه الآية عَقيب قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فيه إشارة إلى أن من أعظم الدعوة إلى الخير: تأليف القلوب، وأن من أعظم الأمر بالمعروف: الأمر بالاعتصام بحبل الله، وأن من أعظم النهي عن المنكر: النهي عن التفرق، فهلا احتسب بعض العقلاء على فضلاء المختلفين؛ لتحقيق هذا القصد الشريف: الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة.

إبراهيم الأزرق

٧٣٦. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيه إشارة إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفضي إلى التفرق والاختلاف؛ إذ تكثر النزعات والنزغات وتنشق الأمة بذلك انشقاقًا شديدًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤ / ٤٢)

٧٣٧. في ذِكر سمةِ أهل النعيم عقب الوعيد بالعذاب حسرةٌ على الذين تفرقوا؛ إذ يعلم السامع أن لهم عذابًا عظيمًا في يومٍ فيه نعيمٌ عظيم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤: ٤٤)

٧٣٨. احرِص على جَمال وَجهِك ونضارته في الآخرة، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

أ. د. ابتسام الجابري

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

٧٣٩. قال أبو هريرة: «نحن خير الناس للناس؛ نجيء بهم -الأغلال في أعناقهم- فندخلهم في الإسلام».

السنن الكبرى للنسائي (١٠ / ٤٨)

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

٧٤٠. وأما كون اليهود كانوا ينتصرون على العرب فهذا لا يُعرَف، بل المعروف خلافه، والله تعالى قد أخبر بما يدل على ذلك في هذه الآية، فاليهود من حين ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على العرب ولا غيرهم، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام، والذلةُ ضربت عليهم من حين بُعث المسيح ﷺ فكذبوه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١: ٣٠١)

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

٧٤١. ينبغي لقارئ القرآن أن يعتني بقراءة الليل أكثر، قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرُّفِ في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات.

النووي، التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٦٣ - ٦٤)

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

٧٤٢. الداعية الصادق لا يتأخر في طريق دعوته، ولا يتوانى عن إجابة داعي الخير كلما دعا، بل يبادر إليه ويسارع، ويجعل تلبية ندائه أول همه ومسعاه، فتلك صفة الصالحين حقًّا، التي بها نالوا القبول عند الكريم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١ / ٣٠٦)

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

٧٤٣. أسرعُ الناس فتورًا مَن يعمل مستشرفًا الثناء، لأن الناس يمنحونه تارةً ويمنعونه تارات، وأدومُهم مَن يعمل وقد امتلأ بـ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

سليمان العبودي

٧٤٤. إنما قال: ﴿عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾، مع أنه عالمٌ بالكل؛ بشارةً للمتقين بجزيل الثواب ودلالةً على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

الرازي، مفاتيح الغيب (٨ / ٣٣٥)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا

خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

٧٤٥. بيَّن سبحانه أنه مع التقوى والصبر لا يضر المؤمنين كيد أعدائهم المنافقين، وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران:١٨٦] فالصبر والتقوى يدفع شر العدو المُظهِر للعداوة، وشر العدو المُبطِن للعداوة، وهم المنافقون.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٠٧ - ٥٠٨) مختصر

٧٤٦. يستخفي المنافقون ببغضهم وكيدهم للمؤمنين، فتفضحهم عثرات ألسنتهم، وما ظهر من مكرهم، وليس كالتقوى والصبر دافعًا لأذاهم: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

د. عبد الله السكاكر

٧٤٧. يدل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ على أن الاستثمار الأساسي في مواجهة عدوان الخارج يجب أن يكون بتحصين الداخل من خلال الاستقامة على أمر الله.

من مشاركات المتدبرين

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ۙ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

٧٤٨. قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ يفيد الحصر، وهذا كالتنبيه على أن حال المنافقين بالضد من ذلك، وأنهم لا يتوكلون إلا على الأسباب الدنيوية واللذات العاجلة الفانية.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦ / ٦٧)

٧٤٩. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ حذفَ مُتعَلَّق التوكل ليفيد العموم؛ أي: ليَتوكَّل الناس عليه عزَّ شأنُه في جميع أمورهم، جليلها وحقيرها، سهلها وحَزْنها.

الآلوسي، روح المعاني (٢ / ٢٥٩)

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

٧٥٠. حقيقة الشكر في الأصل والفرع: أن تتقي الله ﷻ، وذُكِر عن بعض السلف أنه قال: «الشكر تقوى الله ﷻ»[1]؛ ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ فالمتقي في هذه الآية هو الشاكر لنعمة الله، فهذه الآية تدل على أن المتقي هو الشاكر، ومَن لم يكن متقيًا لم يكن شاكرًا.

البيهقي، شعب الإيمان (٦ / ٣٠٩)

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

٧٥١. بعد كلِّ هذا التأييد بآلاف الملائكة يَحصُر الله سبحانه هذا كلَّه في كونه بُشرى وطَمأنة للمؤمنين، أمَّا النصر فمن الله وحده. إنَّه دَرس مهِمٌّ في التعامل مع الأسباب مهما عظُمت.

د. عويض العطوي

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

٧٥٢. بدأ بذكر الإنفاق في صفات المتقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، وحينئذٍ قد يسأل سائل: كيف بدأ بالإنفاق دون ذكر الصلاة مثلاً، والصلاةُ أهم من الإنفاق؟ الجواب: لأنه لما نهى عن أكل الربا أضعافًا مضاعفة في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران:١٣٠] بدأ بذكر ضده (ضد أكل الربا) وهو الإنفاق.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (٢ / ١٧٠)

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٢٣٥) عن محمد بن كعب القرظي في قول الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.

٧٥٣. جَعَلَتْ جاريةٌ لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء ليتهيَّأ للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشَجَّه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فقال لها: عفا الله عنكِ، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾، قال: اذهبي فأنتِ حرَّة.

شعب الإيمان للبيهقي (١٠ / ٥٤٥)

٧٥٤. ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال قتادة: «من استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل، ولا قوة إلا بالله. فنِعْمت واللهِ يا ابن آدم الجرعةُ تجترعها مِن صبرٍ وأنت مَغِيظٌ، وأنت مظلومٌ».

تفسير الطبري (٦ / ٥٨)

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

٧٥٥. قال ابنُ مسعود: «والذي نفسي بيده لقد أعطا الله هذه الأمة آيةً لهي أحب إليَّ لهم من الدنيا وما فيها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾».

تفسير ابن المنذر (١ / ٣٨٦)

٧٥٦. تفكروا في هذه الآية! فإن فيها إشارةً إلى أن المذنبين ليس لهم من يلجؤون إليه، ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيرَه سبحانه.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢ ٤٥)

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

٧٥٧. لما كان القرآن ظاهرًا واضحًا قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾، ولما كانت الموعظة والهدى لا يكونان إلا لمن اتقى خصَّ بذلك المتقين، لأن مَن عمِي فِكْرُه وقسا فؤاده لا يهتدي ولا يتعظ، فلا يناسب أن يضاف إليه الهدى والموعظة.

أبو حيان، البحر المحيط (٣ / ٣٥٢) بتصرف

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

٧٥٨. للعبد من العلوِّ بحسب ما معه من الإيمان!

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١٨١/٢)

٧٥٩. قيل للمؤمنين بعد خسارتهم في معركة أحد: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾، فمهما كانت انكساراتنا السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية، فنحن الأعلون بالإيمان.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

٧٦٠. تمضي الأعوام ويقع فيها ما يقع من الأحداث العظام، يتذكر معها المؤمن قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾، فتدبَّر ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهي لا تستقر عند أحد، وتأمل في بقية الآية ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ وخاتمتها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

٧٦١. الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظُم المطلوب عظُمت وسيلته والعملُ الموصل إليه، فلا يُوصَل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يُدرَك النعيم إلا بترك النعيم!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٠)

٧٦٢. إن من يريد أن يسلك طريق الجنة عليه أن يعد نفسه للمتاعب والمشقات، وأن يصبر عن المعاصي اللذيذة فلا يقربها، وأن يصبر على الطاعات الصعبة فلا يُقصِّر فيها.

علي الطنطاوي، نور وهداية (ص: ٢٤٠)

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

٧٦٣. فإن الأمور هكذا تكون: تارة لك وتارة عليك، والكمالُ كل الكمال أن يكون العبد عبداً لله في الحالين، في السراء والضراء، في حال إتيان الأمور على ما يحب أو ضد ذلك، وهذا الوصف هو كمال الفرد وكمال الجماعات، والله الموفق.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (ص: ١١٤)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

٧٦٤. قال ابن عباس: «قد ذكر الله في (سورة آل عمران) المؤمنين حين سألوا الله المغفرة، فقالوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾، فينبغي أن يُعلَم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف، فأمَرَهم بالتوبة من إسرافهم».

تفسير الطبري (٢٠ / ٢٢٥)

٧٦٥. قدموا قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ لأنه تعالى ضَمِن النصرةَ للمؤمنين، فإذا لم تحصل النصرة وظهر أمارات استيلاء العدو دلَّ ذلك ظاهرًا على صدور ذنبٍ وتقصيرٍ من المؤمنين، فلهذا المعنى يجب عليهم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة.

الرازي، مفاتيح الغيب (٩ / ٣٨١)

٧٦٦. لما وصفَهم بالأفعال النفسانية، عقَّبَ ذلك بما صدر عنهم من الأقوال اللسانية، فواطأت ألسنتهم قلوبهم.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٢ / ٣٩١]) مختصر

٧٦٧. يقاتلون مع الأنبياء، ويبذلون مُهَجَهُم في سبيل الله، إلا أنهم لم يغتروا بأعمالهم، بل يستشعرون تقصيرهم في حق الله مهما بذلوا، وهذا من أعلى مقامات العبودية، ومن كان شأنه دوام النظر إلى التقصير أكثر من النظر إلى الطاعة؛ فحري به أن يرتقي في درجات العبودية والتقوى.

فهد العيبان

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾

٧٦٨. خَصَّ ثوابَ الآخرة بالحُسن دلالةً على فضله وتقدُّمه، وأنه هو المعتد به عنده؛ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

الزمخشري، الكشاف (١ / ٤٢٥)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ١٤٩﴾

٧٦٩. لا يغتر الإنسان بنفسه ويقول: (أُصاحِب الكافر لمصلحةِ نفسي وأتوقاه وأحذر منه)، فإن غِلظَ الطِّباعِ يسري، لا سيما في جانب الشر، وهذا أمرٌ شاهدناه وجربناه، ونسأل الله تعالى مُنزل هذا الكتاب أن يُصحبنا بالأخيار، ويبعد عنا الأشرار.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٢ / ٣٩٧])

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

٧٧٠. المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب، والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٥٧)

٧٧١. على قَدْر الشرك يكون الرعب، فالمشرك بالله أشد شيءٍ خوفًا ورُعبًا، والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح.

ابن القيم، زاد المعاد (٣ / ٢٠٣)

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

٧٧٢. قال الحسن البصري: «هؤلاء مع رسول الله، وفي سبيل الله، غِضابٌ لله، يقاتلون أعداء الله، نُـهوا عن شيء فصنعوه، فوالله ما تُرِكوا حتى غُمُّوا بهذا الغم، فأفسقُ الفاسقين اليوم يتجرَّأ على كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويسحب عليها ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم».

تفسير الطبري (٦ / ١٤٤)

٧٧٣. المعصية بعد النعمة أشد من المعصية قبل النعمة؛ قال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (٢ / ٣١٣)

٧٧٤. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ حتى الاختلاف في الإرادات يؤدي إلى الفشل والهزيمة والضعف والتفرق. توحيد الإرادات أولًا.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

٧٧٥. ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ كأنه قال: (والله ذو فضلٍ عليكم)، فأوقع الظاهر موقع المضمَر، وفيه فائدتان: بشارتهم بكونهم باقين على إيمانهم، والإعلام بأن الإيمان سببٌ في إسباغ فضل الله.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٢ / ٤١٥])

﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾

٧٧٦. ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ الله ﷻ يحب من عباده ألا يحزنوا.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (٢ / ٣٢٥)

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾

٧٧٧. ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ وفي هذه نكتةٌ لطيفة، وهي أنه جعل مُتعلَّق الابتلاء نفس ما أجنَّه الصدر، وهو القلب، وجعل مُتعلَّق التمحيص -وهو التخليص والتصفية- نفس ما حَلَّ في القلب من العقائد والنيات، فهو أخص من الأول وأعلى في الرتبة.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٢ / ٤٥٤]) مختصراً

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

٧٧٨. إذا قارف العبد الذنب ولم يبادر إلى التوبة، فلا يأمن أن يسلط الله عليه الشيطان، فيستزلّه ويغويه.

د. عبد الله السكاكر

٧٧٩. قوله: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ فيه فائدة، وهي أن المعفو عنه كثير، وأن ذلك البعض الذي أُصيبوا منه هو القليل، دلالةٌ على فرط كرمه تعالى، وتجاوزه عن عباده.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٢ / ٤٥٨])

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

٧٨٠. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ دلت الآية على أن لينه ﷺ لمن خالفوا أمره وتولوا عن موقع القتال إنما كان برحمةٍ من الله، فالله حقيقٌ بحمد النبي ﷺ، إذ وفَّقه لفضيلةِ الرفقِ بأولئك المؤمنين، وحقيقٌ بحمد أولئك المؤمنين، إذ كان لين رسول الله إنما هو أثرٌ من أثر رحمة الله.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٣٩٠)

٧٨١. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ إذا رزقك الله اللين في الدعوة، واللطف في الخطاب، فاعلم أنك في رحمة الله!

د. عبد الله بن بلقاسم

٧٨٢. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ قال ابن عقيل: «هذا رسول الله ﷺ، شِهَد الحقُّ له، لولا تَـخَلُّقه للخُلُقِ الجميل لانفضوا عنه؛ لا تقنع أنت بالعلوم وتظن أنها كافية في حوش الناس إلى الدين، بل حسِّن ذلك وحَلِّه بالأخلاق الجميلة».

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ١٠٩)

٧٨٣. فهل يليق بمؤمنٍ بالله ورسوله ويدَّعي اتباعه والاقتداء به أن يكون كَلًّا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول فظيعه؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٩٩)

٧٨٤. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال الضحاك ﷺ: «ما أمر الله عزَّ وجل نبيه ﷺ بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل»

تفسير الطبري (٦ / ١٨٩)

٧٨٥. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فيه إشعارٌ بمنزلة الصحابة ﷺ، وأنهم أهلُ الاجتهاد، إذ رفعهم الله إلى المنزلة التي يشاورهم النبي ﷺ ويرضى اجتهادهم، وأن باطن ضمائرهم مَرْضِيٌّ عند الله تعالى، فلولا ذلك لم يأمره بمشاورتهم، فدلَّ ذلك على يقينهم وصحة إيمانهم.

الجصاص، أحكام القرآن (٢ / ٣٢٩)

٧٨٦. فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلاً وأغزرهم علمًا وأفضلهم رأيًا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، فكيف بغيره؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٤)

٧٨٧. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ من أحب أعان محبوبه وأنجح مطلوبه.

الشهاب الخفاجي، عناية القاضي (٣ / ٧٥)

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

٧٨٨. إذا عَلِم الغالُّ أن كل كاسبٍ خيرًا أو شرًّا مُـجزى فمُوفى جزاءه، عَلِم أنه غير متخلِّصٍ من بينهم مع عِظَم ما اكتسب.

الزمخشري، الكشاف (١ / ٤٣٥)

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

٧٨٩. التسابق للحصول على أعلى الدرجات في الامتحانات واستغلال الأوقات وحفز الهمم لبلوغ أعلى المناصب والمراتب، لا بدَّ أن يدفعنا لتنافسٍ أكبر لنيل درجاتٍ أعظم، ثمرتها ليست شهادةً على ورق، بل جنة عرضها السماوات والأرض، بل لا ينبغي أن تقف آمالنا إلا عند الفردوس الأعلى، تأمل: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

أ. د. ابتسام الجابري

٧٩٠. سئلت أختٌ أسلمت قريبًا عن أعظم آية تستوقفها، فقالت: هي الآية (١٦٣) من سورة آل عمران: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

من مشاركات المتدبرين

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

٧٩١. ما أنعم على عبادهِ بنعمةٍ أجلَّ من أن هداهم للشريعة وجعلهم من أهلها، وممن ارتضاها لهم وارتضاهم لها، فلهذا امتن عليهم بأن هداهم لها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٣٠٢)

٧٩٢. فيه الإيذان بأن كُلًّا من الأمور المترتبة نعمةٌ جليلةٌ على حيالها مستوجبةٌ للشكر، فلو رُوعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] الآية لتبادر إلى الفهم عدُّ الجميع نعمةً واحدة.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢ / ١٠٨)

٧٩٣. إنما السعيد من أكرمه الله بالاشتغال بالقرآن الكريم، تلاوة وتزكية وتعلُّمًا وتعليمًا؛ إذ هو مجمل وظائف الأنبياء ﷺ، وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١ / ٩٨)

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

٧٩٤. ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ فإذا كان الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ تصيبهم عقوبات الذنوب ويُبتَلَون، فكيف بغيرهم؟!

ابن باز، فتاوى نور على الدرب (١٣ / ٤١١)

٧٩٥. الله تعالى يُذكِّر عبادَه أثناء المصائب ما يقابلها من النعم، لئلا تسترسل النفوس في الجزع، فإنها إذا قابلت بين المصائب والنعم خفت عليها المصائب، وهان عليها حملها، كما ذَكَّر الله المؤمنين حين أُصيبوا بأُحد ما أصابوا من المشركين ببدر فقال: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾.

السعدي، القواعد الحسان (ص: ١٤٥)

٧٩٦. إننا إذا نظرنا إلى تسليط اليهود على العرب، وجدناه من عند أنفسهم كما أجيب المصابون يوم أحد: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، ولو تصورنا حال العرب اليوم، لوجدنا فيهم ما هو من أكبر أسباب الخذلان والهزيمة! ففيهم من يدعو غير الله، وفيهم من لا يقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة، وفيهم من يعطل الشريعة، فإذا كانت معصية واحدة من أسباب الهزيمة، فما بالكم بهذه الفظائع التي توجد في بعض البلاد العربية اليوم؟

ابن عثيمين، الضياء اللامع (٢ / ٣٧٢) مختصر

٧٩٧. من الحقائق التي نشيح عنها وجوهنا؛ أنَّ أكثر بلائنا من عند أنفسنا أو من بني جلدتنا، لا من أعدائنا المتربصين بنا!

د. علي العمران

٧٩٨. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ نقضت هذه الآية -في وقت مبكر- المبالغة في نظرية المؤامرة.

د. حمد الماجد

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

٧٩٩. عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد ﷺ يقول: لو بِعتُ داري فلحقْتُ بثغرٍ من ثغور المسلمين، فكنت بين المسلمين وبين عدوهم! قلت: كيف وقد ذهب بصرك؟ قال: ألم تسمع إلى قول الله ﷻ: ﴿تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾، أُسوِّد مع الناس [يعني: أُكثِّر من سواد المسلمين وإن لم أقاتل]، ففعل.

تفسير ابن المنذر (٢ / ٤٨٢)

٨٠٠. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولاً مقرونًا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان ذلك القول زورًا، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾، وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١]، وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف:٥].

تفسير الثعلبي (١٣ / ٢٩٨)

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

٨٠١. فيه إحمادٌ لحال من يرى نفسه في خيرٍ فيتمنى مثله لإخوانه في الله.

الزمخشري، الكشاف (١ / ٤٤٠)

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

٨٠٢. قد روعيت هنا نكتةٌ جليلة، وهي أنه قُوبِل قولٌ بقولٍ، وأمرٌ قلبي بأمرٍ قلبي.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٣ / ٢٦٥])

٨٠٣. في هذه الآية دليل على أن الله يُحدِث لعبده أسباب المخاوف والشدائد ليُحدِث العبدُ التوكلَ على ربه والإخلاص والتضرع، فيزداد إيمانُه وينمو يقينُه.

السعدي، المواهب الربانية (ص: ٣٩)

٨٠٤. أثنَوْا عليه تعالى بقوله: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، فدل على أن قولهم: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ هو من المبالغة في التوكل عليه، وربط أمورهم به تعالى.

أبو حيان، البحر المحيط (٣ / ٤٣٧)

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

٨٠٥. مَن تدبَّر هذه الآية حق التدبر عَلِم أن المؤمن الصادق لا يكون جبانًا، فالشجاعة وَصْفٌ ثابتٌ للمؤمنين.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٤ / ٢٠٢)

٨٠٦. من أعظم مقاصد الشَّيطان: بثُّ الخوف بشتَّى أنواعه في قلوب المؤمنين، وعلاجُ ذلك تجريدُ الخوف لله وحده.

د. محمد الحمد

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

٨٠٧. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ أبلغ من (يسرعون)، لأن مَن يسارِع غيره أشدُّ اجتهاداً من الذي يسرع وحده.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١ / ٥٤٤)

٨٠٨. أخبر أن الكافر الذي كفر بربه، وترك حقه، وأشرك به، وعبد غيره، وتعدى حدوده وانتهك محارمه؛ لا يضره شيئًا، كما يَضر المخلوقَ من السادة ونحوهم مَن يجحد حقوقهم ويكفر نعمهم ويعتدي عليهم، فالله ﷻ ليس كمثله شيء، ولا تُضرب له الأمثال.

ابن تيمية، جامع المسائل (٦ / ٢٣٥)

٨٠٩. فيه أن الله خلق الخلق ليعبدوا فيربحوا وينالوا حظًا في الآخرة، فهؤلاء بَدَّلوا ذلك الحظ بسبب المسارعة في الكفر بالعذاب العظيم.

الطيبي، فتوح الغيب (٤ / ٣٥٥)

٨١٠. لـمَّا دلَّت المسارعة في الشيء على عِظَم شأنه وجلالةِ قدرة عند المسارع وَصَفَ عذابَه بالعِظَم رعايةً للمناسبة، وقيل: وَصَفَ العذاب بالعِظَم إيذانًا بأن قصد إضرار العظيم أمرٌ عظيم، يترتب عليه العذاب العظيم.

الآلوسي، روح المعاني (٢ / ٣٤٤) مختصر

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

٨١١. إن مجرد طول العمر ليس خيرًا للإنسان إلا إذا أحسن عمله، لأن طول العمر أحيانًا يكون شرًّا للإنسان وضررًا عليه، فهؤلاء الكفار يملي الله لهم -أي: يمُدُّهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات- لا لخيرٍ لهم، ولكنه لشرٍّ لهم، لأنهم سوف يزدادون بذلك إثمًا.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢ / ١٠٧)

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

٨١٢. هل سمعت بطفلٍ يتدبَّر القرآن؟ قال أحدهم: كنت مع ابنتي (٧ سنوات)، فسَمِعَتْ قارئًا عبر الإذاعة يتلو: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، فسألت ببراءة: إذا كان الله فقيرًا وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟!

من مشاركات المتدبرين

٨١٣. انظر كيف قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ حين وصفوا الله تعالى بالنقص، قبل أن يقول: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾؛ مما يدل على أن وصف الله بالنقص أعظم من قتل الأنبياء.

ابن عثيمين، تفسير السُّوَر من الحجرات إلى الحديد (ص: ١٤)

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

٨١٤. كلهم سيذوقونه: المحسن والمسيء، الغني والفقير، المتواضع والمتكبر.. فإذا كانت هذه نهاية الجميع، فطوبى لمن لقي ربَّه وقد أمضى حياته فيما يستطيعه من تعبُّد، ودعوة إلى الله، ونفع للخلق.

من مشاركات المتدبرين

٨١٥. ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة، لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا فهي مكدرة، وكذا القول في جانب العقاب فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص، بل يمتزج به راحات وتخفيفات، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة، نعوذ بالله منه.

الرازي، مفاتيح الغيب (٩ / ٤٥٢) مختصر

٨١٦. ﴿زُحْزِحَ﴾ أي: دُفع ببطء، وذلك لأن النار -أعاذنا الله وإياكم منها- محفوفةٌ بالشهوات، والشهواتُ تميل إليها النفوس، فلا يكاد الإنسان ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران (٢ / ٥١٢)

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

٨١٧. أمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى وذلك تنبيهٌ على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض.

ابن تيمية، الاستقامة (١ / ٣٨)

٨١٨. تأمل قوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ.... أَذًى﴾، ولم يقل: ضرراً؛ لأن هذا الذي نسمع يؤذينا، ولكن لا يضرنا.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (٢ / ٥١٨)

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

٨١٩. قال قتادة: «هذا ميثاقٌ أخذه الله على أهل العلم، فمن عَلِمَ شيئًا فليُعَلِّمه، وإيَّاكم وكتمانَ العلم، فإن كتمان العلم هَلَكة».

تفسير الطبري (٦ / ٢٩٦)

٨٢٠. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال الشعبي: «إنهم قد كانوا يقرؤونه، إنما نبذوا العملَ به».

تفسير الطبري (٦ / ٢٩٩)

٨٢١. قال ابن عقيل: «فاللهَ اللهَ! لا تنس الأدب فيما وجب عليك فيه حسن الأدب؛ ما أخوفني أن يكون المصحف في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحقِّ سبحانه فيه، فتدخل تحت قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾».

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٣١٨)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

٨٢٢. مُلكُ الله تعالى لكل شيء وقدرته على كل شيء تُوجب الخوف منه والرغبة إليه، وأكثر الناس عن هذا غافلون، وبه جاهلون.

أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (١ / ٤٢٤)

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

٨٢٣. في إيجاد السموات والأرض آيات، وفي اختلاف الليل والنهار: طولاً وقصرًا، وحرارةً وبرودةً، وخوفًا وأمنًا، وشدةً ورخاءً، وعزًّا وذلًّا، وملكًا وخلعًا، وغير ذلك من أنواع الاختلاف، كل ذلك فيه آيات تدل على عظمة الربِّ ﷻ، وأنَّ له الملك المطلق والتدبير المطلق.

ابن عثيمين، الشرح الصوتي لصحيح مسلم

٨٢٤. ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ هم لصلاح عقولهم وسلامتها وصحَّتها وصفهم الله بهذه الصفات، وهي أنهم يذكرونه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في هذه الآيات التي أوجدها سبحانه.

مجموع فتاوى ابن باز (٥ / ٢٠)

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

٨٢٥. وإذا كان هذا في الذِّكر الذي هو مقصودٌ في التعظيم؛ فالفتوى جالسًا أو مضطجعًا لحاجة الناس من باب أولى.

د. عبد الكريم الخضير

٨٢٦. أثنى الله على الذين يتفكرون في عظمته سبحانه فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾، فالتفكر والتدبر من أعمال القلوب، فإذا تفكَّر

الإنسان في عظمة الله، وتذكر ذنوبه وإساءته وتفريطه في جنب الله، وذرفت عيناه من خشية الله فهذه قُربةٌ بقلبه.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (صوتي)

٨٢٧. تأمَّل كيف جاء الثناء عليهم بصيغة الفعل المضارع (يتفكَّرون) التي تدل على الاستمرار، فالتفكر ديدنهم، وليس أمرًا عارضًا؛ قال أبو الدرداء ﷺ: «التفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة»[1]. وكلام السلف في تعظيم عبادة التفكُّر كثير، فكم هو نصيبنا منها؟

من مشاركات المتدبرين

٨٢٨. الفِكر هو مبدأ أيِّ عمل، فالإنسان إنما يعمل عادةً بعد أن يُـجيل فكره، وبعد أن ينظر، ثم بعد ذلك يقدم على العمل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، فبعد أن تفكروا عملوا؛ فسألوا الله الجنة، واستعاذوا به من النار.

أ. د. خالد السبت

٨٢٩. التفكُّر في خلق الله أمره عظيم؛ لأنه يُحدِث الوجل، والعلمَ، واليقين، وهذه كلها عبادات جليلة!

صالح آل الشيخ

٨٣٠. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ تأمل كيف أخبر سبحانه عنهم بنفي الباطلية عن خَلْقِه دون إثبات الحكمة، لأن نفي الباطل على سبيل العموم والاستغراق أوغل في المعنى المقصود، وأبلغ من إثبات الحِكَم، لأن بيان جميعها لا تفي به أفهام الخليقة، وبيان البعض يؤذن بتناهي الحكمة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢ / ٨٥)

(١) رواه أحمد في الزهد (ص: ١١٤).

٨٣١. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ فيه تعليمُ العباد كيفية الدعاء، وذلك أن من أراد الدعاء فلا بد وأن يقدِّم الثناء ثم يذكر بعده الدعاء، كما في هذه الآية.

الرازي، مفاتيح الغيب (٩ / ٤٦٣)

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾

٨٣٢. ليس الخزي أن تدعو وتأمر بمعروف وتنهى عن منكر، فلا يستجاب لك، أو تُرَدَّ دعوتك، بل الخزي هو الغضب من أعظم عظيم، والعذاب الأليم، أمام جميع العالمين من الأولين والآخرين.

من مشاركات المتدبرين

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

٨٣٣. تأمل كيف تضمَّن إيمانهم به الإيمانَ بأمره ونهيه ورسله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصدق وعده والخوف من وعيده، واستجابتهم لأمره، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى، فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه.

ابن القيم، حادي الأرواح (ص: ٨٩)

٨٣٤. أتى بلفظ الرب تنبيهًا على أنه المستحق للإيمان به والإذعان إليه، لاتِّصافِه بتربية عباده وإحسانه إليهم وإنعامه عليهم وإصلاحه أحوالهم، ولأنه مالكهم والقاهر لهم.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٣ / ٤٠٩])

٨٣٥. قولهم: ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ دون (أبرارًا) أي: لسنا بأبرار، فاسلُكنا معهم، وفي ذلك هَضْم للنَّفس، وحُسنُ أدب.

الألوسي، روح المعاني (٢/٣٧٥) بتصرف

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

٨٣٦. طابَق بين قوله: ﴿رَّبَّنَآ﴾ وبين قوله: ﴿رَبُّهُمْ﴾؛ أي: فاستجاب الذي نادَوه بذلك الاسم، وأضاف ذاته الشريفة إليهم كما أضافوا أنفسهم إليه في قولهم: ﴿رَّبَّنَآ﴾.

السمين الحلبي، القول الوجيز (آل عمران [٣ / ٤٢١ -٤٢٢])

٨٣٧. ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ العطية تَعظُم بحسب معطيها، والهبة تَعظُم بحسب واهبها، وإذا كان ذلك الثواب من عند الله كان هذا دليلاً على أنه ثوابٌ عظيم، لأن الثواب من العظيم عظيم.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران (٢ / ٥٧٩)

٨٣٨. جاءت هذه الآية بعد أن دعَوا ربهم بخمس دعوات عظيمات، قال الحسن رحمه الله: «ما زالوا يقولون: ربَّنا ربَّنا؛ حتى استجاب لهم ربهم»[1]، فكم يخسر المقصرون في عبادة الدعاء والمتعجلون في رؤية ثمرته، وكم يربح ويسعد من فُتح له باب الدعاء، ومناجاة مولاه الذي يحب الملحين في الدعاء!

من مشاركات المتدبرين

٨٣٩. تدبر: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ الله أكبر! كل هذه الأعمال العظيمة: هجرة، وإخراج من الديار، وجهاد، بل وقتل،

(١) رواه الثعلبي في تفسيره (٩ / ٥٦٨).

ومع ذلك يقول الله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾! وأحدنا اليوم يجرُّ نفسه لصلاة الفرض جرًّا، ويرى أنه بلغ مرتبة الصديقين!

عبد العزيز المديهش -

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

٨٤٠. ما وجه الاستدراك في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾، [آل عمران: ١٩٨] بعد قوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾؟ الجواب: الاستدراك هنا من ألطف ما يكون؛ لئلا يظن الظانُّ أن الله لو مكَّن المؤمنين أن يتقلَّبوا في البلاد تقلُّبَ الكفار لَفَاتهم ما عند الله، فبيَّـن أنه لن يفوتهم!

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران (٢/٥٨٧)

٨٤١. هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعُّمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كلَّه ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتَّعون به قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٢)

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

٨٤٢. قال عبد الله ابن مسعود: «ما مِن نفسٍ بَـرَّةٍ ولا فاجرة إلا الموت خيرٌ لها، لئن كان بَرًّا لقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾، وإن كان فاجرًا لقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]».

تفسير ابن المنذر (٢ / ٥٠٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

٨٤٣. ما أروع القرآن حين يكون مؤثِّرًا في حياتنا كلِّها، ومفزعًا لحل مشاكلنا، شكى مسؤول للشيخ ابن باز ﷺ عقبات يجدها في عمله، فأخذ الشيخ بيده، وعقد أصابعه واحدًا واحدًا عند كلِّ أمر من هذه الأوامر التي خُتمت بها السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

من مشاركات المتدبرين

سورة النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

٨٤٤. في سورة النساء لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى؛ لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء:١٧٦]، وهذان الوصفان -العلم والقدرة- بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعًا للأوامر والنواهي، منقادًا للتكاليف.

ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (٧ / ١٥٨)

٨٤٥. في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تنبيهٌ على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسبٍ وأشد اتصال وأقرب علاقة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٣)

٨٤٦. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ قرن الله الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٣)

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾

٨٤٧. ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ ابتدأت السورة بحقِّ اليتامى لأنهم أضعف فئة في المجتمع، فإذا حُفظ حقُّ الأضعف كان ذلك أدعى لحفظ مَن فوقه.

أ. د. محمد الربيعة

٨٤٨. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾ خَلْط الخبيث بالطيب لا يُطيِّب الخبيث.

أ. د ابتسام الجابري

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥﴾

٨٤٩. ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ إذا كان هذا أمرًا بحفظ المال؛ فحفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (١ / ٥٨)

٨٥٠. ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ ولم يقل: (أموالهم) مع أنها أموال السفهاء؛ لقوله بعده: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ فأضافها إليهم حين صاروا رشداء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ٨٠)

٨٥١. ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا﴾ إنما قال: ﴿فِيهَا﴾، ولم يقل: (منها) لئلا يكون ذلك أمرًا بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقًا لهم، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانًا لرزقهم، بأن يتَّجِروا فيها ويثمِّروها، فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال.

الرازي، مفاتيح الغيب (٩ / ٤٩٦)

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾

٨٥٢. إنما قال: ﴿حَسِيبًا﴾، ولم يقل: (شهيدًا) مع مناسبته؛ تهديدًا للأوصياء لئلا يكتموا شيئًا من مال اليتامى، فإذا علموا أن الله يحاسبهم على النقير والقطمير، ويعاقبهم عليه؛ انزجروا عن الكتمان.

ابن عجيبة، البحر المديد (١ / ٤٦٦)

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧﴾

٨٥٣. السِّرُّ في قوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَ﴾: «لعل أحدًا يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَ﴾، فتبارك الله أحسن الحاكمين».

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٥)

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٨﴾

٨٥٤. يؤخذ من هذا المعنى أن كل من تطلَّع وتشوَّف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٥)

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾

٨٥٥. استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدَين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأةً من السبي تدور على ولدها، فلما وجدته أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أترون هذه طارحةً ولدها في النار»، قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فواللهِ للَّهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها»[1].

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢ / ٢٢٥)

﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾

٨٥٦. ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ تأمل تعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة؛ إيذانًا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين.

ابن القيم، جلاء الأفهام (ص: ٢٣٣)

(١) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَاراً خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

٨٥٧. وذَكَر في العذاب (الهوان) كما ذَكَر في غيره (الخزي) لما عُرِف من عادة كثير من الناس أن تقل مبالاتهم بالشدائد ما لم يضامَّها الهوان حتى قالوا: (الـمَنيَّة ولا الدنيَّة، والنار ولا العار)، فبيَّن أنه يُجمع لهم الأمران.

تفسير الراغب الأصفهاني (٣ / ١١٣٧)

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

٨٥٨. كل من عصى الله فهو جاهل، لأن من كان عالـمًا بالله تعالى وعظمته وكبريائه وجلاله فإنه يهابه ويخشاه، فلا يقع منه مع استحضار ذلك عصيانه، كما قال بعضهم: لو تفكَّر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوه.

ابن رجب، لطائف المعارف (ص: ٣٣٤) مختصر

٨٥٩. وقت التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾، قال ابن عباس ﷺ: «قبل المرض والموت». علَّق ابن رجب ﷺ: «هذا إشارة إلى أفضل أوقات التوبة، وهو أن يبادر الإنسان بالتوبة في صحته قبل نزول المرض به؛ حتى يتمكن حينئذٍ من العمل الصالح، ولذلك قرن الله تعالى التوبةَ بالعمل الصالح في مواضع كثيرة من القرآن».

لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٣٥)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

٨٦٠. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ طيِّبوا أقوالَكم لهن، وحسِّنوا أفعالَكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم. كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢ / ٢٤٢)

٨٦١. ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ الإنسان لا يكاد يجد محبوبًا ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يحب. وأنشدوا في هذا المعنى:

ومَـن لم يُغْمِضْ عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يَـمُت وهو عاتب

ومـــن يتتبع جـــاهـــداً كل عـــثرةٍ ... يجدها ولا يسلم له الدهـــر صاحب

ابن الجوزي، زاد المسير (١ / ٣٨٦)

٨٦٢. ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ ؛ أي: ينبغي -أيها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم ولو مع الكراهة، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك:

١. امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.
٢. أن إجباره نفسه -مع عدم محبَّته لها- فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة.
٣. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك.
٤. وربما رُزق منها ولداً صالحاً نفع والديه في الدنيا والآخرة.
٥. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٢)

٨٦٣. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير؛ فبعضه يمكن التوصُّل إلى معرفة ما فيه من الخير عند غوص الرأي، وبعضه قد عَلِمَ اللهُ أن فيه خيرًا، لكنه لم يَظهَر للناس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤ / ٢٨٧)

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

٨٦٤. قوله: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قَيدٌ خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تَحرُم ولو لم تكن في حجره، ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

» إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت، فمن المستقبح إباحتها.

» والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة، وأنها بمنزلة مَن هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٣)

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

٨٦٥. والأهل هنا بمعنى السادة المالكين، وهو إطلاق شائع على سادة العبيد في كلام الإسلام، وأحسب أنه من مصطلحات القرآن تلطفًا بالعبيد.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥ / ١٥)

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

٨٦٦. هكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد يود أن يكون كل الناس مثله.

أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (١ / ٤٦٥)

٨٦٧. لن يكتفي أتباع الشهوات بما يسوغ الخلاف فيه؛ حتى يجنحوا بالأمة إلى ما لا خلاف على تحريمه: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾.

د. عبد الله السكاكر

٨٦٨. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ هذا بيان صريح من الذي يعلم السرَّ وأخفى سبحانه: أنَّ هذا الصنف من الناس -سواء كانوا صحفيِّين أو كُتَّابًا أو روائيين أو أصحاب قنوات هابطة- يريدون أن يميلوا بالأمة ميلًا، وأكد هذا الميل بأنه عظيم، إذ لا تكفيهم مشاريع الإغواء الصغيرة.

أ. د. عبد المحسن المطيري

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

٨٦٩. سئل سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ ما ضعفُه؟ قال: «المرأةُ تمُرُّ بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها، ولا هو ينتفع بها، فأيُّ شيءٍ أضعف من هذا؟!».

حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٧/ ٦٨)

٨٧٠. في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ بيان لضعف الإنسان الجبلي، وفيه إرشاد له بألَّا يغرر بنفسه فيلقي بها في مواطن الشهوات؛ ثقةً بعلمه ودينه، فمن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه.

د. محمد خير

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

٨٧١. إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادتهم؛ فتح لهم بابًا أنفع لهم منه وأسهل وأولى، وهذا من لطفه، فنهاهم عن تمني ما ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، وأمرهم أن يسألوه بلسان الحال.

السعدي، القواعد الحسان (ص: ١٢٤)

٨٧٢. إذا كان هذا النهي -بنص القرآن- عن مجرد التمني، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادي بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعو إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة؟!

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة (ص: ٢١)

٨٧٣. ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ قال سفيان بن عيينة ﷺ: «لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي!».

تفسير البغوي (٢ / ٢٠٥)

٨٧٤. من تمنى شيئًا مباحًا من أمر دنياه وآخرته، فليكن فزعه فيه إلى الله ﷻ، ومسألته منه، وإن عظمت أمنيته؛ قال الله ﷻ: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، وليس من هذا القبيل أن يتمنى الرجل مالَ غيره، أو نعمةً خصَّه الله بها حسدًا أو بغيًا، فإنه منهي عنه؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

البغوي، شرح السنة (٥ / ٢٠٨)

٨٧٥. ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ إلهي؛ ما أمرتني أن أسألك إلا وأنت تريد أن تعطيني، ولا دللتني عليك إلا وأنت تريد أن تهديني، ولا أمرتني بدعائك إلا وأنت تريد أن تجيبني. أسألك من فضلك أن تجعلني مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ابن قدامة، الوصية (ص: ٥١)

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

٨٧٦. من فوائد الآية: التدرج في التأديب: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ﴾، ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾، ويؤخذ من قوله: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ بطلان قول بعض علماء التربية المعاصرين الذين يقولون: إنه لا تحصل التربية بالضرب.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (١ / ٢٩٨ - ٢٩٩)

٨٧٧. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ إذا كنت متعاليًا في نفسك فاذكر علو الله ﷻ، وإذا كنت عظيمًا في نفسك فاذكر عظمة الله، وإذا كنت كبيرًا في نفسك فاذكر كبرياء الله.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٣ / ٢٦٣)

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

٨٧٨. التعبير القرآني يقول: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، ولم يقل: وإلى الوالدين، لأن المطلوب مباشرةُ الإنسان بالإحسان إلى والديه، لا إيصال الإحسان فقط.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (١ / ٣٠٩)

٨٧٩. في الأمر بالإحسان إلى الأقارب تنبيهٌ على أن من سفالة الأخلاق أن يستخِفَّ أحدٌ بالقريب لأنه قريبه وآمِنٌ من غوائله، ويصرف برَّه ووُدَّه إلى الأباعد ليستكفي شرَّهم أو ليُذكَر في القبائل بالذكر الحسن.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥ / ٥٠)

٨٨٠. قال عبد الله بن واقد: لا تجد سيئ المَلكة إلا وجدته مختالًا فخورًا، وتلا: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾، ولا عاقًا إلا وجدته جبارًا شقيًّا، وتلا: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم:٣٢].

تفسير الطبري (٧ / ٢١)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾

٨٨١. عن قتادة أنه تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ ثم قال: «لَأَنْ تَفضُلَ حسناتي سيئاتي بمثقال ذرَّةٍ أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها».

تفسير عبد الرزاق (١ / ٤٥٦)

٨٨٢. ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ قال أبو هريرة ﷺ: إذا قال الله ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ فمن يَقْدُر قَدْرَه؟!

مسند الإمام أحمد (١٠٧٦٠)

٨٨٣. ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ الله إذا مَنَّ بتفضله بلغ بعبده الغاية!

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢/ ٥٤)

﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثَۢا ٤٢﴾

٨٨٤. كان أحدهم يقرأ هذه الآيات وعنده عبد الله بن عمر ﷺ يستمع إليه، فبكى ابن عمر حتى ابتلَّت لحيته، وأطال البكاء حتى أراد بعضهم أن يكلم القارئ بأن يخفض صوته.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٤ / ١٦٢)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ٤٣﴾

٨٨٥. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ مِن أعظم مقاصد الصَّلاة العِلمُ بما يُقرَأ فيها ويُقال من الأدعية والأذكار.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

٨٨٦. ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ إنما عبَّر بالصعيد ليَصرِف المسلمين عن هَوَس أن يتطلَّبوا التراب أو الرمل مما تحت وجه الأرض غُلوًّا في تحقيق طهارته.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥ ٦٨)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

٨٨٧. التعبير بالاشتراء للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يُعرَض عنها كل الإعراض.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢ / ١٨١) مختصر

٨٨٨. حقيق بمن مَنَّ الله عليهم بشيءٍ من العلم أن يكونوا أسرع الناس انقيادًا للحق، وأبعد الناس عن الباطل، ولهذا شدَّد الله الذم بمخالفة هذين الأمرين على أهل العلم، كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص: ٨٦)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

٨٨٩. مرَّ كعب الأحبار -قبل أن يسلم- بقارئٍ يقرأ هذه الآية قراءة حزينة، فقال كعب: يا رب، أسلمتُ؛ مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين.

تفسير الطبري (٧ / ١١٨)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

٨٩٠. في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ نعمةٌ عظيمةٌ من وجهين:

» أحدهما: أن الآية تقتضي أن كل ميت على ذنبٍ دون الشرك لا يُقطَع عليه بالعذاب، وإن مات مُصِرًّا.

» والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

ابن الجوزي، زاد المسير (١ ٤١٨)

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

٨٩١. من طرق القرآن: دعوة الإنسان إلى العجب فيما يُتعجب منه، كما في قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (١ / ٤٠٤)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾

٨٩٢. من فوائد الآية: تأثير الدعاية بلبس الحق بالباطل، وإلا من المعلوم أن الكافر ليس فيما يرمي إليه أو فيما يذهب إليه؛ ليس فيه هداية إطلاقًا، ومع ذلك قالوا: إنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (١ / ٤١١)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

٨٩٣. متى أحذر مما حذرني منه ربي؟ من نارٍ حرُّها شديد، وقعرها بعيد، وعمقها طويل، لا يموت أهلها فيستريحوا، ولا تُقال عثرتهم، ولا تُرحم عبرتهم، طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

الآجري، أخلاق أهل القرآن (ص: ٨٠)

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾

٨٩٤. قال القرطبي ﷺ: هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع.

الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٥٥)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

٨٩٥. ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، دليلٌ على شمول الوحي؛ فلو لم يكن فيه الكفاية، لما كان للأمر بالرجوع له عند التنازع فائدة.

أ. د. عبد الرحمن الشهري

٨٩٦. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، ولم يقل: وإلى الرسول ﷺ؛ فإن الردَّ إلى القرآن ردٌّ إلى الله والرسول ﷺ، فما حَكَمَ به الله تعالى هو بعينه حُكْم رسوله ﷺ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حُكْم الله، فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه -يعني: كتابه- فقد رددتموه إلى رسوله ﷺ، وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله ﷺ فقد رددتموه إلى الله، وهذا من أسرار القرآن.

ابن القيم، الرسالة التبوكية (ص: ٤١)

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾

٨٩٧. هذا من كمال رحمته بعباده؛ يأمرهم قبل المعصية بالطاعة، وبعد المعصية بالاستغفار، وهو رحيمٌ بهم في كلا الأمرين.

ابن تيمية، جامع الرسائل (٢ / ٣٧٥)

٨٩٨. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ لم يقل: (واستغفرتَ لهم)، وعَدَلَ عنه إلى طريقة الالتفات؛ تفخيمًا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيمًا لاستغفاره!

الزمخشري، الكشاف (١ / ٥٢٨)

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

٨٩٩. لقد أقسم الله جل جلاله في كتابه بنفسه المقدسة قسمًا عظيمًا، يعرف مضمونه أولو البصائر، فقلوبهم منه على حذر إجلالاً له وتعظيمًا، فقال تعالى تحذيرًا لأوليائه وتنبيهًا على حال المنافقين وتفهيمًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٣٦٠)

٩٠٠. هذا يُوجب أنه ليس في أمره ونهيه ما يوجب الحرج لمن امتثل ذلك.

ابن تيمية، جامع الرسائل (٢ / ٣٧٩)

٩٠١. وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان، فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟

ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢ / ١٩٤)

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

٩٠٢. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ الثبات لا يكون بكثرة الاستماع للمواعظ، وإنما يكون بفعل ما يُوعظ به الإنسان!

د. سعيد بن مسفر

٩٠٣. من أسباب الفتنة: أن تترك ما أُمِرت به شرعًا، وتنشغل بما لم تُؤمَر به، ولن تُسأَل عنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾.

فهد العيبان

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

٩٠٤. قدَّم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأ بالأفضلين وهم النبيون، ثم ذكر من بعدهم بحسب تفاضلهم. كما تدرج من القِلَّة إلى الكثرة، فبدأ بالنبيين، وهم أقل الخلق، ثم الصديقين، وهم أكثر، ثم الشهداء ثم الصالحين، فكل صنفٍ أكثر من الذي قبله، فهو تدرُّجٌ من القِلَّة إلى الكثرة، ومن الأفضل إلى الفاضل، ولا شك أن أفضل الخلق هم أقل الخلق؛ إذ كلما ترقَّى الناس في الفضل قلَّ صنفهم.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني (ص: ٥٤)

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

٩٠٥. فهؤلاء المبطئون لم يحبوا لإخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم، بل إن أصابتهم مصيبةٌ فرحوا باختصاصهم، وإن أصابتهم نعمةٌ لم يفرحوا لهم بها، بل أحبوا أن يكون لهم منها حظ، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شرٍّ دنيوي ينصرف عنهم... ومن لم يسرَّه ما يسُرُّ المؤمنين، ويسوءه ما يسوء المؤمنين؛ فليس منهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ / ١٢٨)

﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

٩٠٦. إذا سلِمَتِ الرؤية من مؤثرات الدنيا تاقَت للآخرة بشَوق.

د. مشعل الفلاحي

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴿٧٥﴾﴾

٩٠٧. ذُكر (الولدان) تكميلاً للاستعطاف واستجلاب المرحمة، وتنبيهًا على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم للصبيان، وإيذانًا بإجابة الدعاء الذي شاركوا في التضرُّع إلى الله به.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢ / ٢٠٢)

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفاً ﴿٧٦﴾﴾

٩٠٨. سمَّى الله الإنسان ضعيفًا، وقال عن كيد الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾، والضعيفان إذا اقتتلا ولم يكن لواحدٍ منهما مُعينٌ لم يظفر بصاحبه، فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف، ليعصمه منه ويعينه عليه.

ابن الجوزي، بستان الواعظين (ص: ١٩)

٩٠٩. إن قلتَ: كيف وصف كيد الشيطان بالضعف، وفي قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨] وصف كيد النساء بالعِظَم، مع أن كيد الشيطان أعظم؟! قلتُ: كيد الشيطان ضعيفٌ بالنسبة إلى نصرة الله لأوليائه، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال.

عطية بن عطية الأجهوري، إرشاد الرحمن (ص: ٢٣٥)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

٩١٠. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إيجاب الصلاة والزكاة كان مُقدَّمًا على إيجاب الجهاد، وهذا هو الترتيب المطابق لما في العقول، لأن الصلاة عبارة عن التعظيم لأمر الله، والزكاة عبارة عن الشفقة على خلق الله، ولا شك أنهما مُقدَّمان على الجهاد.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٠ / ١٤٣)

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

٩١١. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾، هذا يقوله المنافقون لرسول الله ﷺ؛ أي: بسبب طاعتنا لك واتباعنا لدينك أصابتنا هذه المصائب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج:١١]، فهذا يتناول كل مَن جعل طاعة الرسول وفِعْلَ ما بُعث به مسببًا لشرٍّ أصابه، وهؤلاء كثيرون.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٢٤٩ - ٢٥٠) مختصر

٩١٢. ذمَّ الله مَن لا يفهم القرآن فقال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾، فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضًا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٨) مختصر

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

٩١٣. في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه؛ فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس وذمهم، ولكن يرجع إلى الذنوب فيتوب منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له الخير ويُدفَع عنه الشر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨ / ٢١٥)

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾

٩١٤. عن الربيع بن خثيم قال: «حرفٌ وأيُّما حرف: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، ففَوَّض إليه، فلا يأمر إلا بخير».

تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢ / ٦٧٤)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

٩١٥. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال أبو عثمان المغربي: «جرَّأك على تلاوة خطابه، ولولا ذاك لكلَّت الألسُن عن تلاوته».

طبقات الصوفية للسلمي (ص: ٣٦٠)

٩١٦. كما أن من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملومٌ مدحور، ومأزورٌ غير مأجور، فكذلك من تعامى عن آيات الكتاب، وكأنْ لم يقرع أذنه قارعٌ من هذا الباب؛ ولهذا نبه تعالى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ١٨٠)

٩١٧. إن تدبر القرآن وتأمل ما يهدي إليه بأسلوبه الذي امتاز به هو طريق الهداية القويم، وصراط الحق المستقيم، فإنه يهدي صاحبه إلى كونه من عند الله، وإلى وجوب الاهتداء به لكونه من عند الله الرحيم بعباده، العليم بما يصلح به أمرهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٥ / ٢٤٠)

٩١٨. من فوائد التدبر لكتاب الله أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٩) مختصر

٩١٩. كل شيء في القرآن تظن فيه التناقض -فيما يبدو لك- فتدبره حتى يتبين لك؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، فإن لم يتبين لك، فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك.

ابن عثيمين، القواعد المثلى (ص: ٥٨)

٩٢٠. إذن فنفي التنافر والاختلاف عن القرآن المجيد (سورٍ وآيات) مما يثبت إلهية مصدره، وحقيَّة تنزيله، ولمثل هذه الغاية تُوجَّه الهمم، وتُشحذ العزائم.

د. عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر (ص: ٢٢)

٩٢١. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، من التزم الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ﷺ لم يختلف كلامُه وعقائِدُه؛ لأن ذلك غير مختلف، بخلاف من تعصَّب لطائفةٍ من الطوائف.

ابن تيمية، مسألة حدوث العالم (ص: ١٥٩)

٩٢٢. القرآن لا يشتمل على كلام يُوجِب الريبة في أنه من عند الحقِّ ربِّ العالمين؛ من كلامٍ يناقض بعضه بعضًا، أو كلامٍ يجافي الحقيقة والفضيلة، أو يأمر بارتكاب الشر والفساد، أو يصرف عن الأخلاق الفاضلة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٢٢٣)

٩٢٣. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ فالقوانين الوضعية مهما كبرت عقول واضعيها واتسعت مداركهم وامتدت أنظارهم تختلفُ فيما بينها، فإن لم يكن بينها اختلاف فإن أوضاع الناس وأعرافهم تتبدَّل دائمًا، فتتخلَّف القوانين عن مسايرة أوضاع الناس فتحتاج إلى تعديل.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (٤ / ٣٢٥)

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

٩٢٤. تشمل الحُسْنَ في لغة الوجه، فمن سلَّم عليك مبتسمًا فابتسم له، ومن لم يبتسم فابتسم له؛ تكن أحسن منه.

د. صالح البهلال

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

٩٢٥. من صور البلاغة القرآنية: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ إتيان النفي بصيغة الاستفهام أبلغ من إتيان النفي مجردًا، لأنه يكون بالاستفهام مُشربًا معنى التحدي؛ كأنه يقول: لا أحد أصدق من الله حديثًا، وإذا كنت تزعم خلاف ذلك، فمن أصدق من الله؟

ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (١ / ٤١٨)

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾

٩٢٦. عَتِبَ الله ﷻ على الصحابة اختلافهم في المنافقين؛ فاحذر أن تختلف مع إخوانك مدافعًا عن منافقين.

أ. د. عبد المحسن المطيري

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾

٩٢٧. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ بعض مرضى القلوب تتحسن حاله ما دام في عافية، حتى تأتي فتنة فيرتكس، ويستبد به مرضه القديم من جديد!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾

٩٢٨. ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ تحرير رقبةٍ بلا دِيَة؛ لا جَبْرَ لخواطر الأعداء في شريعتنا.

د. فوزية الخليفي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ۚ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾

٩٢٩. ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الاحتراسُ طيِّب، وإحسانُ الظنِّ أطيب!

د. محمد الحمد

٩٣٠. ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ هذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيرَه أحوالاً كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذة المعلم التلميذَ بسوءٍ إذا لم يقصِّر في إعمال جهده، وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلَبَة العلم، فيعتادون التشديد عليهم، وتطلُّب عثراتهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥ / ١٦٨)

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

٩٣١. ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ سمَّى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مُراغِمًا، يُراغِم به عدوَّ الله وعدوَّه، والله يحب من وليِّه مُراغَمة عدوِّه وإغاظته.

ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٢٤١)

٩٣٢. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وكذا كلُّ مَن نوى خيرًا ولم يدركه فهو مُوَفِّيه إياه توفيةَ ما يلتزمه الكريم.

البقاعي، نظم الدرر (٥ / ٣٧٧)

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

٩٣٣. القرآن العظيم يُدبِّر الخطة العسكرية على أكمل الوجوه في الوقت الذي يحافظ فيه على الاتصال بخالق هذا الكون، وتربية الروح بأدبٍ سماويٍّ، وهو الصلاة في الجماعة.

الأمين الشنقيطي، العذب النمير (٢ ١٨٦)

٩٣٤. تدبر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، حيث قال: ﴿لَهُمُ﴾ مما يدل على أن الإمام ينبغي أن يعتني بصلاته أكثر، ويعتني بحال المأمومين، لأنه لا يصلي لنفسه، بل يصلي لمن خلفه من المأمومين أيضًا.

د. عبد الرحمن الدهش

٩٣٥. ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جهاد المؤمن يتكامل بين إقامة الصلاة لدحر العدو الباطني، وأخذِ السلاح لدحر العدو الظاهري.

د. عقيل الشمري

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

٩٣٦. الاستغفار بعد الفراغ من العبادة هو شأن الصالحين، فالخليل وابنه قالا بعد بناء البيت: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وأُمرنا به عند الانتهاء من الصلاة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، وبينت السنة أنه البدء بالاستغفار، وكذا أُمرنا به بعد الإفاضة من عرفة، فما أحوجنا إلى تذكُّر مِنَّة الله علينا بالتوفيق للعبادة، واستشعار تقصيرنا الذي يدفعنا للاستغفار.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

٩٣٧. ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ﴾ هذا تشجيعٌ لنفوس المؤمنين، وتحقيرٌ لأمر الكفرة... ثم تأكدَ التشجيعُ بقوله: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾، وهذا برهان بيِّن ينبغي بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢ / ١٠٨)

٩٣٨. كأن الله يقول لهم: لا ينبغي أن يكون خصومكم -وهم أشياع الباطل- أصبرَ على الآلام، وأثبتَ على مواقف الأخطار منكم، وأنتم حماة الحق!

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (٥ / ٢٠٠٨)

٩٣٩. ما نراه من مآسي المسلمين أمر يُجسد كلَّ صور الألم الجسدي والنفسي، لكن عزاؤنا أن ربنا أخبرنا أن الألم متبادل: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾، فعلى المؤمنين أن يُقَوُّوا رجاءهم بربهم، فهو ما يميزهم عن غيرهم.

د. عويض العطوي

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾

٩٤٠. سُمِّي ظلم النفس ظلمًا؛ لأن نفس العبد ليست ملكًا له، وإنما هي ملكٌ لله قد جعلها أمانةً عند العبد، وأَمَرَه أن يقيمها على طريق العدل.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٠٠)

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾

٩٤١. وإنما فرق بين (الخطيئة) و(الإثم)، لأن (الخطيئة)، قد تكون من قِبَل العمد وغير العمد، و(الإثم) لا يكون إلا من العمد، ففصل جلَّ ثناؤه لذلك بينهما، فقال: ومن يأت خطيئةً على غير عمدٍ منه لها أو إثمًا على عمدٍ منه... إلخ.

الطبري، جامع البيان (٧ / ٤٧٧)

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

٩٤٢. حتى الأنبياء لم يسلموا من محاولات الإغواء والإضلال، فمن يأمن البلاء بعد نبينا ﷺ؟ ومن الذي يظن أنه بمعزل عن الفتنة؟! نسأل الله الثبات على الحق.

من مشاركات المتدبرين

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾

٩٤٣. والفرق بين وعده وتمنيته أن الوعد في الخبر، والتمنية في الطلب والإرادة، فيَعِدُه الباطلَ الذي لا حقيقة له وهو الغرور، ويُمنِّيه المُحالَ الذي لا حاصل له. ومن تأمل أحوال أكثر الناس وجدهم متعلقين بوعده وتمنيته وهم لا يشعرون أنه يَعِد الباطل ويُمَنِّي المُحال.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١ / ١٠٧)

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾

٩٤٤. كل ظالمٍ معاقبٌ في العاجل على ظلمه قبل الآجل، وكذلك كل مذنبٍ ذنبًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، وربما رأى العاصي سلامةَ بدنه وماله فظنَّ أنْ لا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة، وربما كان العقاب العاجل معنويًّا، كما روي أن بعض أحبار بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني! فقيل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري! أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٦٥)

٩٤٥. من الاغترار أن تسيء فترى إحسانًا، فتظن أنك قد سُومحت، وتنسى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.

صيد الخاطر، ابن الجوزي (ص: ١٩٣)

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾

٩٤٦. ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النجم: ٢٤] ليس كل مَن تمنى خيرًا حصل له، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ما كُلُّ مَن زعم أنه مهتدٍ يكون كما قال، ولا كُلُّ مَن ودَّ شيئًا يحصل له.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧ / ٤٥٨)

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

٩٤٧. ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دخلت (مِن) للتبعيض؛ رِفقًا بالعباد، لأن الصالحات على الكمال لا يُطِيقها البشر.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٢١١)

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

٩٤٨. في هذه الآية إشارة إلى المبادرة في الحسم وإصلاح الشأن: إما بالوفاق أو الفراق، بعد أن تُتخذ الوسائل المشروعة، ولعل ذلك لا يقف عند مسألة الزوجية، بل يتعداه إلى أمور كثيرة من شأنها أن تعقد المشكلات، أو تنشئها إن لم تكن موجودة، فاللائق في الأحوال التي لا يسوغ فيها التروي أن تُحسم الأمور ولا تظل معلَّقة؛ ليعرف كل طرف ما له وما عليه، ولئلا يبقى في النفوس أثرٌ يزداد مع الأيام سوءًا.

د. محمد الحمد

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾

٩٤٩. فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في آيتين إحداهما في إثر الأخرى؟ قيل: كرر ذلك لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين، وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذِكرُ حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه، وفي الأخرى حفظُ بارئه إياه، وعلمه به وتدبيره.

الطبري، جامع البيان (٧ / ٥٨٠)

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

٩٥٠. ضابطٌ يضبط بها العبد نياته في سائر أقواله وأفعاله وأحواله، فكل ما يريده هو فقيرٌ فيه إلى مولاه فلا غنى له عنه.

أ. د. ابتسام الجابري

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

٩٥١. اختيار صيغة المبالغة ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ دلالة على أنه ينبغي الصبر واحتمال مشقة إقامة العدل في شأن المسلم كله، مع نفسه ومع الآخرين، وأن ذلك لا يتم إلا بالصبر وتوطين النفس على العدل.

أ. د. عبد الرحمن الشهري

٩٥٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ لا ينبغي للعبد أن يَحمِلَه بغضه لأعدائه ومن يجفوه أن يحيف عليهم، كما لا ينبغي أن يحمله حبه لنفسه ووالديه وأقاربه على أن يترك القيام عليهم بالقسط، فلا يدخله ذلك البغض في باطل، ولا يُقصِّر به هذا الحبُّ عن الحقِّ.

ابن القيم، الرسالة التبوكية (ص: ٣٣)

٩٥٣. ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ أكثر ظلم الناس لبعضهم لم يكن حبًّا للظلم لذاته، وإنما هو الجهل والهوى!

د. سليمان الماجد

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

٩٥٤. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية. ليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢ / ٤٣٤)

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

٩٥٥. أخذ عمر بن عبد العزيز قومًا على شرب الخمر، فضربهم وفيهم رجلٌ صائم، فقالوا: إن هذا صائم، فتلا قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

تفسير الطبري (٧ / ٦٠٣)

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

٩٥٦. في هذا الذم للمنافقين دليلٌ على وجوب الطمأنينة في الصلاة، وتكميل ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها، لأن العبد لا يسلم من هذا الذم إلا بهذا التكميل والإخلاص لله تعالى.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (ص: ١٥١)

٩٥٧. إذا رأيت الصلاة ثقيلة عليك، حتى ولو كانت نافلة، فاعلم أن في قلبك نفاقًا، لأن هذا شأن المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾، وإذا رأيت من قلبك خفة واستبشارًا، فاعلم أن هذا دليل على قوة إيمانك.

ابن عثيمين، شرح صحيح مسلم (صوتي)

٩٥٨. قرأ الحسن البصري ﷺ هذه الآية حتى بلغ: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ فقال: «إنما قلَّ لأنه كان لغير الله ﷻ»!

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٩٩)

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾

٩٥٩. علامة النفاق: إذا وجدت نفسك مترددًا بين القبول والإنكار لحكمٍ شرعي، فاعلم أنَّ فيك شَبَهًا من المنافقين؛ لأن المؤمن لا يمكن أن يكون مترددًا.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (٢ / ٣٦٩)

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾

٩٦٠. قال مكحول الشامي: أربعٌ من كُنَّ فيه كُنَّ له: الشكر والإيمان والاستغفار والدعاء، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ [الفرقان: ٧٧].

حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٥ / ١٨١)

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾

٩٦١. الله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى والعلم النافع كقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ١٥٢)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

٩٦٢. في قوله: ﴿بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يُحمَد عليها ويُشكَر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٧)

٩٦٣. فإذا علمت أيها المسلم أن هذا القرآن العظيم هو النور الذي أنزله الله ليُستضاء به، ويهتدى بهداه في أرضه، فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى عن النور؟!

الشنقيطي، أضواء البيان (٧ / ٢٦٣)

٩٦٤. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ به يستنير القلب والوجه، فالقرآن كله نور، ولكنه يحتاج إلى تأمل، وإلى تدبُّرٍ لمعانيه، وإلى عملٍ به

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء (٢ / ٥٢٩)

سورة المائدة

٩٦٥. سورة المائدة أجمعُ سورةٍ في القرآن لفروع الشرائع، من التحليل والتحريم، والأمر والنهي، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هي آخر القرآن نزولاً فأحِلُّوا حلالها وحرِّموا حرامها»(١)، ولهذا افتتحت بقوله: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٤٤٨)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

٩٦٦. تأمل أيها المؤمن؛ في آية واحدة: نداءٌ وتنبيه، أمرٌ ونهي، تحليلٌ وتحريم، إطلاقٌ وتقييد، تعميمٌ واستثناء، وثناءٌ وخبر، فسبحان من هذا كلامه!

د. عويض العطوي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٢٣٩).

٩٦٧. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ فيه الإشارة إلى مِنَّة الله ﷻ على هؤلاء الذين قصدوا البيت الحرام؛ وجه ذلك: لأن إضافة الربوبية إليهم دليلٌ على عنايته تبارك وتعالى بهم.

ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة (١ ٢٨)

٩٦٨. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ الرضوان: الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خصَّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى؛ قال ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾، وقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة: ٢١].

الراغب الأصفهاني، المفردات (ص: ٣٥٦)

٩٦٩. ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ لأن في التقوى رضى الله تعالى، وفي البر رضى الناس، ومن جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمَّت نعمته.

الماوردي، أدب الدنيا والدين (ص: ١٨٢)

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

٩٧٠. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي: للأصنام، فإنه يكون حرامًا حتى لو ذُكر اسم الله عليه، وذلك لتأثير النية، وأن النية تؤثِّر حتى في حِلِّ الشيء وتحريمه.

ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة (١ ٤٨)

٩٧١. قال الإمام مالك: من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذٍ دينًا، لا يكون اليومَ دينًا.

الإحكام لابن حزم (٦ / ٥٨)

٩٧٢. أيام الحج أيام عظيمة، وفي مثلها نزلت آيات عظيمة، يقول بعضهم: «هذا يوم صِلَة الواصلين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ويوم قطيعة القاطعين: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣]، ويوم إقالة عثر النادمين وقبول توبة التائبين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]، فكما تاب برحمته على آدم فيه، فكذلك يتوب على أولاده، وهو أيضًا يوم وفد الوافدين: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج:٢٧]».

الرازي، مفاتيح الغيب (٥ / ٣٢٦)

٩٧٣. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ كانت شرائع الإسلام تنزل شيئًا فشيئًا، فصار الحجُّ كمالَ الدين وتمامَ النعمة، فإذا لم يحج الرجل لم يكن إسلامُه ودينه كاملًا، بل يكون ناقصًا.

ابن تيمية، شرح عمدة الفقه - كتاب الحج (١ / ٢١٦)

٩٧٤. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٥] فكان إحلاله الطيبات يومَ أكمل الدين، فأكمله تحريمًا وتحليلًا لمَّا أكملوه امتثالًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٥٣)

٩٧٥. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ تأمل كيف وصف الدينَ الذي اختاره لهم بالكمال، والنعمةَ التي أسبغها عليهم بالتمام، إيذانًا في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل، ولا شيء خارجًا عن الحكمة بوجه، بل هو الكامل في حُسْنِه وجلالته، ووصف النعمة بالتمام إيذانًا بدوامها واتصالها، وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاها، بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار، وتأمل حُسْنَ اقتران التمام بالنعمة، وحُسْنَ اقتران الكمال بالدين، وإضافة (الدِّين) إليهم إذْ هم القائمون به،

المقيمون له، وأضاف (النعمة) إليه إذْ هو وليُّها ومسديها، والـمُنعِم بها عليهم، فهي نعمته حقًّا، وهم قابلوها، وأتى في الكمال بـ(اللام) المؤذنة بالاختصاص، وأنه شيءٌ خُصُّوا به دون الأمم، وفي إتمام النعمة بـ(على) المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والإحاطة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٣٠٢)

٩٧٦. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٢٦)

٩٧٧. ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فيه إشارةٌ إلى أن نَسْخ الأحكام قد انتهى، وأن هذا الدين دينٌ أبَديٌّ.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦ / ١٠٨) بتصرف

٩٧٨. من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن إيثار لفظٍ بَدَلَ آخر، فتأمل مثلاً: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، فما السرُّ في التعبير عن الدين بالكمال، وعن النعمة بالتمام؟ السر -والله أعلم- أنَّ الكمال لا زيادة عليه، ومن هنا يعلم أنه لا زيادة في الدين؛ لأنه اكتمل، أما النعمة فعبر عنها بالتمام، لأن التمام يقبل الزيادة ليصل إلى الكمال، ودليل ذلك أن النعم تختلف من زمن إلى آخر، فما يتنعم به بعض الفقراء اليوم لم يكن يحلم به هارون الرشيد في زمنه.

أ. د. محمد الصامل، مجلة بصائر (العدد الأول ١٤٣٠هـ)

٩٧٩. (٢٣سنة) هي الفاصلة بين هذه الآية التي نزلت في يوم عرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وبين نزول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ

﴿١٧﴾ الآيات [العلق: ١- ١٧]، فأين الشقي أبو جهل ومن كان معه في نادي قريش ليروا جموع الحجيج على صعيد عرفات وقد جاؤوا من كل فج عميق؟!

أ. د. عمر المقبل

٩٨٠. قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أنَّ علينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أيَّ يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم جمعة[1].
والسؤال: كم هم المسلمون الذين يعرفون من قيمة هذه الآية ما عرفه هذا اليهودي؟!

من مشاركات المتدبرين

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

٩٨١. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالِم، وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده، فدل على شرف العلم وفضله.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ٥٥)

٩٨٢. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من فوائد الآية: قَطْعُ ما يُوجِب الإعجاب بالنفس، لأن قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ فيه إسنادُ التعليم إلى البشر، فقد يُزهى الإنسان بنفسه ويَغترُّ ويُعجَب، فلهذا قال الله ﷻ: ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ إشارةً إلى أن عِلمَك الذي تُعلِّمه إياهن مصدره من عند الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة (١/ ٦٢)

(١) أخرجه البخاري (٧٢٦٨)، ومسلم (٣٠١٧).

٩٨٣. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه فائدة جليلة، وهي أنَّ كلَّ آخذٍ علمًا؛ لا يأخذه إلا من أبلغ أهله علمًا، وأنحرهم دراية، وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذٍ من غير مُتقنٍ قد ضيَّع أيامه، وعض عند لقاء النحارير أنامله.

الزمخشري، الكشاف (١ ٦٠٦)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾

٩٨٤. من أسرار الآية أنها تشتمل على سبعة فصول كلها مثنى: طهارتان: الوضوء والغُسل. ومُطهِّران: الماء والصعيد. وحُكمان: الغُسل والمسح. ومُوجِبان: الحدَث والجنابة. ومُبيحان: المرض والسفر. وكنايتان: الغائط والملامسة. وكرامتان: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

الحداد، الجوهرة النيِّرة (١ / ٣)

٩٨٥. ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ الحرج المنفي هنا هو الحرج الحسي لو كُلِّفوا بطهارة الماء مع المرض أو السفر، والحرج النفسي لو مُنعوا من أداء الصلاة في حال العجز عن استعمال الماء لِضُرٍّ أو سفرٍ أو فقد ماءٍ، فإنهم يرتاحون إلى الصلاة ويحبونها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦ ١٣١)

٩٨٦. في قوله تعالى في ختام آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ دلالة على أنَّه يُعفى عن كلِّ ما يشق التحرز منه من مبطلات الوضوء، وموانع كمال الطهارة.

د. إبراهيم الحميضي

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

٩٨٧. نهى أن يحملَ المؤمنين بغضُهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسقٍ أو مبتدعٍ متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالمًا له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا.

ابن تيمية، الاستقامة (١ / ٣٨)

٩٨٨. إنصاف التقيِّ خصومه مهما بلغ بُعدهم عنه، هو انتصارٌ للتقوى التي يدَّعيها!

عدنان البخاري

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

٩٨٩. الصلاة أعظم الأعمال، فإذا صَلَحَت صَلَحَ كل شيءٍ للإنسان دنيا وآخرة.. وفي أجواء الفتن التي نعيشها، وشدة الحاجة والأزمات، لا يحتاجُ الإنسان -إن كان مُتقِنًا لصلاته- لغير الله، وبفضل الله يكون الفرج: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

د. عبد الرحمن الدهش

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

٩٩٠. قال ابن عقيل: «يا من يجد في قلبه قسوة؛ احذر أن تكون نقضت عهدًا، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾».

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١ / ٣٥٣)

٩٩١. سئل سفيان بن عيينة ﷺ: هل يُسلَب العبدُ العلمَ بالذنب يُصيبه؟ قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾؟ وهو كتاب الله، وهو أعظم العلم، وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم، واختصُّوا به، وصار حجَّة عليهم.

أخبار لحفظ القرآن لابن عساكر (ص: ٢٥)

٩٩٢. العفو والتجاوز ليس هزيمةً كما يظن بعض الناس، وقد أشار ابن كثير ﷺ لهذا المعنى فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾: «هذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: (ما عاملتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه)، وبهذا يحصل لهم تأليفٌ وجمعٌ على الحق، ولعل الله أن يهديهم».

تفسير القرآن العظيم (٣ / ٦٦)

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

٩٩٣. التذييل بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، فيه تعظيم شأن الله تعالى، وردٌّ آخر عليهم بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وملك ما فيها من قبل أن يظهر المسيح، فالله هو الإله حقًّا، وأنه يخلق ما يشاء، فهو الذي خلق المسيح خلقًا غير معتاد.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦ / ١٥٥)

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

٩٩٤. ذكر ابن كثير أن بعض الشيوخ قال لصاحبه: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يجب! فتلا الشيخ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، علَّق ابن كثير قائلاً: «وهذا الذي قاله حسن».

تفسير القرآن العظيم (٣ / ٦٩)

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

٩٩٥. إذا تخاذل الناس فليكن لك موقفُ صدقٍ، تأمَّل في قصة فتح بيت المقدس وكيف قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، فحفظ القرآن موقف رجال الصدق في هذا المشهد المليء بالتخذيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾.

أ. د. محمد الربيعة

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

٩٩٦. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ هذا من الكلام المنطوي صاحبه على الالتجاء إلى الله والشكوى إليه، ورقة القلب التي تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة، ونحوُه قولُ يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

أبو حيان، البحر المحيط (٤ / ٢٢١)

٩٩٧. فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأن جليس السوء كصاحب الكير.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (ص: ٢١٧)

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

٩٩٨. قال علي بن أبي طالب ﷺ: «كونوا لقبول العمل أشد همًّا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾».

الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: ٣٩)

٩٩٩. قال ابن عمر ﷺ لابنه: «لو علمتُ أنَّ الله تقبَّل منِّي سَجدة واحدة أو صدَقةَ دِرهَم لم يكن غائبٌ أحب إليَّ من الموت. أتدري ممَّن يتقبَّل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾».

التمهيد لابن عبد البر (٤ / ٢٥٦)

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

١٠٠٠. هذا المشهد العظيم هو:

١. مشهد أول حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة.

٢. وهو أيضاً مشهد أول علم اكتسبه البشر بالتقليد وبالتجربة.

٣. وهو أيضاً مشهد أول مظاهر تلقي البشر معارفه من عوالم أضعف منه...

٤. فكم في هذه الآية من عبرة للتاريخ والدين والخلق!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦ / ١٧٤)

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

١٠٠١. ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إن لمعرفة تاريخ الشرائع تبصرةً للمتفقهين وتطمينًا لنفوس المخاطبين، وإزالةً لما عسى أن يعترض من الشُّبه في أحكامٍ خفيت مصالحها، كمشروعية القصاص.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦ / ١٧٧)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

١٠٠٢. كلما كانت العبادة تُقرِّب إلى الله أكثر كان الاهتمام بها أكثر.

ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة (١ / ٣٣٣)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

١٠٠٣. ما تُغني الحضارةُ التي بناها الكافر في يوم الحساب.

د. مشعل الفلاحي

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

» درتان من عقد بيان ابن تيمية رحمه الله:

١٠٠٤. الأولى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾: قيل: هو إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًّا وحزنًا وظلمة قلب وجهلًا، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم، ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يُطيِّبون عيشهم إلا بما يزيل العقل ويلهي القلب، من تناول مُسكرٍ أو رؤية مُلْهٍ أو سماع مطرب، ونحو ذلك.

١٠٠٥. الدرة الثانية: وبإزاء ذلك قولُه في المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١] فإن الله يُعجِّل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم وغيرها بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه،

وانشراح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان والعلم والعمل الصالح بما لا يمكن وصفه.

اقتضاء الصراط المستقيم (١ ١١٠)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١﴾

١٠٠٦. ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ في الآية ذمُّ أولئك الذين لا يَقبَلون من الحقِّ إلَّا ما وافق أهواءهم، وإذا لم يوافق أهواءهم ذهبوا يَتطلَّبون الرُّخَص.

ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة (١ ٤٠٦)

١٠٠٧. ليس من شأننا أن نُسمع الصم أو نهدي العمي، ولا الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم، فإذا هم لا يسمعون، أو يضعون أكفَّهم على أعينهم، فإذا الشمس الطالعة ليست بطالعة: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾، وإنما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طلاب الحق، ونوضح الطريق لسابلها من رواد اليقين.

محمد دراز، النبأ العظيم (ص: ١٠٨)

١٠٠٨. مَن اعتبر أن القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾، وقال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف: ١٤٦] وأمثال ذلك.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٣ ٢٤٢)

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

١٠٠٩. ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إذا كان ربنا تعالى قد عاب سماع الكذب، فما ظنك بالكذب نفسه؟

من مشاركات المتدبرين

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

١٠١٠. سئل إسماعيل بن إسحاق القاضي: ما بال التوراة والإنجيل زِيدَ فيهما ونُقِص منهما بخلاف القرآن؟ فقال: «إن الله جل ثناؤه وَكَلَ حفظَ التوراة والإنجيل إلى أهل الكتاب، فقال: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وتولى حفظ القرآن بنفسه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]».

الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي (مخطوط)

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

١٠١١. قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ كالتعليل للنهي ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ ؛ أي: إذا كانت أهواؤهم في مُتابعة شريعتهم أو عوائدهم فدَعُوهم وما اعتادوه، وتَمسَّكوا بشَرعِكم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦ / ٢٢٣)

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾

١٠١٢. ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يُبتلى العبد ويُزيَّن له ترك اتباع الرسول ﷺ!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٤)

١٠١٣. كلما تولَّيت عن طاعة فاعلم أن سبب ذلك وجود معصية مِن قبل جعلتك تتولى عن الطاعة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾، جعل التولي مصيبةً ببعض ذنوب سابقة.

ابن عثيمين، جلسات رمضانية (درس رقم ١٢)

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾

١٠١٤. كل حكم يخالف شريعة الله، فهو من فصيلة أحكام الجاهلية.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (٥ / ٢١٦٣)

١٠١٥. ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ الإنسان إذا تأمل الأحكام الشرعية ونظر فيها أدرك عظمة الله جل جلاله وحكمته، ولو جاء بعكسها لعَلِمَ عظمةَ هذا الحكم، وأنه ليس أسلم منه ولا أحسن منه ولا أكمل.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (صوتي)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾

١٠١٦. علاقة الكافر بالكافر وإن كانت في الأصل موجودة: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾، لكنها في الحقيقة هزيلة؛ لضعف الرابطة وعدم أصالتها: ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖ﴾ [البقرة:١٤٥]،

وفي الآخرة تنهار هذه الرابطة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨].

د. عبد الله الجلالي، العلاقات الاجتماعية في القرآن (ص: ١٧٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

١٠١٧. الحب في قاموس أهل القرآن لا يضاهيه أيُّ حب، إنه حب يتَّصل بالملكوت الأعلى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وإمامهم فيه محمد ﷺ: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فلا ينقضي عجبك حين يغفل بعض المسلمين عن هذا الحب الذي لا ينقطع لحظة واحدة، وينشطون لحبٍّ يتذاكرونه مرة كل سنة، وإمامهم فيه قسيس نصراني يدعى (فلنتاين)، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١]؟

أ. د. عمر المقبل

١٠١٨. ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيفَ القلب ضعيفُ الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٥)

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

١٠١٩. هذه بشارةٌ عظيمةٌ لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده؛ أنَّ له الغلبة وإنْ أُدِيل عليه في بعض الأحيان لحكمةٍ يريدها الله تعالى، فآخِر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلًا؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٦)

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

١٠٢٠. عن الضحاك بن مُزاحِم في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ قال: «ما في القرآن آيةٌ أخوَفُ عندي منها؛ إنَّا لا نَنهى».

تفسير الطبري (٨ ٥٥١)

١٠٢١. فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم، ويفرجوا لها عن قلوبهم، فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفَّهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يُسمِن ولا يغني من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة.

الشوكاني، فتح القدير (٢ ٦٤)

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

١٠٢٢. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ لا حَجْر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمرَ العباد أن يتعرَّضوا لنفحات جُودِه، وألَّا يسُدُّوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٨)

١٠٢٣. سمعت العلامة ابن باز يبكي لما قُرئ عليه قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ويقول: نعوذ بالله من الخذلان! بدلاً من أن يزيدهم القرآن هدى وتُقى، زادهم طغيانًا وكفرًا! وهذا بسبب إعراضهم وعنادهم وكبرهم، فاحذر يا عبد الله من ذلك حتى لا يصيبك ما أصابهم.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

١٠٢٤. النعيم في الآخرة يُنال بالإيمان والتقوى، والنعيم في الدنيا يُنال بإقامة حكم الله في الأرض.

من مشاركات المتدبرين

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

١٠٢٥. كم من فُرَص أُعطِيت، ولكن ماذا تنفع القلوب القاسية؟!

باسل الرشود

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

١٠٢٦. التكرير في قوله: ﴿ٱنظُرْ﴾ أولًا، ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ ثانيًا؛ فيه دليلٌ على الاهتمام بالنظر والتدبُّر، وإن اختلفت النظرتان.

محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (٢ / ٥٣٥)

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

١٠٢٧. إن القرآن ليحدثنا أن شعبًا قديمًا قد تعرَّضوا للعنةِ على ألسنة الأنبياء، وكان كل ذنبه حتى يستحق هذه اللعنة أن المجتمع لم ينكر على بعض أعضائه فعلهم للشر!

محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن (ص: ١٥٥)

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

١٠٢٨. لم يصف الله تعالى النصارى بأنهم أهل وُدٍّ، وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين، فهو قُرْب مودةٍ بالنسبة إلى متباعدين!

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢ / ٢٢٦)

١٠٢٩. من مصداق هذه الآية عن اليهود ما ذكره فريدمان (الحاخام بمعهد «بياس تشانا» للدراسات اليهودية) الذي دعا إلى إبادة العرب ومقدساتهم، وقال: «الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمروا مقدساتهم، واقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم... فعند تدمير مقدساتهم سوف يتوقفون عن الاعتقاد بأن الرب إلى جانبهم».

مجلة «مومنت» الأمريكية، (مايو ٢٠٠٩)

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

١٠٣٠. هذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقهم.

القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار (ص: ١٥٩)

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

١٠٣١. تأملت في فائدة تكرار التقوى في هذه الآية ثلاث مرات، فوقع لي أحدُ وجهين:

» أحدهما: أن الأول للماضي والثاني للحال والثالث في المستقبل.

» الثاني: أن الأول في مقام الإسلام والثاني في مقام الإيمان والثالث في مقام الإحسان، والمؤمن لا تكمل تقواه حتى يترك ما حرم الله ولا يتم دينه إلا بهذه المقامات الثلاثة .

السعدي، المواهب الربانية (ص: ١٢٨ - ١٢٩) مختصر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾

١٠٣٢. سهولة المعصية، وتيسُّر فعلها؛ يكشف لك حقيقة خوفك من الله!

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

١٠٣٣. ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ جاءت في سياق آيات منع المُحرِم من الصيد، وفيها تربية للنفس على ترك المباح في أصله (وهو الصيد الذي حُرِّم مؤقتًا) طاعةً لله، وتأمل كلمة ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾، ففيه تنبيه على نية من يصيد، ومن يُصاد له.

أ. د. محمد العواجي

١٠٣٤. الأمن في الحج: تأمل التهديد العظيم لمن عاد -بعد نهي الشرع له- إلى قتل الصيد وهو محرم، أو في حدود الحرم: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾، فإذا كان من يقتل حمامةً أو أرنبًا فهذا جزاؤه! فماذا يكون جزاء من قتل مسلمًا أو اعتدى عليه؟!

أ. د. عمر المقبل

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾

١٠٣٥. الحج قوام الدين والدنيا: يقول ابن جرير ﷺ: «كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قوام أمر العرب، الذي كان به صلاحهم في الجاهلية، وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم، ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم».

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٩ / ٩)

١٠٣٦. كانت الكعبة قيامًا للناس، إذ كانت سبب هداية العرب إلى التوحيد واتباع الحنيفية، واستبقت لهم بقيةً من تلك الحنيفية في مدة جاهليتهم كلها، لم يعدموا عوائد نفعها، فلما

جاء الإسلام كان الحج إليها من أفضل الأعمال، وبه تُكَفَّر الذنوب، فكانت الكعبة من هذا قيامًا للناس في أمور أُخراهم بمقدار تمسُّكهم بما جُعلت الكعبة له قيامًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ / ٥٨) مختصر

﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

١٠٣٧. قال أبو هريرة ﷺ: «لَدِرهمٌ حلالٌ أتصدَّق به أحب إليَّ من مئة ألف ومئة ألف حرام، فإن شئتم فاقرؤوا كتاب الله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾».

الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٢٠٤)

١٠٣٨. ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ مدار الاعتبار هو الخيرية والرداءة، لا الكثرة والقلة، وفي الأكثر أحسنُ كلِّ شيءٍ أقلُّه!

الآلوسي، روح المعاني (٤ / ٣٧)

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

١٠٣٩. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ الولد جزءٌ من والديه، فلذا عَظُم حقهما عليه، وكانت نعمتهما واجبة الذكر والشكر في حقه.

د. عبد الله العقيلي

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

١٠٤٠. في أواخر سورة المائدة ذكر الله ﷻ التحريف في الوصية: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [المائدة: ١٠٧]، ثم أتبعه بتحريفٍ من نوعٍ آخر، وهو تحريف النصارى لوصية عيسى بالتوحيد: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾.

من مشاركات المتدبرين

١٠٤١. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ هكذا افتتح عيسى ﷺ جوابه الذي تبرأ فيه من التثليث، مُبيِّنًا منهج الداعية فيما يأتي من الأقوال ويدع: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ﴾، وقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ مستحضرًا في ذلك علم الله ومراقبته: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، فوَفَّقَهُ ربُّه للأدب معه، وتعظيمه ومراقبته، ومعرفة القول المشروع، واجتناب الممنوع.

د. عبد الله الغفيلي

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

١٠٤٢. قام نبيك ﷺ ليلةً كاملةً بآيةٍ يرددها حتى أصبح، وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1]؛ لذا قال ابن القيم ﷺ: «فإذا مرَّ بآيةٍ وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها، ولو مئة مرة، ولو ليلة! فقراءة آيةٍ بتفكُّر وتفهُّم خيرٌ من قراءة ختمةٍ بغير تدبُّر وتفهُّم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن».

مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٧)

(١) أخرجه النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠).

١٠٤٣. إذا انفتح قلبك فقف! والمراد: أنك إذا وجدت قلبك قد تأثَّر بآية، وانفتح لها، فقف وكررها كثيرًا، فقد بقي نبيك ﷺ يردد آيةً ليلةً كاملة حتى أصبح[1]، هي خواتيم سورة المائدة: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

من مشاركات المتدبرين

١٠٤٤. التأمل في الأسماء الحسنى التي تُختَم بها الآيات الكريمة من مفاتيح فهم القرآن وتدبره، ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾؛ قال الشيخ السعدي رحمه الله: «لم يقل: (أنت الغفور الرحيم)، لأن المقام ليس مقام استعطاف واسترحام، إنما هو مقام غضبٍ وانتقام ممن اتخذ عيسى وأمه إلهين من دون الله، فناسب ذكر العزة والحكمة، وصار أولى من ذكر الرحمة والمغفرة».

القواعد الحسان (ص: ٥٩)

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾

١٠٤٥. قال الحسن البصري: «ارضَ عن الله يرضَ اللهُ عنك، وأعط اللهَ الحقَّ من نفسك؛ أما سمعت ما قال تبارك وتعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾».

الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٩)

١٠٤٦. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ قال بعض السلف: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟!

تفسير الثعلبي (١٠ / ٢٦٢)

١٠٤٧. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أيُّ تزكيةٍ أعظمُ من إعلان الله تعالى النتيجة الأُخرَويَّة لصَحْب نبيِّه محمد ﷺ؟ وأيُّ أمانٍ وسعادةٍ أبديَّة بعد الرضا الإلهي؟!

د. سعد بن مطر العتيبي

(١) التخريج السابق.

سورة الأنعام

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

١٠٤٨. ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أتت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مجموعة هنا لحكمة ظاهرة وهي تعلق الظرف بما في اسمه تبارك وتعالى من معنى الإلهية، فالمعنى: وهو الإله وهو المعبود في كل واحدة من السماوات.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١ / ١١٦)

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾

١٠٤٩. وإضافة (الرب) إلى ضمير (هم) لقصد التسجيل عليهم بالعقوق لحق العبودية، لأن من حق العبد أن يُقبِل على ما يأتيه من ربه، وعلى من يأتيه يقول له: إني مرسل إليك من ربك، ثم يتأمل وينظر، وليس من حقه أن يعرض عن ذلك.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ / ١٣٤)

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

١٠٥٠. في الآية أن المحروم لا ينفع معه علاج، نعوذ بالله من الحرمان.

د. صالح البهلال

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾

١٠٥١. قال قتادة: «ما لَبَسَ قومٌ على أنفسهم إلا لَبَسَ الله عليهم، واللبس إنما هو من الناس؛ قد بيَّن الله للعباد، وبعث رسله واتخذ عليهم الحجة، وأراهم الآيات، وقدَّم إليهم بالوعيد».

الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٥٢)

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾

١٠٥٢. هذا السير المأمور به سيرُ القلوبِ والأبدان الذي يتولَّد منه الاعتبار، أما مجرَّد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئًا!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥١)

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣﴾

١٠٥٣. له سبحانه ما سكن وما تحرَّك، لكنه خص السكون بالذكر، لأنه أغلب حالَي المخلوقات من الحيوان والجماد، وكل متحركٍ فمصيره للسكون.

أ. د. عبد الرحمن الشهري

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾

١٠٥٤. هذا الدين دين الله الحق، لا محاباةَ فيه لأحد مهما يكن قَدْره عظيمًا في نفسه.

محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار (٧/ ٢٧٨)

١٠٥٥. هذه الآية حفظها القرآن في ثلاثة مواضع عن نبينا ﷺ لما أُريد على دينه ورسالته، فما أحوج المؤمن أن يعلنها مُدَوِّية كلما أُريد على دينه، أو عَرَضت له معصيةٌ تقطعه عن سيره إلى الله تعالى.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

١٠٥٦. قال عامر بن عبد قيس: «ما أبالي ما فاتني من الدنيا بعد آياتٍ في كتاب الله: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾».

الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٦)

١٠٥٧. قدَّم ذِكْرَ إمساسِ الضرِّ على ذِكْرَ إمساسِ الخير، وذلك تنبيهٌ على أن جميع المضار لا بد وأن يحصل عَقيبها الخير والسلامة.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٢/٤٩٤)

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

١٠٥٨. لما كان في القهر ما يكون مذمومًا نفاه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾، فلا يُوصَل أثَر القَهر بإيقاع المكروه إلَّا لمستحق، وأتمَّ المعنى بقوله: ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ أي: بما يستحق كلَّ شيء، فتمَّت الأدلة على عظيم سلطانه.

البقاعي، نظم الدرر (٧ / ٣٩)

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

١٠٥٩. بعض القلوب الطيبة لا تصدِّق أن أحدًا يعرف الحق يقينًا ثم يعرض عنه.

باسل الرشود

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

١٠٦٠. في باب العقيدة لا يُكتفى بالحلف على صحة المعتقد. وصحيحُ المعتقد لا يلجأ للحلف لإثبات عقيدته.

د. عقيل الشمري

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

١٠٦١. عرف الكفار عظيم تأثير هذا القرآن، فلم يكتفوا بإعراضهم عنه، بل اجتهدوا في صدِّ الناس عنه بكل وسيلة، فصار نشر القرآن حفظًا وتدبُّرًا وتعليمًا من أعظم درجات الجهاد: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٥٢].

أ. د. عمر المقبل

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

١٠٦٢. ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾، هذا مشهد من مشاهد حسرات الكفار التي يتألمون فيها يوم القيامة على تفريطهم في أيام المهلة، وها هي الأزمنة الفاضلة تبلغنا، فلنحذر أن نقف موقف الندم غدًا إذا فرطنا فيها!

أ. د. عمر المقبل

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

١٠٦٣. باعث الصبر وحبل القوة للداعية أمام أعدائه وأحزانه أنَّ الله يعلم بها، ولن يُسْلِمَه مع علمه.

د. عبد الله العقيلي

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

١٠٦٤. كلما صار الإنسانُ أَسْمعَ لكلام الله ورسوله صارت استجابته أقوى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الأنعام (ص: ١٩٥)

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

١٠٦٥. لو اقتصر على ذكر الطائر فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ﴾؛ لكان ظاهر العطف يُوهِم (ولا طائرٍ في الأرض)؛ لأن المعطوف عليه إذا قُيِّد بظرف أو حال تقيَّد به المعطوف، فكان ذلك يُوهِم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه، كالدجاج والإوَزِّ والبط ونحوها، فلما قال: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ زال هذا التوهم، وعُلِم أنه ليس الطائر مقيَّدًا بما تقيَّدت به الدابة.

ابن تيمية، جامع المسائل (٨ / ٣٣٩)

١٠٦٦. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «ما في الأرض آدميٌّ إلا وفيه شبه من شبه البهائم، فمنهم مَن يُقدِم إقدام الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوَّس كفعل الطاوس، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو أُلقي لها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه وَلَغَت فيه، فكذلك تجد من الآدميين مَن لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدةً منها، وإن أخطأ رجلٌ عن نفسه أو حكى خطأ غيره تَرَوَّاه وحَفِظَه»، واستحسنه الخطابي وقال: «فاعلم يا أخي أنك إنما تعاشر البهائم والسباع، فليكن حذرك منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك».

العزلة للخطابي (ص: ٥٥)

١٠٦٧. قال بعض من طعن في الدين: إن الله تعالى يقول في كتابكم: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ فأين ذِكْرُ التوابل الـمُصلحة للطعام، من المِلح والفُلْفُل وغير ذلك؟ فقيل له: في قوله: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة:١٦٤].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢ / ١٩٦)

١٠٦٨. ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ قد اشتمل القرآن على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها بابٌ ولا مسألةٌ هي أصلٌ إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة.

السيوطي، الإكليل (ص: ١٨)

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

١٠٦٩. معنى ﴿عَلَىٰ﴾ الاستعلاء، وهو استعلاء السائر على الطريق، فالكلام تمثيلٌ لحالِ الذي خلقه الله فمَنَّ عليه بعقلٍ يرعوي مِن غَيِّه، ويصغي إلى النصيحة، فلا يقعُ في الفسادِ، فاتبع الدين الحق- بحالِ السائر في طريقٍ واضحةٍ لا يتحيَّر ولا يخطئ القصد، ومستقيمةٍ لا تطوحُ به في طول السير.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ / ٢٢٠)

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

١٠٧٠. قال قتادة ﷺ: «عاب الله عليهم القسوة عند ذلك. فتضعضعوا لعقوبة الله بارك الله فيكم، ولا تَعرَّضوا لعقوبة الله بالقسوة».

تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٢٨٩)

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

١٠٧١. عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج»، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

مسند الإمام أحمد (١٧٣١١)

١٠٧٢. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قال قتادة رحمه الله: «بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سلوتهم وغِرَّتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون».

تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٢٩١)

١٠٧٣. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ذَكَرَ الحمدَ تعليمًا لهم ولمن آمن بهم أن يحمدوا الله على كفايته شرَّ الظالمين!

البغوي، معالم التنزيل (٣ / ١٤٤)

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

١٠٧٤. ينبغي لكل مسلم أن يلاحظ قدرة الله وعظمته وجلاله، وأنه قادر على أن ينزِع منه السمع والبصر والعقل، فيتركه كالجماد لا يسمع شيئًا، ولا يبصر شيئًا، ولا يعقل شيئًا، فلا ملجأ له غير الله يزيل ذلك عنه، ولذا قال: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾.

الشنقيطي، العذب النمير (١ / ٢٧٤)

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

١٠٧٥. الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يأتوا بمجرد الأحكام؛ أي: لمجرد أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام، بل قرنوا ذلك بالبشارة والإنذار، لأن البشارة تحمل الإنسان على فعل المأمور... والإنذار يحصل به البعد عن المعاصي، وعلى هذا تتركب دعوة الرسل.

ابن عثيمين، تفسير سورة الأنعام (ص: ٢٣٨)

١٠٧٦. ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ لا بد أن يكون لك تأثير في غيرك بالإصلاح. فلا يكفي صلاح النفس.

د. عويض العطوي

١٠٧٧. ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ علاج الخوف والحزن: الإيمان والإصلاح.

د. عويض العطوي

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

١٠٧٨. في قوله: ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ استعارةٌ تصريحيةٌ تَبَعِيَّة، كأن العذاب كائنٌ حيٌّ يفعل بهم ما يريده من الآلام.

محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (٣ / ١١٨)

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

١٠٧٩. كل ما صُدِّر بـ﴿قُل﴾ بالنسبة للرسول ﷺ كان دليلاً على أهميته، وأن الله تعالى أوصى نبيه أن يُبلِّغه خاصة، مما يدل على العناية به.

ابن عثيمين، تفسير سورة الأنعام (ص: ٢٥٠)

١٠٨٠. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مُتَّبِع الوحي بصيرٌ، وفاقد الوحي أعمى.

أ. د. عبد المحسن المضيرس

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

١٠٨١. هذا القرآن نذارةٌ للخلق كلهم، ولكن إنما ينتفع به ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار، فلذلك يستصحبون ما ينفعهم ويدَعون ما يضرهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٧)

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

١٠٨٢. إذا كان الله تعالى لم يجعل للرسول الذي أوجب طاعته حقَّ محاسبة الناس على أعمالهم الدينية ونيتهم فيها، ولا حقَّ طردهم من حضرته -دع حقَّ طردهم من الدين- فكيف يمكن أن يكون لمن دونه مثل هذا الحق؟!

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٧ / ٣٦٩)

١٠٨٣. من فوائد الآية: أن طرد هؤلاء الموصوفين بالدعاء والإخلاص يُخاف منه أن يُوصِل الرجلَ الصالح إلى درجة الظالمين، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ٥٧)

١٠٨٤. السامع لقصة هذه الآيات يأخذه العَجَب من كبرياء أهل الشرك، وكيف يرضَون البقاء في الضلالة تكبرًا عن غشيان مجلسٍ فيه ضعفاء الناس من الصالحين، فأُجيب بأن هذا الخُلق العجيب فتنةٌ لهم؛ خلقها الله في نفوسهم بسوء خُلقهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ / ٢٥٢)

١٠٨٥. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: هو سبحانه أعلم بمن يشكره على نعمته، فيختصه بفضله ويَـمُنُّ عليه ممن لا يشكره، فليس كل محلٍّ يصلح لشكره واحتمال مِنَّته والتخصيص بكرامته.

ابن القيم، زاد المعاد (١ ٥٣)

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

١٠٨٦. ما أحسن مساق هذا المقول؛ أَمَرَه أولاً أن يقول للمؤمنين: (سلامٌ عليكم)، فبدأ أولاً بالسلامة والأمن لمن آمن، ثم خاطبهم ثانيًا بوجوب الرحمة، وأسند الكتابة إلى ربهم؛ أي: كتب الناظرُ لكم في مصالحكم والذي يربيكم ويملككم: الرحمةَ، فهذا تبشير بعموم الرحمة.

أبو حيان، البحر المحيط (٤ / ٥٢٨)

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

١٠٨٧. بيان الحق وتفصيله يبين الباطل وبطلانه.

أ. د. محمد الربيعة

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

١٠٨٨. لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله، كان جميع الطرق التي يُراد بها التوصل إلى شيءٍ من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين.

الشنقيطي، أضواء البيان (١ ٤٨٢)

١٠٨٩. بدأ أولاً بأمرٍ معقولٍ لا ندركه بالحس: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، ثم ثانيًا بأمرٍ ندرك كثيرًا منه بالحس: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، وفيه عموم، ثم ثالثًا بجزأين لطيفين، أحدهما عُلْوِي وهو سقوط ورقة من علو إلى أسفل، والثاني سفلي وهو اختفاء حبة في بطن الأرض.

أبو حيان، البحر المحيط (٤ / ٥٣٢)

١٠٩٠. ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ فكيف بدمعةٍ من عين مؤمن!

د. عبد الله بن بلقاسم

١٠٩١. ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ الحبة في غاية الصغر، وظلماتُ الأرض تخفي أكبر الأجسام وأعظمها، فإذا سمع الإنسان أن تلك الحبة الصغيرة الملقاة في ظلمات الأرض على اتساعها وعظمتها لا تخرج عن علم الله، صار ذلك منبهًا على عظمةٍ عظيمةٍ وجلالةٍ عاليةٍ من علم الله تعالى.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣ / ١١) بتصرف

١٠٩٢. إذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٧٧)

١٠٩٣. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ انتقل من بيان سعة علمه إلى بيان عظيم قدرته، لأن ذلك كله من دلائل الإلهية، تعليمًا لأوليائه ونعيًا على المشركين أعدائه. وقد جرت عادة القرآن بذكر دلائل الوحدانية في أنفُس الناس عقب ذكر دلائلها في الآفاق.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ / ٢٧٥)

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

١٠٩٤. قبضُ الألوف من الأرواح في كل لحظةٍ ووضعها في المواضع اللائقة بها عملٌ عظيم واسع النطاق، يقوم بإدارته ونظامه رسل كثيرون.. وكلُّ عملٍ منظم لا بد أن تكون له جهة واحدة هي مكان الرياسة والنظام منه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٧ / ٤٠٣)

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾

١٠٩٥. ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: مولى جميع الخلق، وهذا لا ينافي: ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمد:١١]، لأن المراد بالمولى في الأولى: المالك أو الخالق أو المعبود، وفي الثانية: الناصر.

عطية بن عطية الأُجْهُوري، إرشاد الرحمن (ص: ٢٩٢) بتصرف

١٠٩٦. ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ حسابه ﷻ لعبيده صادر عن علمه بهم، فلا يحتاج في ذلك إلى إعداد ولا تكلُّف سبحانه؛ لا رب غيره، وقيل لعلي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله العباد في حالٍ واحدة؟ قال: كما يرزقهم في حالٍ واحدةٍ في الدنيا.

المحرر الوجيز لابن عطية (٢ / ٣٠١)

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾

١٠٩٧. وضع ﴿تُشۡرِكُونَ﴾ موضع (لا تعبدون) تنبيهًا على أن من أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده.

الشربيني، السراج المنير (١ / ٤٢٦)

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٦٩﴾

١٠٩٨. فيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ مما يزيد الموعوظ شرًّا إلى شره كان تركه هو الواجب، لأنه إذا ناقض المقصود كان تركه مقصودًا.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٠)

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾

١٠٩٩. ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ ﴿تُبۡسَلَ﴾: تُحبَس عما فيه نجاتها. المعاصي قَيْدٌ لصاحبها وحبسٌ له، ومانع له عن الجوَلان في فضاء التوحيد، وحائلٌ بينه وبين أن يجني من ثمار الأعمال الصالحة.

ابن تيمية، تفسير آيات أشكلت (١ / ٣٨٤)

١١٠٠. ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ هم بين ماءٍ مغلي يتجرجر في بطونهم، ونارٍ تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم.

البيضاوي، أنوار التنزيل (٢ / ١٦٨)

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾

١١٠١. لا بد أن تكون الآيات سبيلاً لليقين.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾

١١٠٢. عرَّض بقومه أنهم ضالون، وهيأهم قبل المصارحة للعلم بأنهم ضالون... لم يقل: لأكونن ضالًّا، وقال: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ليشير إلى أن في الناس قومًا ضالين، يعني قومه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ ٣٢٢)

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

١١٠٣. ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾ فالمحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق ومن الجهل إلى العلم، ومن العمى إلى الإبصار، ومجادلتكم إيَّاي في الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢ ٢٥٤)

١١٠٤. ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ التوحيد يربي على الشجاعة واليقين والثقة.

د. عقيل الشمري

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾

١١٠٥. العجب من حال مذنبٍ لا يخاف عاقبةَ ذنوبه.

أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (٢ ٨٠)

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

١١٠٦. ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ كما رفعنا درجات إبراهيم ﷺ في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات، خصوصًا العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إمامًا للناس بحسب حاله، تُرمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٣)

١١٠٧. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أكمل حكمةٍ ما كانت عن علمٍ، والله وسع علمه كل شيء فكانت له الحكمة الكاملة.

د. عقيل الشمري

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾

١١٠٨. لم يُثْنِ الله على أحدٍ في القرآن بنسبه أصلاً؛ لا على ولد نبي، ولا على أبي نبي، وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم، وإذا ذكر صنفًا وأثنى عليهم، فلِمَا فيهم من الإيمان والعمل، لا لمجرد النسب، ولـمَّا ذَكَر الأنبياء ذَكَرهم في (الأنعام) -وهم ثمانية عشر- قال: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾، فبهذا حصلت الفضيلة؛ باجتبائه سبحانه وتعالى وهدايته إياهم إلى صراطٍ مستقيم، لا بنفس القرابة.

ابن تيمية، منهاج السنة (٨ / ٢١٨)

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

١١٠٩. ذكر الله (١٨ نبيًّا) في سورة الأنعام، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، الإخلاصُ حقُّ الله المحض الذي لا حظَّ للنفس فيه، فهو مقام «تجريد التوحيد»!

مهند المعتبي

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

١١١٠. تحت هذه الآية إشارةٌ وبشارةٌ بحفظ آيات الله، وأنه لا ضيعة عليها، وأن هؤلاء وإن ضيعوها ولم يقبلوها، فإن لها قومًا غيرهم يقبلونها ويحفظونها ويرعونها ويذُبُّون عنها، فكُفْرُ هؤلاء بها لا يُضيعها ولا يُذهبها ولا يضرها شيئًا، فإن لها أهلاً ومستحِقًّا سواهم، فتأمل شرف هذا المعنى وجلالته وما تضمنه من تحريض عباده المؤمنين على المبادرة إلى آيات الله والمسارعة إلى قبولها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١٦١)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

١١١١. تشوُّف الداعي إلى ما في أيدي القوم، وتطلُّعه إلى أن ينال من وراء إرشاده شيئًا من متاع هذه الحياة، قادحٌ في صدقه، داخلٌ بالريبة في إخلاصه!

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (٥ / ٢٢٨٩)

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

١١١٢. ذُكِر عند عبد الرحمن بن مهدي أن قومًا ينفون الأحاديث في صفات الله ﷻ ويقولون: (الله أعظم من أن يوصف بشيء من هذا)! فقال عبد الرحمن بن مهدي: «قد هلك قومٌ من وجه التعظيم فقالوا: الله أعظم من أن ينزل كتابًا أو يرسل رسولاً»، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾.

الحجة في بيان المحجة لقوام السُّنة الأصبهاني (١ / ٤٧٦)

١١١١٣. والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ في ثلاثة مواضع ليثبت عظمة نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وليثبت ما أنزله على رسله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٣ / ١٦٠)

١١١١٤. الواقع أن من عرف الله حقيقةً، وأدرك أنه القادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء= أيقن أن الإنسان بأشد الحاجة إلى الكتاب الإلهي، والاهتداء بهدي الأنبياء والمرسلين، لإحراز السعادة الأبدية، وتحقيق الرقي الإنساني.

د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير (٧ / ٢٨٨)

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

١١١١٥. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الذين لم يدركوا ما تصنع الصلاة من مباهج في الحياة فليقرؤوا أثرها في تحريك معاني القرآن في واقع أصحابه.

د. مشعل الفلاحي

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

١١١١٦. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ ولما كان للموت سكرات جُعلت غمرة الموت غمرات.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧ / ٣٧٧)

١١١١٧. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: غير القول المتمكن غاية التمكن في درجات الثبات، ولو قال بدله: (باطلاً) لم يؤدِّ هذا المعنى، ولو قال: (الباطل) لقَصُر عن المعنى أكثر.

البقاعي، نظم الدرر (٧ / ١٩١)

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

١١١١٨. ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ هذا يدل على أن كل مالٍ يكتسبه الإنسان ولم يصرفه في مصارف الخيرات فصِفَتُه هذه التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، أما إذا صرفها إلى الجهات الموجبة للتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فما ترك تلك الأموال وراء ظهره ولكنه قدمها تلقاء وجهه.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣ / ٧٠)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

١١١١٩. قَلِّب فِكْرَك: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ و﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، وكذلك فَلْقُ الأرضِ بالنبات، والسحابِ بالمطر، وإذا تأملت الخلق تبيَّن لك أن خلق الله ﷻ أكثرُه عن انفلاق.

الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٣٧٩)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

١١٢٠. ليس كل أحد يعتبر ويتفكَّر، وليس كل من تفكَّر أدرك المعنى المقصود، ولهذا قَيَّد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٧)

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

١١٢١. وتنكير العلم هنا في حيز النفي ﴿بِغَيْرِ﴾ للدلالة على انسلاخ هؤلاء المشركين في خرقهم هذا عن كل ما يسمى علمًا، فلا هم على علمٍ بمعنى ما يقولون، ولا على دليلٍ يثبته، ولا على علمٍ بمكانه من الفساد والبُعد من العقل، ولا بمكانه من الشناعة والإزراء بمقام الألوهية والربوبية.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٧/ ٥٣٩)

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

١١٢٢. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ في ذكر العلم بعد الخلق إشارةٌ إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٧)

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾

١١٢٣. إذا نصب المولى الكريم الآيات بصائرَ للناس، فإنهم إن لم يبصروا فلا لومَ آنئذٍ إلا على أنفسهم! وهو قوله تعالى الوارد على أشد ما تكون النذارة: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾، إن هذه الآية أمٌّ من أمهات الكتاب، فأعد قراءتها، وتدبَّر، ثم أبصر!

فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية (ص: ٢٣)

١١٢٤. ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝٢﴾ [الحشر:٢] هكذا وجب عليك أن تقرأ آيةً آية؛ اقرأ وتدبَّر ثم أبصر، عسى أن ترى ما لم تر، وتدرك من حقائقه ما لم تدرك من قبل، فتكون له متدبِّرًا.

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية (ص: ٤٥)

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٦﴾

١١٢٥. ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تصحيحُ نقطة البداية، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٦﴾ وعيٌ بإدارة الصراع.

د. مشعل الفلاحي

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾

١١٢٦. ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ تزيينه سبحانه للعبد عملَه السيئ عقوبةٌ منه له على إعراضه عن توحيده وعبوديته، وإيثار سيئ العمل على حسنه، فإنه لا بد أن يُعَرِّفه سبحانه السيئ من الحسن، فإذا آثر القبيحَ واختاره وأحبَّه ورضيه لنفسه؛ زيَّنه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحًا... فتزيين الرب تعالى عدل، وعقوبته حكمة.

ابن القيم، شفاء العليل (ص: ١٠٣)

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾

١١٢٧. العينان هما ربيئة القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطًا بالقلب من العينين، ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾، ﴿يَوْمَ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ

وَٱلْأَبْصَٰرُ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [النازعات:٨-٩]؛ ولأن كليهما له النظر، فنظر القلب الظاهر بالعينين، والباطن به وحده.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ / ٢٢٥)

١١٢٨. من عُرض عليه حقٌّ فردَّه ولم يقبله، عُوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٩٩)

١١٢٩. الإنسان إذا علم الحق ولم يقبله ويذعن له من أول وهلة، فإن ذلك قد يفوته ويُحرَم إياه والعياذ بالله.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١ / ١٣٤)

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

١١٣٠. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، وهكذا الدعاة إلى منهج النبوة يُعادَون ويُكذَّبون، فلْيُعرِضوا عن أولئك، وليتوكَّلوا على ربهم، كما قال: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

د. عبد الله الغفيلي

١١٣١. ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ العدو يملك أدوات مثيرة للإغراء.. تلك بعض معاني الابتلاء.

د. مشعل الفلاحي

١١٣٢. «المطربة القديرة فلانة تحكي تجربتها..، مسرحية من بطولة الفنان..، الفلم العالمي..» عناوين برَّاقة يطالعنا بها الإعلام، تفتشها فلا تجد شيئًا، فأي مقدار وأي بطولة؟ وصدق الله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

من مشاركات المتدبرين

١١٣٣. أخبر أن كلام أعداء الرسل تُصغِي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، فعُلم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان، فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعدائهم فخالف الرسل، كما هو موجود في أصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩ / ٣٣)

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

١١٣٤. ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ أي: أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه، وهذا كتابه سيد الحكام؟ فكيف نتحاكم إلى غير كتابه وقد أنزله مفصلاً مبينًا كافيًا شافيًا؟

ابن القيم، مدارج السالكين (٢ / ١٧٨)

١١٣٥. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، ولم يقل: يقولون، فإن العلمَ لا يكون إلا حقًّا، بخلاف القول!

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٩)

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

١١٣٦. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الكلام إما إنشاء وإما إخبار، فالإخبار صدقٌ لا كذب، والإنشاء (أمر التكوين وأمر التشريع) عدلٌ لا ظلم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٧ / ٢٤٥)

١١٣٧. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ فالله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل، فكل من كان أتـمَّ علمًا وعدلاً كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل.

ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (٦ / ٥٦)

١١٣٨. مهما قَدَرت عقول البشر على التشريع فهي ناقصة؛ لافتقار الكمال إلى تمام الصدق وتمام العدل، ولا يكون ذلك إلَّا من الله ﷻ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.

د. سعود الشريم

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

١١٣٩. اجعلوا الدين هو المقياس، فإن رأيتم الناس يمشون في طريق الحرام فلا تمشوا معهم، ولا تـحْتَجُّوا بالأكثرية، فإن أكثر الناس غالبًا على ضلال، والله يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ويقول: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

علي الطنطاوي، نور وهداية (ص: ٢٣٣)

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

١١٤٠. للإثم ظاهر وباطن، فقد يسهل ترك الظاهر، لكن الشأن في الباطن.

د. عقيل الشمري

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

١١٤١. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ وصف الإمام أحمد العلماءَ بقوله: «يُحْيُون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنور الله أهلَ العمى»، لأنه بالحياة يُخرَج عن الموت، وبالنور يُخرَج عن ظلمة الجهل، فيصير حيًّا عالمًا ناطقًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٨ / ٣١٠)

١١٤٢. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ لما كان الإيمان يهدي إلى الفوز العظيم والحياة الأبدية شُبِّه بالحياة.

الشربيني، السراج المنير (١ / ٤٤٧)

١١٤٣. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ قيمة النور ومكانته لا يختلف عليه أحد، فكيف إذا انتشر وعَمَّ! ﴿نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾، فما أحوج أُمَّتنا لمشاعل النور، وقناديل الضياء!

من مشاركات المتدبرين

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌۢ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

١١٤٤. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمدٍ خيرَ قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبِ محمد فوجد قلوب أصحابه خيرَ قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه».

تفسير ابن كثير (٣ / ٣٣٣)

١١٤٥. كل من لم يقر بما جاء به الرسول إلا بعد أن يقوم على صحته عنده دليل منفصل من عقل أو كشف أو منام أو إلهام، لم يكن مؤمنًا به قطعًا، وكان من جنس الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٣ / ١١٦٧)

١١٤٦. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ لله تعالى حِكَمٌ جَمَّة في أن اختار لهذه الرسالة رجلًا عربيًّا، فهو بحكم الضرورة يتكلم بلسان العرب؛ فلزم أن يكون المتلقون منه الشريعة في البدء عربًا، فالعرب حملة شريعة الإسلام إلى سائر الناس، واختارهم الله لهذه الأمانة لأنهم يومئذٍ امتازوا من بين سائر الأمم باجتماع صفاتٍ أربع: جودة الأذهان، وقوة الحوافظ، وبساطة الحضارة والتشريع، والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم.

ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (٣ / ٢٦٠) بتصرف

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

١١٤٧. سأل عمر ﷺ أعرابيًّا: ما الحَرَجة؟ قال: الحرجة فينا الشجرةُ تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيةٌ ولا شيء! فقال عمر: «كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير».

تفسير الطبري (٩ / ٥٤٤)

١١٤٨. عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، يقول: «من أراد الله أن يضله يُضيِّق عليه صدره، حتى يجعل الإسلام عليه ضيقًا. والإسلامُ واسع».

تفسير الطبري (٩ / ٥٤٥)

١١٤٩. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ شبَّه اللهُ الكافرَ في نفوره عن الإيمان وثِقَله عليه بمنزلة من تكلَّف ما لا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يطاق.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٨٢)

١١٥٠. إن الإيمان بالحياة الآخرة يُشعِر المسلم بأن الموت إنما معبرٌ إليها، فلا يُحسُّ في وجدانه العميق بأنه ينتهي بالموت، فيعيش الحياة بذوق آخر، مِلؤه العمل والأمل في أن تكون أُخراه أفضل من دنياه، فيا لبئس عمر يعيشه الإنسان وهو يشعر بأن الموت هو آخر المطاف! انظر إلى هذه الإشارة الإلهية في وصف نفسية الملاحدة المنكرين للبعث، إذ يقتلهم اليأس، ويدمرهم

القنوط؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (ص: ٦٦)

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

١١٥١. ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ قال ابن عباس: «إن هذه الآية آيةٌ لا ينبغي لأحدٍ أن يحكم على الله في خلقه؛ أنْ لا ينزلهم جنةً ولا نارًا».

تفسير الطبري (٩ / ٥٥٧)

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

١١٥٢. من سُنَّة الله أن يُولِّي كل ظالمٍ ظالمًا مثله، يَؤُزُّه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفِّرُه عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧٣)

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

١١٥٣. الفاعل للذنب لو جزم بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله، لكنه يُزيَّن له ما فيه من اللذة التي يظن أنها مصلحة، ولا يجزم بوقوع عقوبته، بل يرجو العفو بحسناتٍ أو توبة أو بعفو الله ونحو ذلك، وهذا كله من اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

ابن رجب، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٢ / ٧٩٥)

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

١١٥٤. لا تزال البدعة تتمادى بصاحبها حتى يتجرأ على سفك الدم.. ولمن؟ لولده!

باسل الرشود

١١٥٥. إظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار، [حيث قال: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: (عليه)]، لإظهار كمال عُتُوِّهم وطُغيانهم.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٣ / ١٩١)

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

١١٥٦. وأهل الضلال يتبعون دينًا ليس موافقا للشرع المنزل، ولا لهم به علم... ولهذا طالب الله أهل الضلال بالعلم والسلطان، فقال تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾، فبيَّن أن الصادق يكون معه علم بما قاله، فمن لا علم عنده فهو مفتر للكذب على الله.

ابن تيمية، قاعدة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادات أهل الشرك (ص: ٢٦)

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

١١٥٧. لم يَرِد في القرآن تحريم لحم حيوان باسمه إلا الخنزير، مع أنه لم يكن كثيرًا بأرض العرب، أليس هذا غريبًا؟! إنَّ الغرابةَ تزول حين نعلم أن الخنزير اليوم من أكثر الأطعمة انتشارًا في الأرض.. إنها عالمية القرآن.

من مشاركات المتدبرين

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

١١٥٨. لمَّا أخبر عن رحمته نوَّه بعظيم سطوته، فلا يغترَّ أحدٌ بإمهاله في سوء أعماله وتحقيق ضلاله، وفي هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على الحد الأقصى من البلاغة.

البقاعي، نظم الدرر (٧ / ٣١٠)

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

١١٥٩. مَن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله والاستعاذة به، واستهدائه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٢٦٥)

١١٦٠. ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ أصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله، أو تحريم ما لم يحرمه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤ / ١٩٦)

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

١١٦١. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة (سُبحان): ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، أي: خشية حصول فقرٍ في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا

من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله، وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لأنه الأهم هاهنا.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ ٣٦٢)

١١٦٢. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٠)

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

١١٦٣. سئل ابن مسعود ﷺ عن الصراط المستقيم، فقال: «تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرَفُه في الجنة، وعن يمينه جوادّ [جمعُ جادَّة]، وعن شماله جوادّ، وثَمَّ رجالٌ يدعون مَن مرَّ بهم، فمَن أخذ على تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة»، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

تفسير عبد الرزاق (٢ / ٧٣)

١١٦٤. الصراط هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة، وقد ذكر الله لفظ (الصراط) في كتابه في غير موضع، ولم يُسَمِّ الله سبيل الشيطان صراطًا، بل سماها سُبلاً، وخصَّ طريقه باسم الصراط، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

ابن تيمية، الجواب الصحيح (٣ / ١٧٩)

١١٦٥. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، يا لَلعجب من بيان القرآن وبيِّناته وإعجازه بفنون إيجازه! القرآن يأمرك بالتدبُّر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بـ(الاتباع)؛ حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة.

آثار محمد البشير الإبراهيمي (١ / ٣٢٢) بتصرف

١١٦٦. إننا كادحون إلى الله كدحًا فملاقوه، لا خيار للبشرية في ذلك أبدًا! وإنما وصية الله جاءت ببيان الصراط المستقيم هدى للعالمين، حتى يكون الكدح سيرًا إلى رضا الله، لا إلى عذابه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١ ١٤٧)

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

١١٦٧. قال قتادة: «مَن أَحْسَنَ في الدنيا، تـمَّت عليه كرامة الله في الآخرة».

تفسير الطبري (٩ / ٦٧٦)

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

١١٦٨. ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾، و﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص:٢٩] اجعل جملتي ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بين أقواس، لعل قارئها ينتبه أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، ويعرف حق القرآن عليه، ووظيفته التي يجب أن يقوم بها نحوه، وهي: التدبر لمعانيه واتباعه.

آثار البشير الإبراهيمي (١ / ٣٢١) بتصرف

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

١١٦٩. ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ هدى كاملٌ لـمَن تدبَّره وتلاه حق تلاوته، فإنه يجذبه ببيانه وبلاغته إلى الحق الذي قرَّره، وإلى عمل الخير والصلاح.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٨ ١٨١)

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

١١٧٠. يا خسارة من غلبت سيئاته حسناته المضاعفة. أولئك هم الخاسرون.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٨ ٢٥٢)

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

١١٧١. في إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة ما يُلْزِمُ المؤمنين التأسِّي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قَصْدَ وجه الله ﷻ.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢ ٣٦٩)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

١١٧٢. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ من لطائف القرآن الاقتصار في وصف (سريع العقاب) على مُؤكِّدٍ واحد، وتعزيزُ وصف: (الغفور الرحيم) بمُؤكِّدات ثلاثة وهي: إن، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظي، لأن (الرحيم) يؤكد معنى (الغفور)؛ ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليستدعي أهل الإعراض والصدوف إلى الإقلاع عما هم فيه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨ ٢١٢)

سورة الأعراف

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

١١٧٣. إنما قيل: ﴿أُنزِلَ﴾، ولم يقل: (أنزله الله) أو (أنزلناه) إيجازًا مؤذنًا بأن المُنْزِل مستغنٍ عن التعريف، وعن إسناده إلى الضمير أو الاسم الصريح، فإن هذا الكتاب البديع لا يمكن أن يكون إلا من فوق ذلك العرش الرفيع.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٨ / ٢٦٩)

١١٧٤. ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ الله تعالى رفع الحرج عن الصدور بكتابه، وكانت قبل إنزال الكتاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه ارتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق على من لم يؤمن به.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٤ / ١٥١٨)

١١٧٥. ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ فبهذا يجب علينا أن نتأمل في معاني القرآن، ونعرف أوامر ربنا التي أمرنا بها فيه، ونواهيَه التي نهانا عنها، ونخاف من هذا الإنذار والتهديد الذي أُنزل هذا القرآن على الرسول ليفعله بمن لم يعمل بهذا القرآن العظيم.

الشنقيطي، العذب النمير (٣ / ١٨)

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

١١٧٦. فأمر سبحانه باتباع ما أنزل على رسوله، ونهى عن اتباع غيره، فما هو إلا اتباع المنزل أو اتباع أولياء من دونه، فإنه لم يجعل بينهما واسطة، فكل من لا يتبع الوحي فإنما يتبع الباطل.

ابن القيم، الرسالة التبوكية (ص: ٤٥)

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

١١٧٧. الليل والقائلة وقتا راحة؛ فوقوع العذاب على العصاة في هذين الوقتين أشد وأفظع!

محمد الغزير

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾

١١٧٨. عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ما هلك قومٌ حتى يُعذَروا من أنفسهم»، ثم قرأ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾.

تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٤٣٨)

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾

١١٧٩. عن الحارث الأعور قال: «إن الحق ليثقل على أهل الحق كثقله في الميزان، وإن الحق ليخف على أهل الباطل كخفته في الميزان».

الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٤١٨)

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾

١١٨٠. نفيُ كونه من الساجدين أخصُّ من نفي السجود عنه، لأن نفي (الكون) يقتضي نفي الأهلية والاستعداد، فهو أبلغ في الذم من أن يقال: لم يسجد.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٣ / ٥٧)

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

١١٨١. ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الحجر:٣٢]، ﴿أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [سورة ص:٧٥] اختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدرج في معصيةٍ واحدة ثلاث معاصٍ: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم.

صديق حسن خان، فتح البيان (٤ / ٣١٠)

١١٨٢. إنما أهلك إبليسَ العُجْبُ بنفسه، ولذلك قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، وإنما كملت فضائل آدم باعترافه على نفسه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

ابن رجب، لطائف المعارف (ص: ٥٧)

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

١١٨٣. هكذا كل من تردَّى برِداء الاستكبار عُوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس رداء التواضع ألبسه الله رداء الترفع.

الشوكاني، فتح القدير (٢ / ٢١٨)

١١٨٤. كان قصدُه التعاظم والتكبُّر، فأخرجه الله صاغرًا حقيرًا ذليلًا... المتكبِّر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك.

الشنقيطي، أضواء البيان (٢ / ١٠)

١١٨٥. هذه الآية أصلٌ في ثبوت الحق لأهل المحلَّة أن يخرجوا من محلَّتهم من يُخشى من سيرته فشوُّ الفساد بينهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨ / ٤٤)

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾

١١٨٦. التحدي من قِبَل الشيطان مفتوح إلى يوم القيامة، فليحذر المؤمن.

د. عقيل الشمري

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

١١٨٧. أطماعٌ عالية لتحصيل الغواية.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

١١٨٨. الجمع هنا جاء في مقابلة كثرة من يريد إغواءهم، فكأنه أقسم أن يأتي كلَّ واحدٍ من بين يديه ومِن خلفه، وعن يمينه وعن شماله.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١ / ١٢٠)

١١٨٩. عُدِّي الفعل إلى الجهتين الأوليين بـ(من) وإلى الأخريين بـ(عن)، لأن الغالب فيمن يأتي من قدَّام وخلف أن يكون متوجهًا إلى ما يأتيه بكليَّة بدنه، والغالب فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون منحرفًا، فناسب في الأوليين التعدية بحرف الابتداء، وفي الأخريين التعدية بحرف المجاوزة.

الشوكاني، فتح القدير (٢ / ٢١٩)

١١٩٠. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ لـمَّا عرف عدو الله إبليس قَدْرَ مقام الشكر، وأنه من أَجَلِّ المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾.

ابن القيم، عدة الصابرين (ص: ١١٧)

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾

١١٩١. ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ لم ينل حمدًا ولا نصرًا... فقد يُحمد المرء ولا يُنصر، وقد يُنصر ولا يُحمد.

باسل الرشود

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾

١١٩٢. ليحذرِ العاقلُ من ثقته بعقله وحِلمه، فإن عصمةَ آدم مع قُربه من الله، وتقدُّم تحذير الله له من الشيطان- ما حالتْ بينه وبين الشيطان، ولذلك شُرعت الاستعاذة منه!

ابن الوزير اليماني، الأمر بالعُزلة في آخر الزمان (ص: ٢٨٥)

١١٩٣. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ في الآية دليلٌ على قُبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، ولذلك ابتدرا إلى سترها!

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٧ / ١٨١)

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾

١١٩٤. قال قتادة: «استغفرَ آدمُ ربَّه وتاب إليه فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم، وأما عدو الله إبليس فواللهِ ما تَنَصَّل من ذنبه ولا سأل التوبة حتى وقع فيما وقع، ولكنه سأل النَّظرَة إلى يوم الدين، فأعطى الله كلَّ واحدٍ منهما ما سأل».

شعب الإيمان للبيهقي (٩ / ٣٦٠)

١١٩٥. إنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعًا لدرجاتهم بالتوبة، وتبليغًا لهم إلى محبته وفرحه بهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد فرح، فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢١ ٨٩)

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾

١١٩٦. هذه الآية واردةٌ على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بُدُوِّ السوءات وخصف الورق عليها؛ إظهارًا للمنة فيما خُلق من اللباس، ولما في العُري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأن التستر بابٌ عظيم من أبواب التقوى.

الزمخشري، الكشاف (٢ / ٩٧)

١١٩٧. كان لاختيار استحضارهم عند الخطاب بعنوان (بني آدم) وَقعٌ عجيب بعد الفراغ من ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان، وذلك أن شأن الذرية أن تثأر لآبائها وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شَرَكه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨ / ٧٣)

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾

١١٩٨. أول مادة في قانون إبليس وأول درس في منهجه هو كشف العورات واختلاط الشبان بالبنات: ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات (٨ ٢٩٠)

١١٩٩. شياطين الإنس في كلِّ عصر إخوان شياطين الجن، فإن الله لما ذكر عداوة الشيطان في سورة الأعراف؛ قال بعدها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾، وهؤلاء ينزعون لباس بني آدم في القنوات والرياضات، وينزعون الحجاب عن المسلمات في أماكن العمل والطرقات والمتنزهات.

من مشاركات المتدبرين

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾

١٢٠٠. ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ قال قتادة: «واللهِ إن عدوًّا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله».

تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٤٦٠)

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨﴾

١٢٠١. قال قتادة: «واللهِ ما أكرم الله عبدًا قطُّ على معصيته، ولا رضيها له، ولا أمر بها، ولكن رضي لكم بطاعته ونهاكم عن معصيته».

الدر المنثور للسيوطي (٣ ٤٣٧)

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾

١٢٠٢. جميع الواجبات في هذه الآية، فالواجب كله محصور في حق الله وحق عباده، وحقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقوقُ عبادِه العدلُ.

ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (٦ / ٤١٥)

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

١٢٠٣. قال ابن القيم ﷺ: الأدب هو الدين كله... ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أمر الله بقدرٍ زائدٍ على ستر العورة في الصلاة، وهو أخذ الزينة، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، فعلَّق الأمر بأخذ الزينة لا بستر العورة؛ إيذانًا بأن العبد ينبغي له أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة.

مدارج السالكين (٢ / ٣٦٣)

١٢٠٤. كان لهارون الرشيد طبيبٌ نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم مِن عِلْمِ الطب شيء! فقال له علي: قد جمع اللهُ الطبَّ كله في نصف آية من كتابنا. فقال: وما هي؟ قال: قوله ﷻ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾.

تفسير الثعلبي (١٢ / ٣٤٠)

١٢٠٥. جمعت هذه الآية أصول أحكام الشريعة كلها، فجمعت الأمر والنهي، والإباحة والخبر.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٤ / ٧)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ ﴾

١٢٠٦. كما لم تصعد أرواحهم في الدنيا إلى الإيمان بالله ومعرفته ومحبته كذلك لا تصعد بعد الموت.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٨)

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

١٢٠٧. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ وذلك أن صاحب الغِلِّ متعذِّب به، ولا عذاب في الجنة!

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢ / ٤٠١)

١٢٠٨. ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾، فالإيراث دلَّ على أنها عطيةٌ بدون قصد تعاوض ولا تعاقد، وأنها فضلٌ محضٌ من الله تعالى.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨ / ١٣٤)

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

١٢٠٩. عبر بالطمع لأنه لا سبب للعباد إلى الله من أنفسهم، وإن كانت لهم أعمال، فضلاً عن هؤلاء المذكورين الذين لا أعمال لهم.

البقاعي، نظم الدرر (٧ / ٤٠٦)

١٢١٠. لم يَجعَل الله الطَّمَع في قلُوبِهم إلَّا لِما يريد بهم من كرامته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٠)

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

١٢١١. هذه الوقفةُ لا يَعدِلُ همَّها والإشفاقَ منها سرورُ الدنيا كلُّه!

ابن حزم، رسائل ابن حزم (٣ / ١٥٧)

١٢١٢. والعبارة بقوله: ﴿صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ تدل على أن الله هو الذي صرف أبصارهم إليهم، وأنهم ما كانوا يحبون النظر إليهم اختيارًا، لشدة الهول وفظاعة الأمر والعياذ بالله.

الشنقيطي، العذب النمير (٣ / ٢٩٣)

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

١٢١٣. وتعليق الظرف بفعل (ننساهم) لإظهار أن حرمانهم من الرحمة كان في أشد أوقات احتياجهم إليها، فكان لذكر اليوم أثرٌ في إثارة تحسرهم وندامتهم، وذلك عذاب نفساني.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨ / ١٥٠)

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾

١٢١٤. كثيرًا ما يقرن الله بين الخلق والأمر كما في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فكما أنه لا خالق سواه، فليس على الخلق إلزامٌ ولا أمرٌ ولا نهيٌ إلا من خالقهم، وأيضًا فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمرُه فيه التدبير الشرعي الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة فلم يخلق شيئًا عبثًا، فكذلك لا يأمر ولا ينهى إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٢)

١٢١٥. قال قتادة: «لـمَّا أنبأكم الله بقدرته وعظمته وجلاله بيَّن لكم كيف تدعونه على إثر ذلك فقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾».

تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٤٩٩)

١٢١٦. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ استئناف جاء معترضًا بين ذكر دلائل وحدانية الله تعالى بذكر عظيم قدرته على تكوين أشياء لا يشاركه غيره في تكوينها،

فالجملة معترضة بين جملة: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وجملة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ [الأعراف: ٥٧]. جرى هذا الاعتراض على عادة القرآن في انتهاز فرص تهيؤ القلوب للذكرى.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٨ / ١٧٠)

١٢١٧. قال الحسن البصري ﷺ: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عملٍ يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانيةً أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمَع لهم صوت، إنْ كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا، فرَضِيَ فِعلَه فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣].

تفسير الطبري (١٠ / ٢٤٨)

١٢١٨. في إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

١. أنه أعظم إيماناً، لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

٢. أنه أعظم في الأدب والتعظيم، لأن الملوك لا تُرفع الأصوات عندهم، ومَن رفع صوته لديهم مقتوه. ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي، فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

٣. أنه أبلغ في التضرع والخشوع، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق.

٤. أنه أبلغ في الإخلاص.

٥. أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء، فإن رفع الصوت يُفرِّقه، فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه.

٦. أنه دال على قُرب صاحبه للقريب سبحانه، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، فلما استحضر قُرب الله ﷻ، وأنه أقرب إليه من كل قريب، أخفى دعاءه ما أمكنه. وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فيه الإرشاد والإعلام بهذا القُرب.

٧. أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته.

٨. أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات، فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يَدرِ به أحد، فلا يحصل على هذا تشويشٌ ولا غيره.

٩. أن أعظم النعمة: الإقبالُ والتعبد. ولكل نعمةٍ حاسد، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد.

١٠. أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه، وقد قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، فأمر تعالى نبيه ﷺ أن يذكره في نفسه.

وتأمل كيف قال تعالى في آية الذكر: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾، وفي آية الدعاء: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، فذكر التضرع فيهما معاً، وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء، وخص الدعاء بالخفية لما ذكرنا من الحكم وغيرها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ١٥ - ٢٠) مختصر

١٢١٩. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ إنما طلب الدعاء مع تينك الحالتين لأن المقصود من الدعاء أن يشاهد العبد حاجته وعجزه وفقره لربه ذي القدرة الباهرة والرحمة الواسعة، وإذا حصل له ذلك، فلا بد من صونه عن الرياء، وذلك بالاختفاء، وتوصلاً للإخلاص.

القاسمي، محاسن التأويل (٥ / ١٠٢)

١٢٢٠. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الجهر الشديد في الدعاءِ عُدوان، ألا تراه يقول: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾؟!

القصاب، نكت القرآن الدالة على البيان (١ / ٤٢٩)

١٢٢١. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فقسَّمت الآيةُ الناسَ إلى قسمين: داعٍ لله تضرعًا وخفية، ومُعْتَدٍ بترك ذلك.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٤)

١٢٢٢. حين تناجي ربك فاعلم أنه يريد منك قلبًا متضرعًا، لا لسانًا متنطّعًا يزخرف الدعاء؛ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

فهد العيبان

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

١٢٢٣. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارةً وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ١٠)

١٢٢٤. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر الله الطمع -الذي هو الرجاء- في آية الدعاء، لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع له فيه ممتنع.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٢١)

١٢٢٥. لما كان قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مشتملاً على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي الحب والخوف والرجاء؛ عَقَّبها بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أي: إنما تنال من دعاه خوفًا وطمعًا، فهو المحسن، والرحمة قريب منه، لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٦)

١٢٢٦. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ فمن تقرَّب إليه بالإحسان تقرَّب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٧)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾

١٢٢٧. ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ إذا لم يكن لهم إله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والإحسان والبر واللطف حاصلاً من الله، ونهايةُ الإنعام تُوجب نهاية التعظيم.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٤ ٢٩٥)

١٢٢٨. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ وهكذا حال الفجار؛ إنما يرون الأبرار في ضلالة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ ٤٣٢)

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

١٢٢٩. ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ذِكْرُ آلائه ﷻ ونِعَمه على عبده سببُ الفلاح والسعادة، لأن ذلك لا يزيده إلا محبةً لله، وحمداً وشكراً وطاعة، وشُهودَ تقصيره، بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ ٢٢٩)

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

١٢٣٠. قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ وقال: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود:٦٧]، حيث ذكر (الرجفة) وهي الزلزلة وَحَّدَ الدار، وحيث ذكر (الصيحة) جَمَع، لأن الصيحة كانت من السماء، فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحدٍ بما هو لائق به.

الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص ١٢٣)

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

١٢٣١. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي: لا تَنقُصوهم حقوقهم، وإنما قال: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ للتعميم؛ تنبيهًا على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير، والقليل والكثير.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد (٢ / ٢٣٨)

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

١٢٣٢. انتظار حكم الله في الظالمين واليقين بذلك فيه تسليةٌ وتصبيرٌ للمؤمنين.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾

١٢٣٣. لما كان أمر الدين هو الأعظم عند المؤمن والـمُؤْثَر على أمر الدنيا لم يلتفتوا إلى الإخراج.

أبو حيان، البحر المحيط (٥ / ١١٤)

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

١٢٣٤. وهذا من شعيب وقومه استسلامٌ للمشيئة، ولم يزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر.

الواحدي، التفسير البسيط (١٤ / ٣١٧)

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢﴾

١٢٣٥. متى وقعت العقوبة كان الظالم كأن لم يَغْنَ ولم يَنْعَم قط.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾

١٢٣٦. هذه الآية تدل على أن قوم الرجل إذا كانوا أعداءً لله، فأهلكهم الله بذنوبهم، لا ينبغي له أن يحزن عليهم، لأنهم ليسوا أهلاً للحزن عليهم لعداوتهم لله ورسله.

الأمين الشنقيطي، العذب النمير (٣ / ٦٢٥)

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾

١٢٣٧. يدل على أن التضرع عند النوازل من أنجع الوسائل!

نجم الدين الطوفي، الإشارات الإلهية (ص: ٢٤٥)

١٢٣٨. قد يبتليك ليرى تضرعك.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾

١٢٣٩. تصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها. ومن أراد استبانة ذلك فليقرأ هذه الآية.

ابن عثيمين، نبذة في العقيدة الإسلامية (ص: ٣٣)

١٢٤٠. ليست بركةً واحدة، بل بركاتٌ من السماء والأرض سينالها الناس إن حققوا الشرط.

أ.د. عمر المقبل

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

١٢٤١. كان هَرِم بن حيان يخرج في بعض الليل وينادي بأعلى صوته: «عجبتُ من الجنة كيف نام طالبها؟!» وعجبت من النار كيف نام هاربها؟!» ثم يقرأ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾، ثم يقرأ: (والعصر) و(ألهاكم)، ثم يرجع إلى أهله.

حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢ / ١١٩)

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

١٢٤٢. خوف مكر الله وسيلة إلى إحسان العمل وإقلال الزلل.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (ص: ٨٢)

١٢٤٣. هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ [ما يدلُّ] على أن العبد لا ينبغي أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا وَجِلًا أن يُبتلى ببليَّةٍ تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيًا بقوله: (يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك)، وأن يعمل ويسعى في كل سببٍ يخلِّصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٨)

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

١٢٤٤. قال ابن الجوزي: «أعظم المعاقبة ألا يحس المعاقَب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع في السرور بما هو عقوبة: كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومَن هذه حاله، لا يفوز

بطاعة»[1]، وشاهد ما قاله ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

د. سليمان الماجد

١٢٤٥. من أوضح الله له سُبل الهدى، وذكر له أمثالاً ممن أهلكهم تعالى بذنوبهم، وهو مع ذلك دائمٌ على غيه لا يرعوي، يطبع الله على قلبه، فينبو سمعُه عن سماع الحق.

أبو حيان، البحر المحيط (٥ ١٢٢)

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

١٢٤٦. إظهار المسند إليه في قوله: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾، ولم يقل: (كذلك نطبع على قلوب الكافرين)؛ «لما في إسناد الطبع إلى الاسم العَلَم (الله) من صراحة التنبيه على أنه طبعٌ رهيب، لا يغادر للهدى منفذاً إلى قلوبهم».

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩ ٣٢)

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

١٢٤٧. قال تعالى في بيان حال الإنسان: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾، هذه حاله مع ربه فكيف مع الناس! ومن عرف الناس استراح.

أ. د. عبد المحسن المطيري

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٧).

١٢٤٨. الحق بكل صوره هو منهج ورسالة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

١٢٤٩. والحكمة في هذا -والله أعلم- ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم ومُحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تَطَلُّبٍ له، والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس، وكذا كان.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤٥٦)

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

١٢٥٠. تأمل: لم يقل: سجدوا، كأن شيئًا اضطرهم إلى السجود، كأنهم سجدوا بغير اختيار، لقوَّة ما رأوا من الآية العظيمة، ومع هذه الآية البينة الواضحة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام لم يؤمن فرعون.

ابن عثيمين، تفسير السُّور من الحجرات إلى الحديد (ص: ٨٤)

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

١٢٥١. قال الجُشَمي: لا مفزع إلا في هذين: وهو الانقطاع إلى الله تعالى بطلب المعونة في الدفع، واللطف له في الصبر.

تفسير القاسمي (٥ / ١٦٩)

١٢٥٢. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ وذلك لأن المتقين بمنزلة من أكل الطعام النافع واتقى الأطعمة المؤذية فصَحَّ جسمه وكانت عاقبته سليمة، وغير المتقي بمنزلة من خلط من الأطعمة، فإنه وإن اغتذى بها لكن تلك التخاليط قد تورثه أمراضًا؛ إما مؤذية وإما مهلكة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٠ ١٣٦)

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

١٢٥٣. هذه الآية الكريمة فيها وعيدٌ شديدٌ، وتخويفٌ عظيمٌ، لمن استخلفه الله في الأرض -بعد عدوه الذي كان يقاومه- وبسط يده بالأرض، فإذا كان عنده عقلٌ فإنه يخاف من نظر الله إليه كيف يفعل، فيطيع الله في كل ما يفعل.

الشنقيطي، العذب النمير (٤ / ١٠٢)

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

١٢٥٤. ليدرك الدعاة: هل المسألة مسألةُ حُجج فحسب؟

باسل الرشود

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

١٢٥٥. إنما حصل ذلك التمام بسبب صبرهم، وحسبُك به حاثًّا على الصبر، ودالًّا على أن من قابل البلاء بالجزع وَكَلَه الله إليه، ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج!

الرازي، مفاتيح الغيب (١٤ ٣٤٩)

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾

١٢٥٦. لم تجف أقدامهم من البحر هربًا مع الموحدين حتى طلبوا الشرك! وطلبوه ممن؟ مِن أكبر داعية في عصره؛ لا تستغرب أيها الداعية إذا رأيت تفلُّتًا من أقوامٍ وأقوام.

باسل الرشود

﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾

١٢٥٧. إن الله ﷻ واعده ووَقَّت له للميعاد ثلاثين ليلة، ثم أخبر أنه أتمها بعشر، فلا يُدرى؛ انقضى أجل الميقات عند الثلاثين وكانت العشر تمامًا (أي: زيادةً بعد انقضاء أجل الميقات) أو إنما كان انقضاؤه عند تمام الأربعين، وأن الإتمام بعشرة هو زيادةٌ في الأجل؟ فلما قال: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ علمنا أن العشر دخلت في الأجل، فصارت جزءًا منه.

ابن تيمية، جامع المسائل (٨ / ٣٣٨)

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾

١٢٥٨. إن موسى ﷺ سأل أجلَّ الأشياء فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾، وسأل أقل الأشياء فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص:٢٤]؛ فنحن أيضًا نسأل الله أجلَّ الأشياء وهي خيرات الآخرة، وأقلها وهي خيرات الدنيا فنقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

الرازي، أسرار التنزيل وأنوار التأويل (ص: ١٢١)

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

١٢٥٩. كلما زاد الاصطفاء زادت المسؤولية، ومَن اصطفاه الله بكلامه (القرآن)، ومَنَّ عليه بحفظه وفهمه، زادت عليه التبعات

د. محمد جابر القحطاني

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾

١٢٦٠. إذا تكبر العبد عن الحق صرف الله قلبه، وإذا صرف الله قلبه فمن يملك رده؟ ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾.

د. عبد الله السكاكر

١٢٦١. ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ هي حالٌ لازمة للتكبر، كاشفةٌ لوصفه، إذ التكبر لا يكون بحقٍّ في جانب الخلق، وإنما هو وصفٌ لله بحق لأنه العظيم على كل موجود.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩ ١٠٥)

١٢٦٢. ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾، ما أسفَه مَن ركب المفازة؛ فإن رأى طريقًا مستقيمًا أعرض عنه وتركه، وإن رأى معتسفًا مُردِيًا أخذ فيه وسَلَكَه! وفاعلُ نحو ذلك في دينه أسفه!

الزمخشري، الكشاف (٢ ١٥٩)

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

١٢٦٣. مفعول (اتخذ) الثاني محذوف لدلالة المقام عليه، أي: اتخذوا عجلًا جسدًا إلهًا معبودًا من دون الله. فحذف المفعول الثاني لدلالة المقام عليه، وهذا هو التحقيق، والنكتة في حذفه: أنه لا ينبغي أن يتلفظ بأن عجلًا مصطنعًا إله فحذف لهذه النكتة كما قاله بعضهم.

الشنقيطي، العذب النمير (٤ ١٦٦)

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

١٢٦٤. لما رجع موسى عليه السلام، ووجد قومه قد عبدوا العجل؛ غضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته، وعاتبه عتابًا شديدًا، فكان مما قاله هارون لموسى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾، وهو درس عظيم لأتباع الأنبياء في علاج مشاكلهم مهما كانت كبيرة، بعيدًا عن أي أسلوب يجلب شماتة الأعداء والحاسدين.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

١٢٦٥. عدل سبحانه عن قوله: (سكن) إلى قوله: ﴿سَكَتَ﴾؛ تنزيلًا للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي الذي يقول لصاحبه: (افعل، لا تفعل)، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه، المتكلم على لسانه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (ص: ٣٤)

١٢٦٦. أصل كل خير في الدنيا والآخرة: الخوف من الله، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾، فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله.

ابن تيمية، الإيمان (ص: ٢٠)

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

١٢٦٧. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ فالسفهاء هم الذين عبدوا العجل، وسُمِّي شركُهم سفهًا لأنه شركٌ مَشُوبٌ بخِسَّةِ عقلٍ، إذ جعلوا صورةً صنعوها بأنفسهم إلهًا لهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩ / ١٢٥)

١٢٦٨. القصد من جملة ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ الاعترافُ بالانقطاع لعبادة الله تعالى؛ تمهيدًا لمطلب المغفرة والرحمة، لأن شأن الولي أن يرحم مولاه وينصره.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩ / ١٢٧)

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

١٢٦٩. انظر إلى سورة الأعراف كيف ذُكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذُكر موسى إلى أن قَصَّ حكاية السبعين رجلًا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، وجوابه تعالى عنه، ثم تخلَّص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا

﴿لِلَّذِينَ﴾ من صفاتهم كيت وكيت، وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله.

السيوطي، الإتقان (٣ ٣٧٠)

١٢٧٠. ذُكِر عند سماك بن الفضل ﷺ (أيُّ شيء أعظم)؟ فذكروا السموات والأرض، وهو ساكت، فقالوا: ما تقول يا أبا الفضل؟ فقال: «ما من شيء أعظم من رحمته! قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾».

تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٥٧٨)

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

١٢٧١. ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ بيانٌ لكمال رسالته ﷺ... فبه كَمُل دين الله المتضمن للأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ ١٢١)

١٢٧٢. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ هذا صريح في أن الحلال كان طيبًا قبل حِلِّه، وأن الخبيث كان خبيثًا قبل تحريمه... فثبت أنه أحلَّ ما هو طيب في نفسه قبل الحِل، فكساه بإحلاله طيبًا آخر، فصار منشأ طيبه من الوجهين معًا.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢ / ٦)

١٢٧٣. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ التحريم الذي جاءت به الشريعة ليس عقوبة.. بل هو الإنقاذ.

باسل الرشود

١٢٧٤. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ لا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خصَّ بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٧)

١٢٧٥. تدبر القرآن واتباعه هما فرقُ ما بين أوَّل الأمة وآخرها، وإنه لفرق هائل، فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

آثار محمد البشير الإبراهيمي (١ / ٣٢٧)

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

١٢٧٦. مراعاة المحتسب لعِلَّةِ ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، دون عِلَّةِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾؛ تجعله يراعي جانبَ المضمون دون الوسيلة؛ اجعلهما نصب عينيك، وافرح بهداية الناس.

مهند المعتبي

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوۤءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

١٢٧٧. قال عكرمة: دخلت على ابن عباس ﷺ وهو يقرأ في المصحف قبل أن يذهب بصره، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك؟ قال ابن عباس: اسمع الله يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوۤءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾! فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة، فكم قد رأينا من منكرٍ فلم ننه عنه، قال عكرمة: فقلت: ما ترى -جعلني الله فداك- أنهم قد أنكروا وكرهوا حين

قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟! فأعجبه قولي ذلك، وأمر لي ببُردين غليظين فكسانيهما.

المستدرك للحاكم (٣٢٥٤)

١٢٧٨. ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهكذا سُنَّة الله في عباده أنَّ العقوبة إذا نَزَلت نجا منها الآمِرون بالمعروف والناهون عن المُنكَر.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٦)

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

١٢٧٩. قلَّما ذكر الله عذاب الفاسقين المفسدين إلا وقرنه بذكر المغفرة والرحمة للتائبين المحسنين، حتى لا ييأس صالحٌ مصلحٌ من رحمته بذنبٍ عمله بجهالة، ولا يأمن مُفسدٌ من عقابه اغتراراً بكرمه وعفوه، وهو مُصِرٌّ على ذنبه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ ٣٢٢)

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

١٢٨٠. تأمل أخي وصف من حذرنا الله من التشبه بهم في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ؛ أي: عرض الحياة الدنيا، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾، ثم تأمل ختم الآية بقوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، فهل نعقل ما حذرنا الله منه وما أوصانا به؟

أ. د. محمد الربيعة

١٢٨١. ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُ﴾ فإذا رأيت المسلم أو من يدعي أنه مسلم، ينتهك حرمات الله ويُصِرُّ ويثق بالمغفرة، فاعلم أنه مغرور.

الشنقيطي، العذب النمير (٤ ٣٠١)

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾

١٢٨٢. أعظم ما ينبغي أن يتحلَّى به المصلحون، وهو سرُّ تأثيرهم وعظم أجرهم: إصلاحهم لأنفسهم أولاً ولغيرهم ثانيًا، بالقرآن والصلاة؛ تَدَبَّر: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾، ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ قرئت بالتخفيف؛ أي: هم أنفسهم يُمْسِكون، وبالتشديد؛ أي: يُمَسِّكون غيرهم.

أ. د. محمد الربيعة

١٢٨٣. فإن قلتَ: التمسُّكُ بالكتاب يشتمل على كلِّ عبادة ومنها إقامة الصلاة، فكيفَ أُفردت؟ قلتُ: إظهارًا لمزية الصلاة؛ لكونها عمادَ الدين، وفارقةً بين الكفر والإيمان.

الزمخشري، الكشاف (٢ / ١٧٥)

١٢٨٤. التمسك بكتاب الله في جِدٍّ وقوة، مع إقامة شعائر العبادة، هما طَرَفا المنهج الرباني لصلاح الحياة، وخصت الصلاة بالذكر هنا دون سائر العبادات لفضلها وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات، كما قاله المفسرون.

د. عبد اللطيف التويجري

﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾

١٢٨٥. الجد وقوة العزم في إقامة الدين يهذب النفس ويزكيها، والتهاون والإغماض فيه يدسيها ويغويها.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٣٢٥)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

١٢٨٦. النفس بفطرتها إذا تُرِكَت كانت مُقِرَّةً لله بالإلهية، محبةً له، تعبُدُه لا تُشرك به شيئًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨ / ٢٠٥)

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

١٢٨٧. تأمل ما تضمَّنته هذه الآية مِن ذَمِّ عالِم السوء الذي يعمل بخلاف عِلْمه: أن الشيطان أدركه ولحقه، بحيث ظفر به وافترسه؛ ولهذا قال: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ولم يقل: (تَبِعَه)؛ فإن في معنى (أتبعه): أدركه ولحقه، وهو أبلغ من (تَبِعَه) لفظًا ومعنًى.

ابن القيم، الفوائد (ص: ١٠١)

١٢٨٨. ما قرأتُ آيةً أشدَّ من هذه الآية على صاحب القرآن الذي تركه!

أ. د. محمد الربيعة

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

١٢٨٩. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ مجرد العلم لا يرفع صاحبه؛ فإنَّ هذا الرجل قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها، فالرفعة بالعلم قدرٌ زائد على مجرد العلم!

ابن القيم، روضة المحبين (ص: ١٩٤)

١٢٩٠. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ بحسب ما يُخلِدُ العبد إلى الأرض؛ يهبط من السماء.

ابن القيم، روضة المحبين (ص: ١٩٤)

١٢٩١. يقول تعالى عن عالم السوء الذي ترك الهدى بسبب الهوى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ قال ابن جريج: «الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع». علَّق ابن القيم على كلام ابن جريج السابق: «قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهث عليها... فالكلب من أشد الحيوانات لهثًا، يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا؛ وذلك لشدَّة حرصه».

إعلام الموقعين (١ / ١٢٨)

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىٓ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

١٢٩٢. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ ما يحصل بالقلب من العلم، وإن كان بكسب العبد ونظره واستدلاله واستماعه ونحو ذلك؛ فإن الله تعالى هو الذي أثبت ذلك العلم في قلبه، وهو حاصلٌ في قلبه بفضل الله وإحسانه وفعله.

ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (٩ / ٣٠)

١٢٩٣. الإفرادُ في الأول ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾، والجمع في الثاني ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾، باعتبار اللفظ والمعنى: تنبيهٌ على أن المهتدين كواحدٍ، لاتحاد طريقهم، بخلاف الضالين!

البيضاوي، أنوار التنزيل (٣ / ٤٣)

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

١٢٩٤. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، وإنما قال: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، ولم يقل: لا تفقه؛ لبيان أنهم هم المؤاخذون بعدم توجيه إرادتهم لفقه الأمور، والتفتيش عن الحقائق.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ ٣٥٦)

١٢٩٥. نفى السماع والإبصار عنهم، لأن الشيء قد يُنفى لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره فكأنه لم يسمع ولا يبصر.

ابن رجب، أهوال القبور (ص: ٨١)

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾

١٢٩٦. قال سفيان الثوري: «نُسْبِغ عليهم النعم، ونمنعهم الشكر».

الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ٤١)

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

١٢٩٧. نبَّههم على الفِكر في اقتراب الأجل لعلهم يبادرون إليه، وإلى طلب الحق وما يخلصهم من عذاب الله قبل مقانصة الأجل.

أبو حيان، البحر المحيط (٥ / ٢٣٥)

١٢٩٨. في الكون دلائل لا تحابي أحدًا، فمن ينظر فيها!

د. عويض العطوي

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

١٢٩٩. الضلال ظلامٌ دامسٌ، يمشي فيه الإنسان بلا هدى.

د. عويض العطوي

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

١٣٠٠. ليتحقق في القلوب أن وقت الساعة مكتوم عن الخلق، فيصير ذلك حاملاً للمكلفين على المسارعة إلى التوبة وأداء الواجبات.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٥ / ٤٢٣)

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

١٣٠١. تذكيرُ الإنسان بأصل خلقته سبيلٌ لرجوعه إلى الحق، وقد خلقه الله ليكون له عبدًا لا ضدًّا ولا ندًّا.

د. فوزية الخليفي

﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

١٣٠٢. من أصلح ما بينه وبين الله، حفظه الله في:

» حياته: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾.

» وفي منامه: تأمل حفظ الله لأصحاب الكهف، وكيف أصاب الكلبَ بركةُ حفظهم.

» وبعد مماته: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فاللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا ولنا.

أ. د. عمر المقبل

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

١٣٠٣. ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ قال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجلٌ محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه. وإما مسيء، فمُرْهُ بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٥٣٢)

١٣٠٤. عن ابن عباس ﷺ قال: قَدِمَ عيينة بن حِصن فنزل على ابن أخيه الـحُرِّ بن قيس بن حِصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتى هم بأن يقع به، فقال الـحُرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله.

صحيح البخاري (٧٢٨٦)

١٣٠٥. العضُّ بالنواجذ على امتثال قول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وجعلها نصب العين دائمًا؛ أمرٌ ضروري لابد منه، وإلا فيا طول العناء!

مرعي الكرمي، دليل الحكام (ص: ٤٥)

١٣٠٦. في مقامات الفضل لا تتعامل بمبدأ الحسابات الجارية (تسحب بقدر ما تودع)، بل بمبدأ الأخلاق الحسنة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾، فبهذه القاعدة تزول أمثال تلك المقولات المتكررة: لن أُعزي فلانًا لأنه لم يعزني في قريبٍ لي مات قريبًا! لن أزور فلانًا فقد مرضت قبل فترةٍ ولم يزرني!

أ. د. عمر المقبل

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾

١٣٠٧. قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾؛ بينما قال في (فصلت): ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾، وفي حكمة التفريق بينهما قال ابن جماعة: إن آية (الأعراف) نزلت أولاً، وآية (فصلت) نزلت ثانيًا؛ فحَسُن التعريف؛ أي: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان.

كشف المعاني (ص: ١٨٩)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾

١٣٠٨. حقٌّ على العبد أن يقف عند كل هَمٍّ يخطر له؛ ليعلم أنه من لـمَّة الـمَلَك أو من لـمَّة الشيطان، وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة، لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ أي: رجعوا إلى نور العلم ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ أي: ينكشف لهم الإشكال.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٣ / ٣٠)

١٣٠٩. الناس تغيب عنهم معاني القرآن عند الحوادث، فإذا ذُكِّروا بها عرفوها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٦٣/٢٧)

١٣١٠. حين أقع في الذنب وأندم عليه، فلا داعي بعدُ لأن أستسلم وأيأس من تفوُّقي ونبوغي؛ تدبر: ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾، فلا يأس وإن أذنبت، فغاية الشيطان أن تيأس فتكسل وتخمل.

من مشاركات المتدبرين

١٣١١. في ذلك تنبيه على أن من تمادى مع الشيطان عَمِي.

البقاعي، نظم الدرر (٨ / ٢٠٦)

١٣١٢. الفتنة حينما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يُعمي بها البصائر، فيحفظ الله الذاكرين!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (ص: ٦٥)

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

١٣١٣. هذا منهج الأنبياء وأتباعهم الصادقين؛ اتباع الوحي، والوحي فقط.

د. محمد بن عبدالله بن جابر القحطاني

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

١٣١٤. قال الليث بن سعد: يقال: ما الرحمةُ إلى أحدٍ بأسرع منها إلى مستمع القرآن؛ لقول الله جلَّ ذِكرُه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾. و(لعل) من الله واجبة، قال القرطبي: إذا كان هذا الثواب لمستمع القرآن، فكيف بتاليه؟!

التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي (ص: ١٠٠)

١٣١٥. ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ مَن لازَم على هذين الأمرين حين يُتلَى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا، وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًّا متجددًا، وهدًى متزايدًا، وبصيرةً في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلي عليه الكتاب فلم يستمع له وينصت أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٤)

١٣١٦. فمن استمع للقرآن وأنصت، فإنما يستمطر رحمة الله، فلا تستطل -أيها المؤمن- طول الصلاة، بل أرع سمعك لخطاب ربك، فإنما تستكثر من رحمته.

أ. د. عبد المحسن المطيري

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾

١٣١٧. من حافظ على أذكار الصباح والمساء، لم يكن من الغافلين.

أ.د. محمد الربيعة

سورة الأنفال

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾

١٣١٨. لما حضرت الإمام نافعًا المدني -وهو أحد القراء السبعة- الوفاة، قال له أبناؤه: أوصنا! قال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾.

معرفة القراء الكبار للذهبي (ص: ٦٦)

١٣١٩. تأمل كيف قدم ربنا إصلاح ذات البين على طاعته وطاعة رسوله في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾! فكم هو مؤسف أن تمر الأيام على أُناسٍ يقرؤون هذه الآية وهم مصرون على القطيعة، ويُحرمون من هذه الفضيلة التي صح الحديث بأنها خير من درجة الصائم المصلي المتصدق؟[1]

د. محمد الربيعة

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾

(١) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين». رواه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

١٣٢٠. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ هذا أمرٌ يجدُه المؤمن؛ إذا تُليت عليه الآيات زاد في قلبه الإيمان بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن، حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذٍ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشرِّ ما لم يكن.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٧ ٢٢٨)

١٣٢١. بحسب إيمان العبد يزدادُ إيمانُه عند تلاوة كتاب الله والحكمة، وهذا أعلى ما يكون من الإيمان، فإنه إيمانٌ عن أكبر البراهين، وإيمانٌ على بصيرة، لا كإيمان ضعفاء المؤمنين الناشئ عن العادات والتقليد، الذي هو عُرضةٌ للعوارض والعوائق! وأما هذا الإيمان فهو إيمان لا تزعزعه الشبهات، ولا تعارضه الخيالات، بل يزداد مع صاحبه مدى الأوقات.

السعدي، المواهب الربانية (ص: ٨٩)

١٣٢٢. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾؛ ووجه ذلك أنهم يلقون للقرآن السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يُبيِّن لهم معنًى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وَجَلًا من العقوبات وازدجارًا عن المعاصي.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٥)

١٣٢٣. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ هل نحن من الذين يسمعون آيات الله فيزدادون إيمانًا، أم أننا -أو أن أكثرنا- يسمع آيات القرآن للطرب وللعجب، فإذا سمعها لم تجاوز أُذنيه، ولم تصل إلى قلبه وعقله؟

علي الطنطاوي، نور وهداية (ص: ٢١٤)

١٣٢٤. الإنسان إذا سأل عن معنى الآية كُشف له عن خبيئتها، فإذا كشف له عن معناها جاءت مرحلة التفكر وجاءت مرحلة التدبر، وإذا جاءت مرحلة التدبر جاء الأثر وهي الذكرى، ولربما يتبع هذا الأثر أثر العين بالدمع، وأثر القلب بالخشوع.

دروس د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي (درس رقم ٣٦)

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾

١٣٢٥. إذا ظهر الحق واستبان، فلا يصح أن يجادل فيه أهل العقل والإيمان ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾

١٣٢٦. ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ الفاء سببية، والإجابة مسببة عن الاستغاثة بالله، وهذا يدل على أن من استغاث بالله كانت استغاثته بالله سببًا للإجابة، وإزالة المكروه عنه.

الشنقيطي، العذب النمير (٤/ ٥٣٤)

١٣٢٧. في غزوة بدر تعانق السلاح المادي مع التكوين الإيماني: فالنبي ﷺ هيَّأ الجيش، ونظم الجند، واختار المواقع، ورفع المعنويات، ثم توجه إلى ربه في ضراعة وإلحاح، يستنزل النصر، ويناشد المدد؛ فتحقق المراد.

د. صالح بن حميد

١٣٢٨. لو استغنى جيشٌ عن الدعاء، لكان الجيش الذي فيه خاتم الأنبياء المؤيد بالوحي!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

١٣٢٩. ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ توقيفٌ على أن الأمر كله لله، وأن تَكَسُّب المرء لا يغني إذا لم يساعده القدر، وإن كان مطلوبًا بالجد.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٥)

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

١٣٣٠. وهذه نعمةٌ خفيَّةٌ، أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٥)

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

١٣٣١. قال: ﴿فَذُوقُوهُ﴾، لأن الذائق أشد إحساسًا بالطعم من المستمر على الأكل، فكأن حالهم أبدًا حالُ الذائق في إحساسهم العذاب.

بيان الحق النيسابوري، باهر البرهان (١ / ٥٥٩)

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

١٣٣٢. كأن المنهزم أراد أن يأوي إلى مكانٍ يأمن فيه من الهلاك، فعُوقِب على ذلك بجعل عاقبته التي يصير إليها دار الهلاك والعذاب الدائم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٥١٣)

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

١٣٣٣. من الناس من يسمع الآيات ويقول: هذه الآية نزلت في الكافرين أو المنافقين، لا في أمثالي من المؤمنين، وإن كان مُتَّصِفًا بما تنهى عنه، وتتوعد عليه من صفاتهم وأعمالهم؛ فصاحبُها يصدُق عليه بوجهٍ ما أنه من الذين ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٥٢٤) بتصرف

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّ هُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

١٣٣٤. مجرد إسماع الصوت لا ينفع، فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القرآن وكفروا به، بخلاف إسماع الفقه، فإن ذلك هو الذي يعطيه الله لمن فيه خير.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ ١٠)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

١٣٣٥. الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياةٌ بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا؛ فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة.

ابن القيم، الفوائد (ص: ٨٨)

١٣٣٦. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ من الفهم الثاقب لهذه الآية ما وقع في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رجلًا يقول: «اللَّهُمَّ إنك تحول بين المرء وقلبه، فحُلْ بيني وبين معاصيك أن أعمل بشيء منها»، فأُعْجِبَ بذلك عمر ﷺ وقال: رحمك الله، ودعا له بخير.

الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٩٤)

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

١٣٣٧. أهل الباطل جُلُّ همهم إخماد صوت الحق بأي صورة كانت.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

١٣٣٨. تَعَلُّقهم بالحسيات أعماهم عن طلب الهداية، حيث قالوا: ﴿فَأَمْطِرْ﴾ ولم يقولوا: (فاهدنا)!

د. سعود الشريم

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

١٣٣٩. جاء في صدر الآية بالفعل: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، وجاء بعده بالاسم: ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾؛ وذلك أنه جعل الاستغفار مانعًا ثابتًا من العذاب، بخلاف بقاء الرسول بينهم، فإن العذاب موقوت ببقائه بينهم، فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية، والحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني (ص: ٢٥)

١٣٤٠. إذا قرنت بين قول ربنا في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»[1]، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وأنه أتى بالفعل المضارع ﴿يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الدال على الاستمرار؛ عرفت أننا بحاجة للاستغفار كل وقت وحين.

أ. د. عمر المقبل

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)

١٣٤١. أتى بصيغة المضارع في ﴿يُنفِقُونَ﴾ للإشارة إلى أنَّ ذلك دَأبُهم، وأن الإنفاق مستمر لإعداد العُدَد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والاستقبال.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩ ٣٤٠)

١٣٤٢. من العبرة في هذا للمؤمنين: أنهم أولى من الكفار ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لأن لهم بها من حيث جملتهم سعادةَ الدارين، ومن حيث أفرادهم الفوزَ بإحدى الحُسنَيَين.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٥٥٠)

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾

١٣٤٣. قال يحيى بن معاذ الرازي في هذه الآية: إن توحيد ساعة يهدم كفر سبعين سنة.

تفسير الرازي (١٥ / ٤٨٣)

١٣٤٤. قال العلماء: هذه لطيفة مِن الله سبحانه مَنَّ بها على الخليقة، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي ويرتكبون المآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدًا توبة، ولا نالتهم مغفرة، فيَسَّر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم، ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام، وتأليفًا على الملة، وترغيبًا في الشريعة، فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا.

ابن العربي، أحكام القرآن (٢ / ٣٩٨)

١٣٤٥. اشترط الله لتوبة الكافر شرطًا واحدًا ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾، واشترط لتوبة المنافق أربعة شروط ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٦] مما يدل على أن النفاق خطره أعظم، والتوبة منه أشق!

د. عبد الرحمن الشهري

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

١٣٤٦. هذا من بديع صنع الله تعالى؛ إذ جعل للشيء الواحد أثرين مختلفين، فكان تخيُّل المسلمين قلةَ المشركين مقوِّيًا لقلوبهم، ومزيلًا للرُّعب عنهم، فعَظُم بذلك بأسهم عند اللقاء، وكان تخيُّل المشركين قلةَ المسلمين غارًّا إياهم بأنهم سينالون التغلب عليهم بأدنى قتال، فكان صارفًا إياهم عن التأهب لقتال المسلمين، حتى فاجأهم جيش المسلمين، فكانت الدائرة على المشركين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٠ / ٢٦) مختصر

١٣٤٧. رؤيا النبي ﷺ حق، وتأويلها حق، كما قال يوسف: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، لأن معنى رؤياه هو ما سيأتي في قوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾، لأن الله قلَّل كُلًّا من الطائفتين في عين الأخرى في اليقظة.

الشنقيطي، العذب النمير (٥ / ٧٠)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

١٣٤٨. فهذه خمسة أشياء تُبتنى عليها قبة النصر، ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوَّى بعضها بعضًا، وصار لها أثر عظيم في النصر.

ابن القيم، الفروسية المحمدية (ص: ٤٧٣)

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

١٣٤٩. وجوب الصبر، وكونه أعظم أسباب النصر، ولذلك عظَّم الله تعالى شأنه بقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾، وأيُّ بيانٍ لفائدة الصبر أبلغ من إثبات معية الله تعالى لأهله.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١٠ / ١٢٨) مختصر

١٣٥٠. هذه وصايا سماوية، وتعاليم من رب العالمين عظيمة، مَن أخذ بها ظفر، ومن تركها فشل وذهبت ريحه لا شك!

الشنقيطي، العذب النمير (٥ ٨٧)

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

١٣٥١. لا تغتر باختلاف الموازين، فما عند المؤمنين يقين، هو عند غيرهم غرور.

د. عويض العطوي

١٣٥٢. من توكَّل على الله توكَّل على قويِّ الجناب، عزيزٍ منيعٍ، لا يُضام من توكَّل عليه، ولذا قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ فاقتضت عزته وقهره وسلطانه ألا يُضام وليُّه المتوكل عليه وألا يُقهَر، واقتضت حكمته البالغة ألا يجعل وليَّه كعدوه، وألا يسوي بينهما، بل ينصر وليَّه على عدوه.

الشنقيطي، العذب النمير (٥ / ١٠٨ - ١٠٩) مختصر

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

١٣٥٣. دليل على أن الله ﷻ قد يسلب النعم بفعل المعصية عقوبة لفاعليها، ولا أحسب -والله أعلم- قوله في سورة الرعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ إلا على هذا المعنى، من أنه لا يغير ما بهم من النِّعَم حتى يحدثوا أحداثًا يعاقبهم الله عليها، فيغير ما بهم، ويكون الإحداث سببًا للتغيير.

القصاب، النكت الدالة على البيان (١ / ٤٧٣)

١٣٥٤. أخبر أنه لا يغير نِعَمَه التي أنعم بها على أحدٍ حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعةَ الله بمعصيته، وشكرَه بكفره، وأسبابَ رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَيَّر غُيِّر عليه؛ جزاءً وفاقًا!

ابن القيم، الجواب الكافي (ص: ٧٤)

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥﴾

١٣٥٥. ليسوا من شِرار البشر فقط، بل هم أضل من عجماوات الدواب، لأن فيها منافع للناس، وهؤلاء لا خير فيهم ولا نفع لغيرهم منهم، فإنهم لشدة تعصبهم لجنسهم قد صاروا أعداء لسائر البشر.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١٠ / ٤٢)

١٣٥٦. إن قلتَ: ما فائدة قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥﴾ بعد ذِكْرِ ما قبله؟ قلتُ: مُرادُه أن يبيِّن أنَّ شر الدواب هم الذين كفروا، واستمروا على كفرهم إلى وقت موتهم.

زكريا الأنصاري، فتح الرحمن (ص: ٢٢٢)

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾

١٣٥٧. إنما قال: ﴿يَنقُضُونَ﴾ بفعل الاستقبال، مع أنهم كانوا قد نقضوه قبل نزول الآية، لإفادة استمرارهم على ذلك، وأنه لم يكن هفوة رجعوا عنها، وندموا عليها.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١٠ / ٤٣)

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾

١٣٥٨. من فوائد العقوبات والحدود الـمُرَتَّبة على المعاصي أنها سببٌ لازدجار مَن لم يعمل المعاصي، بل وزجرًا لمن عملها ألا يعاودها.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٤)

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

١٣٥٩. أمر الله ﷻ بإعداد القوة للأعداء، فإن الله تعالى لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في الوجوه، وحفنةٍ من تراب، كما فعل ﷺ، ولكنه أراد أن يبلِيَ بعض الناس ببعض، فأمر بإعداد القُوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عُدَّةً، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بإمداد الملائكة العليا.

ابن العربي، أحكام القرآن (٢ / ٤٢١)

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

١٣٦٠. قال ابن عباس ﷺ: «إن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبدًا»، ثم قرأ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

المستدرك للحاكم (٣٢٦٨)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

١٣٦١. هذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله بالكفاية والنصرة على الأعداء، فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمَّهُم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٥)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

١٣٦٢. هذا سِرٌّ لطيفٌ عظيم، وتعليمٌ سماوي هائل، يفهم به المسلمون أن أول شيء من الأساسيات للاستعداد للميدان هو الفقه والفهم عن الله، فيجب كل الوجوب أن يُعَلَّم العسكريون عن الله حتى يفقهوا، لأنهم إذا كانوا فاهمين عن الله عارفين بنُبل المبدأ الذي يقاتلون عليه كانوا شجعانًا وصابرين، لا يرجعون القهقرى ولا يُهزمون، كما سجله التاريخ لأوائل هذه الأمة.

الشنقيطي، العذب النمير (٥ / ١٧٦)

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

١٣٦٣. إنه تعالى لا يريد ما يفضي إلى السعادات الدنيوية التي تَعرِض وتزول، وإنما يريد ما يفضي إلى السعادات الأخروية الدائمة الباقية المصونة عن التبديل والزوال.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٥ / ٥١١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

١٣٦٤. ما أعظم الصدق مع الله! تأمل: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ﴾، ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢١].

د. محمد الربيعة

١٣٦٥. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ فيه الإيماء إلى عِظَم مغفرته التي يغفر لهم، لأنها مغفرةُ شديدِ الغفران، رحيمٍ بعباده، فمثال المبالغة، وهو ﴿غَفُورٌ﴾ المقتضي قوة المغفرة وكثرتها، مُستعمَلٌ باعتبار كثرة المخاطبين، وعِظَم المغفرة لكلِّ واحد منهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٠ / ٨١)

سورة التوبة

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾

١٣٦٦. إضافة الأذان إلى الله ورسوله دون المسلمين، لأنه تشريعٌ وحُكْمٌ في مصالح الأمة، فلا يكون إلا من الله على لسان رسوله ﷺ.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٠ / ١٠٨)

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

١٣٦٧. القرآن بمجرد ما يسمعه الإنسان يشعر بأنه قامت عليه الحجة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، فجعل الله تعالى لسماعه أثرًا في القلب.

ابن عثيمين، شرح العقيدة السفَّارينية (ص: ٥٤٣)

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

١٣٦٨. إنما قال: ﴿بَدَءُوكُمْ﴾؛ تنبيهًا على أن البادئ أظلم.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٥ / ٥٣٥)

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

١٣٦٩. وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاءَ ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٣١)

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

١٣٧٠. قدَّم الرحمة والرضوان على الجنات، عطايا الروح ألَذُّ من عطايا الجسد.

د. عبد الله بلقاسم

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

١٣٧١. هذه الآية أشدُّ آيةٍ نَعَتْ على الناس ما لا يكاد يتخلص منه إلا مَن تداركه الله سبحانه بلطفه.

الألوسي، روح المعاني (٥ / ٢٦٥)

١٣٧٢. لم يرض منهم أن يكون حبهم لله ورسوله كحب الأهل والمال، وأن يكون حب الجهاد في سبيله كحب الأهل والمال، بل حتى يكون الجهاد في سبيله الذي هو تمام حبه وحب رسوله أحب إليهم من الأهل والمال.

ابن تيمية، الاستقامة (١ / ٢٦٤)

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

١٣٧٣. تأييد الله لرسوله وللمؤمنين بالقوى المعنوية أعظم شأنًا وأدنى إلى النصر من القوة المادية، كالكثرة العددية وما يتعلق بها.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١٠ / ٢١٧)

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

١٣٧٤. قال أهل المعاني: إن الله سبحانه لم يذكر قولًا مقرونًا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولًا زورًا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١١٨)

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

١٣٧٥. فمَثَلُهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاعَ الشمس أو نورَ القمر بنَفْخِه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل به الرسول ﷺ لا بد أن يتم ويظهر.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٣٦)

١٣٧٦. كان أبو لهب يتتبع المواضع التي يخرج منها نبينا ﷺ أيام الحج محذِّرًا من دعوة الصابئ بزعمه! هلك أبو لهب، وتبع محمدًا ﷺ مليارات من العرب والعجم! هذا دين الله لا يوقفه حرب كافر، ولا تشغيب ملحد، ولا تلوُّن منافق: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

١٣٧٧. عن الفضيل بن عياض قال: «إنما هما عالِـمان: عالِـم دنيا، وعالِـم آخرة، فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور، فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا؛ لا يصدكم بسُكْرِه»، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ﴾.

حلية الأولياء لأبي نعيم (٨ / ٩٢)

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

١٣٧٨. قال: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾، ولم يقل: (يوم تُـحمى في نار جهنم)، ليدل ذلك على أنها -مع حرارةِ نارِ جهنم- تُستعمَل لها الآلات المُحْمِيَة -كالمنافيخ ونحوها- فيُضاعَف حرُّها، ويشتدُّ عذابها.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص: ٣٠)

١٣٧٩. يقال: مَن أحبَّ شيئًا وقدَّمه على طاعة الله عُذِّب به. وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثرَ عندهم من رضا الله عنهم عُذِّبوا بها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٤١)

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ۚ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

١٣٨٠. دلت الآية أن الواجب تعليق أحكام العبادات وغيرها بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثني عشر شهرًا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٣٣)

١٣٨١. ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ قال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حالٍ عظيمًا، ولكن الله يُعظِّم من أمره ما شاء.

تفسير الطبري (١١ / ٤٤٥)

١٣٨٢. قال أهل المعاني: وفي جعل بعض الشهور أعظم حُرْمَةً من بعض فوائد من المصلحة في الكف عن الظلم فيها، لعظم منزلتها في حكم خالقها، فربما أدَّى ذلك إلى ترك الظلم رأسًا لانطفاء الثائرة في تلك المدة.

التفسير البسيط للواحدي (١٠ / ٤٠٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

١٣٨٣. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ على قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة.

ابن القيم، الفوائد (ص: ٩٦)

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

١٣٨٤. ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ إن هذا الدين لمن ذبَّ عنه.

ابن تيمية، جامع المسائل (٥ / ٣٠٠)

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

١٣٨٥. لو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار بحقٍّ جاء به الرسول ولم تنصره الناس عليه، فإن الله معه، وله نصيب من قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، فإن نصر الرسول هو نصر دينه الذي جاء به حيث كان ومتى كان.

ابن تيمية، منهاج السنة (٨ / ٤٨٨) مختصر

١٣٨٦. كل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره، فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؛ فإن المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لِـما جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دل عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٧)

١٣٨٧. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ من اللطائف أن اسم الله تعالى كان يُذكر معهما أيضًا، فيقال: (رسول الله)، ويقال: (خليفة رسول الله)، فكان اسم الله يُذكر معهما بالرسالة وبالخلافة، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء، ولا يكون.

السهيلي، الروض الأنف (٤ / ١٣٨)

١٣٨٨. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ألا ترى كيف قال: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، ولم يقل: لا تخف؛ لأنَّ حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه.

السهيلي، الروض الأنف (٤ / ١٣٥)

١٣٨٩. قال الشعبي: عاتب الله تعالى أهل الأرض جميعًا -في هذه الآية- غير أبي بكر رضي الله عنه.

تفسير الثعلبي (١٣ / ٣٨٠)

١٣٩٠. تأمل كيف أثنى عمر الفاروق على أبي بكر الصديق ﷺ فقال: «أخبروني من له هذه الثلاثة:
» ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾، من هما؟
» ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾، من صاحبه؟
» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، مع من؟».

المعجم الكبير للطبراني (٧ / ٥٦)

١٣٩١. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فدل أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه فما له وللحزن؟! وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ٢٨٠)

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

١٣٩٢. ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ﴾ في هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل والنهم والثقل، وإلى أن هذا الدين متين، لا يحمله إلا ماضي الهم صادق العزم.

البقاعي، نظم الدرر (٨ / ٤٨٠)

١٣٩٣. ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ قيلت هذه في نفس الغزوة التي قيل فيها عن قوم: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢]! المخذول لا تعجزه الأعذار!

أ. د. عمر المقبل

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

١٣٩٤. سأل عون بن عبد الله أصحابه: سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٨٠٥)

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

١٣٩٥. ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ عبارةٌ عن التحيُّر؛ لأن التردد ديدن المتحير، كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر.

الزمخشري، الكشاف (٢ / ٢٧٥)

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

١٣٩٦. لا تجزعْ من الألم، ولا تَـخَفْ من المعاناة، فربما كانت قوةً لك ومتاعًا إلى حين، فإنك إن تَعِش مشبوبَ الفؤاد، محروقَ الجوى، ملذوعَ النفس؛ أَرَق وأصفى من أن تعيش بارد المشاعر، فاتر الهمة، خامد النفس، وتأمل: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

عائض القرني، لا تحزن (ص: ٨٨)

١٣٩٧. من أشد ما تخشاه حين يُـحال بينك وبين الطاعة أن يكون الله كرهها منك، والعياذ بالله.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

١٣٩٨. من عادة المنافقين: ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ إنه الركض اللاهث لتفجير جسور التواصل، وتلغيم القلوب.

د. عبد الله بن بلقاسم

١٣٩٩. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ﴾ فإذا كان جيل القرآن كان بينهم منافقون، وفيهم سمَّاعون لهم، فما الظن بمن بعدهم؟!

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٤ / ١٤٠٤)

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

١٤٠٠. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ إظهار الورع في غير محلة حيلةٌ ليست جديدة؛ يلجأ إليها المنافقون ليخفوا مكرهم، ولكن هيهات.

د. عويض العطوي

١٤٠١. قال أهل المعاني: وفيه تنبيه على أن مَن عصى الله لغرضٍ ما، فإنه تعالى يُبطِلُ عليه ذلك الغرض؛ ألا ترى أن القوم إنما اختاروا القعودَ لئلا يقعوا في الفتنة، فالله تعالى بيَّن أنهم في عين الفتنة واقعون ساقطون.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦ / ٦٦)

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

١٤٠٢. قال مسلم بن يسار: «الكلام في القدر واديان عريضان، يهلك الناس لا يدرك غورهما، فاعمل عملَ رجلٍ يعلم أنه لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكلَ رجلٍ يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له».

تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٨١١)

١٤٠٣. قال ابن هبيرة: إنما لم يقل: (ما كتب علينا) لأنه أمرٌ يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له؛ إن كان خيرًا فهو له في العاجل، وإن كان شرًّا فهو ثوابٌ له في الآجل.

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ١٤٢)

١٤٠٤. الإنسان إذا علم أن ما قدَّره الله كائن، وأن كل ما ناله من خيرٍ أو شرٍّ إنما هو بقدر الله وقضائه هانت عليه المصائب، ولم يجد مرارة شماتة الأعداء وتَشَفِّي الحَسَدَة.

الشوكاني، فتح القدير (٢ / ٤٢١)

١٤٠٥. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ المؤمن عند المصيبة يفزع إلى القَدَر فيطمئن قلبه، وترتاح نفسه به.

مجموع فتاوى ابن باز (١ / ١٠٠)

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

١٤٠٦. لا تجد في الدنيا رجلًا مآله إلى خيرٍ عظيم على كل التقديرات إلا المجاهد في سبيل الله.

الشنقيطي، العذب النمير (٥ / ٥٦٤)

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

١٤٠٧. في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ تنبيه إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يقوم إلى صلاته بنشاط وإقبال ورغبة، وأن تكون نفسه عند الإنفاق منشرحة.

د. عبد الرحمن الشهري

١٤٠٨. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ هذه حالُ من أنفق كارهًا، فكيف بمن ترك النفقةَ رأسًا؟

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٣٩)

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

١٤٠٩. إذا رأيت كافرًا زاده الله مالًا وذرية فلا تغتر به، فإنما هي زيادة عذاب في الدارين: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾، وهو بكفره لا يزداد عند الله

إلا مقتًا وخسارًا: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر:٣٩].

د. عبد المحسن المطيري

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

١٤١٠. فرِضاهُم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقًا برياسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه؛ إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له.

ابن تيمية، العبودية (ص: ٨١)

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

١٤١١. الله خلق النفوس ويعلم حبَّها للمال، فلم يوكل توزيع الزكاة لأحدٍ، وإنما تولى الربُّ ﷻ مصارفها، كما تولى قسمة المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية [النساء:١١].

صالح المغامسي

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

١٤١٢. المؤمن لا يقدم شيئًا على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٢)

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

١٤١٣. هذا نص في أنَّ الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى.

ابن تيمية، الصارم المسلول (ص: ٣١)

١٤١٤. الاستهزاء ينافي التعظيم، الاستهزاء بالله كفر مخرج من الدين؛ لأنَّ أصلَ الدين مبنيٌّ على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء مناقضٌ لهذا الأصل أشدَّ المناقضة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٢)

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

١٤١٥. تأمل هذا التقابل بين صفات المنافقين وصفات المؤمنين:

» ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

» ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

» ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

» ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وفي ترتيب الكلمات وألفاظها أسرار كثيرة.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٠٦ - ١١٠) بتصرف

١٤١٦. وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، في حقول النساء ومجتمعات النساء: في أيام العرس وفي أيام الدراسة، وما أشبه ذلك.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢ ٤١١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

١٤١٧. قُرِن المنافقون هنا بالكفار تنبيهًا على أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفار.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٠ / ٢٦٥)

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

١٤١٨. ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ﴾ وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببًا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيًا لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه ويؤمنوا به ويجلُّوه؟! فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٤)

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾

١٤١٩. كم ممن يتشوَّف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها، فيكون وصوله إليها وبالًا في حقِّه.

ابن تيمية، الاستقامة (٢ / ٥٥)

﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾

١٤٢٠. هكذا المنافق: شرٌّ على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لَمَزَهم، وإن رأى المقصرين لَمَزَهم، وهو أخبث عباد الله، فهو في الدرك الأسفل من النار. والمنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة، وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قالوا: هؤلاء متزمتون، وهؤلاء متشددون، وهؤلاء أصوليون، وهؤلاء رجعيون، وما أشبه ذلك من الكلام.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١ / ١٣٥)

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾

١٤٢١. المؤمن يدفع بصبره على الحر والبرد في سبيل الله حرَّ جهنم وبردها، والمنافق يفرُّ من حر الدنيا وبردها حتى يقع في حر جهنم وزمهريرها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤١٩)

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾

١٤٢٢. لو تصل هذه الحقيقة إلى قلوب اللاهين في الدنيا الغافلين عن أمر الله لعلموا أنهم في لهوهم خاسرون.

د. محمد الربيعة

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾

١٤٢٣. ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ لا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع وردَّه، كالجمل الأجرب.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣ / ٦٦)

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾

١٤٢٤. ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ﴾ هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨ ٢٢٧)

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

١٤٢٥. ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ الحزن على فوات الطاعة من ثمرة حبها والاهتمام بها، لأن المرء لا يحزن إلا على ما عَزَّ عليه.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (ص: ٥٥)

١٤٢٦. ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾! هكذا بكَوْا لفوات قُربَة من القُربات التي كانوا معذورين فيها لفقرهم! فكم بكينا لفوات قُربات لسنا معذورين فيها؟! بل فتش فستجد في الناس من يبكي لفوات شهوة، أو معصية، أو هزيمة ناديه المفضل!!

أ. د. عمر المقبل

١٤٢٧. ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ أشادَ بمَن لم يجِد فوجَد في قلبه. هنيئًا لك يا من لم تجد فأبكتك أحوالُ المسلمين.

إبراهيم الأزرق

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

١٤٢٨. أهل الغنى والمال عليهم مسؤولية أكبر من غيرهم في خدمة قضايا الأمة ونُصرتها، ومقاومة أعدائها بكلِّ وسيلة!

د. محمد الصاوي

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

١٤٢٩. كل من أخبر الله أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك ما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك.

ابن تيمية، الصارم المسلول (ص: ٥٧٣)

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

١٤٣٠. قال قتادة: «ما بالُ أقوامٍ يتكلَّفون عِلْمَ الناس؟ يقول: فلانٌ في الجنة وفلانٌ في النار، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري! لعمري لأنت بنفسك أعلمُ مِنك بأعمال الناس، ولقد تكلَّفت شيئًا ما تكلَّفه نبي؛ قال نبي الله نوح: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١٢]... وقال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾».

تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٨٧٠)

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

١٤٣١. قال أبو عثمان النهدي: ما في القرآن آيةٌ أرجى عندي لهذه الأمة من قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾.

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٢٠٦)

١٤٣٢. هل ضاق صدرك من ذنوبك؟ هل قنَّطك الشيطان من رحمة ربك؟ تدبَّر هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ فمن الذي

ما أساء قط؟! إنما يأتي الخوف عندما ينهمك العبد في ذنوبه دون ندمٍ على ما مضى منه، فهذا على خطر عظيم، فبشرى للنادمين!

من مشاركات المتدبرين

١٤٣٣. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ السلطان العظيم إذا التمس المحتاجُ منه شيئًا فإنه لا يجيب إليه إلا على سبيل الترجي مع كلمة (عسى) أو (لعل)، تنبيهًا على أنه ليس لأحدٍ أن يلزمني شيئًا وأن يكلفني بشيءٍ، بل كل ما أفعله فإنما أفعله على سبيل التفضُّل والتطوُّل.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦ / ١٣٣)

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

١٤٣٤. في إسناد الأخذ إليه سبحانه بعد أمره لرسوله ﷺ بأخذها تشريفٌ عظيمٌ لهذه الطاعة ولمن فعلها.

الشوكاني، فتح القدير (٢ / ٤٥٥)

١٤٣٥. استعن بالصدقة على صلاحك، وصلاح ذريتك، فإنها تطهيرٌ للذنب، وتزكية للقلب.

عبد اللطيف بن هاجس

١٤٣٦. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ وهذه الجملة الاسمية المؤكدة بـ (أن) وبضمير الفصل، الدالة على الحصر، وما فيها من صيغة المبالغة بمعنى الكثرة من التوبة، ومبالغة الصفة الراسخة من الرحمة- تفيد أعظم البشرى للتائبين، وأبلغ الترغيب في التوبة للمذنبين، كما لا يخفى على المتدبرين.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١١ / ٢٧)

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

١٤٣٧. العمل وإن كان فاضلًا تُغَيِّره النية، فينقلب منهيًّا عنه، كما قلبت نيةُ أصحاب مسجد الضرار عَمَلَهم إلى ما ترى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٢)

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

١٤٣٨. لِريح المخلصين عطريةُ القبول، وللمرائي سموم النسيم؛ نفاق المنافقين صيَّر المسجد مزبلة: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ﴾، وإخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ: «رُبَّ أشعثَ أغبر»[1].

ابن الجوزي، المدهش (ص: ٣٩٩)

١٤٣٩. ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ﴾ البقاع والأماكن وإن كانت مسمياتها تدل على الفضائل فالعبرة فيها بالأهداف والغايات.

أ. د. ابتسام الجابري

١٤٤٠. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ إذا أحب مولاك مَن تطهَّر مِن الأحداث والأنجاس، فما الظن بمَن تطهَّر مِن الذنوب والأدناس!

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (ص: ٥١)

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

(١) رواه مسلم (٢٦٢٢) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «رُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسَمَ على الله لأبرَّه».

١٤٤١. الأعمال والدرجات بنيان، وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدَّم شيءٌ من البنيان سَهُل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدَّم شيءٌ من الأساس سقط البنيان أو كاد، فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

ابن القيم، الفوائد (ص: ١٥٥)

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

١٤٤٢. ثمة علاقة وثيقة بين المشاريع التخريبية وبين قلوب أصحابها، تأمل: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

١٤٤٣. باع المغبونون منازلهم من الجنة بأبخس الحظ وأنقص الثمن، وباع الموفَّقون نفوسهم وأموالهم من الله وجعلوها ثمنًا للجنة؛ فربحت تجارتهم، ونالوا الفوز العظيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١٠)

١٤٤٤. تقديم الأموال على الأنفس في الجهاد وقع في جميع القرآن الكريم إلا في موضعٍ واحد وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾، فكان تقديم الأنفس هو الأولى، لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استامها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد

رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبعٌ لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد وما يملكه لسيده ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسنًا لا مزيد عليه.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١ / ٧٧ - ٧٨)

١٤٤٥. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ العجب ممن يدعون الإيمان وهم ينكثون بيعة الله ﷻ، فهم لا يبذلون أنفسهم ولا شيئًا من أموالهم في سبيل الله، وإنما يطلبون الجنة بغير ثمنها.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١١ / ٤١)

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

١٤٤٦. خصال التائب ذكرت في آخر (براءة)، فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة؛ وإلا فالنفس هامة متحركة، إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات، وأن يتدارك ما فرط فيها، وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير، ويحفظ لحظاته وخطواته، ولفظاته وخطراته.

ابن كثير، البداية والنهاية (٩ / ١٨٥)

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

١٤٤٧. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى الابتلاءات الكبرى ليست سوى ساعة، فما أسرع ما تمضي!

د. عبد الله بن بقشم

١٤٤٨. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن قال قائل: ما هذا التكرار، فقد قال في أول الآية: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؟ الجواب عنه: أنه ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض تَفَضُّلٍ من الله، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه القبول.

السمعاني، تفسير القرآن (٢ / ٣٥٦)

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

١٤٤٩. قال كعب بن مالك ﷺ، يحدِّث حين تخلَّف عن غزوة تبوك وخلَّف رسولُ الله ﷺ أمرَه، وتركه في الثلاثة الذين خُلِّفوا: «إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألَّا أُحدِّثَ إلا صدقًا ما بقيت».

رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)

١٤٥٠. تخلَّف الثلاثة عن الرسول ﷺ في غزوةٍ واحدةٍ، فجرى لهم ما سمعتَ، فكيف بمن عمره في التخلُّف عنه؟!

ابن القيم، بدائع الفوائد (٣ / ٢٢٨)

١٤٥١. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ من فوائد الآية أن علامة الخير وزوال الشدة: إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلُّقًا تامًّا وانقطع عن المخلوقين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٤)

١٤٥٢. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ لـمَّا كان هذا القول في تعديد نِعَمِه تعالى بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله تعالى ليكون ذلك منبهًا على تَلقِّي النعمة من عنده، لا رب غيره، ولو كان القول في تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣ / ٩٤)

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

١٤٥٣. أخبر أن هذه الأمور التي تحدث وتتولد من فعلهم وفعلٍ آخر منفصلٍ عنهم يُكتب لهم بها عمل صالح.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٢٤)

١٤٥٤. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ مواطئ المؤمنين تغيظ الكافرين، فليستمروا بالسير.

د. عقيل الشمري

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

١٤٥٥. في هذه الآية دليلٌ وإرشادٌ وتنبيهٌ لطيف لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يُعِدُّوا لكل مصلحةٍ من مصالحهم العامة من يقوم بها ويوفِّر وقته عليها ويجتهد فيها ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٥)

١٤٥٦. طلب العلم والتفقه في دين الله ضَرْبٌ من الجهاد؛ ولذلك سمى الله الخروج لطلب العلم نفيرًا، فقال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ وهذه الآية واردة بين آيات الجهاد في سورة التوبة، فقبلها: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن

يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٢٠]، وبعدها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣].

أ. د. عبد المحسن العسكر

١٤٥٧. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ينبغي أن يكون غرض المتعلم في الفقه: أن يستقيم ويُقِيم، لا الترفع على الناس والتبسُّط في البلاد.

البيضاوي، أنوار التنزيل (٣ / ١٠٢)

١٤٥٨. وإنما الفقه في الدين فَهْمُ معاني الأمر والنهي ليستبصر الإنسان في دينه؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، فقرن الإنذار بالفقه، فدل على أن الفقه ما وَزَعَ عن محرمٍ أو دعا إلى واجبٍ وخوَّف النفوس مواقِعه المحظورة، لا ما هوَّن عليها استحلال المحارم بأدنى الحيل.

ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (٦ / ١٧١)

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

١٤٥٩. السبخات إذا أصابها المطر ازدادت ملوحةً وخبثًا؛ وكذا قلوب أهل النفاق لا تزيدها المواعظ إلا نفورًا: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾.

د. عبد الله السكاكر

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

١٤٦٠. من تدبَّر هذه الآية ازداد حُبًّا للرسول الخاتم ﷺ وشوقًا له وحياءً من مخالفته، فهو الحريص علينا، الشفيق علينا، الرؤوف بنا.

أ. د. إبراهيم الحميضي

سورة يونس

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾

١٤٦١. الرضا بالحياة الدنيا والاقتناع بأنها كافية يصرف النظر عن أدلة الحياة الآخرة، وأهل الهدى يرون الحياة الدنيا حياةً ناقصة، فيشعرون بتطلب حياةٍ تكون أصفى من أكدارها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١ / ٩٩)

١٤٦٢. في تسمية دار العذاب (مأوى) معنًى دقيقٌ في البلاغة، دخيلٌ في أعماقها، فائضٌ من جميع أرجائها، يشعرك بأن أولئك المطمئنين بالشهوات، والغافلين عن الآيات، ليس لهم مصير يلجؤون إليه بعد هول الحساب إلا جهنم دار العذاب، فويل لمن كانت هذه الدار له كالملجأ والموئل؛ إذ لا مأوى له يلجأ إليه بعدها.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١٢ / ٢٥٢)

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾

١٤٦٣. تدل على أن ما هم فيه من النعيم هو غايات الراغبين، بحيث إن أرادوا أن ينعموا بمقام دعاء ربهم الذي هو مقام القرب لم يجدوا أنفسهم مشتاقين لشيء يسألونه، فاعتاضوا عن السؤال بالثناء على ربهم، فأُلهموا إلى التزام التسبيح، لأنه أدلُّ لفظٍ على التمجيد والتنزيه، فهو جامع للعبارة عن الكمالات.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١ / ١٠٣)

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

١٤٦٤. قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية فقال: «صدق ربنا! ما جعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيرًا، بالليل والنهار، والسِّر والعلانية».

تفسير الطبري (١٢ ١٣٤)

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

١٤٦٥. من أعظم أسباب الانتفاع بالقرآن وقبوله: تذكُّر الآخرة والإيمان بها واليقين بلقاء الله.

د. عبد الله بلقاسم

١٤٦٦. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ﴾ ليس من حق أحد أن يغير في شرعٍ إرضاءً لطلبات البشر.

د. عويض العطوي

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

١٤٦٧. تفويض الغيب لله طريقةُ الأنبياء والصالحين، فلا يفتاتون على القَدَر، ولا يرجمون بالغيب، ولا يتوعدون خصومهم بما لا علم لهم به.

د. عبد الله بلقاسم

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

١٤٦٨. ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ وفي هذه الجملة دليلٌ على سرعة تقلُّب ابن آدم من حالة الخير إلى حالة الشر، وذلك بلفظ ﴿أَذَقْنَا﴾، كأنه قيل: أول ذوقه الرحمة قبل أن يداوم استطعامها [متبوعٌ] بلفظ ﴿مِّنۢ﴾ المشعرة بابتداء الغاية؛ أي: ينشئ المكر إثر كشف الضراء لا يمهل ذلك.

أبو حيان، البحر المحيط (٦ ٣٠)

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

١٤٦٩. ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فيا عجبًا لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات؛ إذا عَرَضَت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون، كما تواتر ذلك إلينا تواترًا يحصل به القطع.

الشوكاني، فتح القدير (٢ / ٤٩٥)

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

١٤٧٠. قال قتادة: «إي واللهِ؛ لئن تشبَّث بالدنيا وحَدِبَ عليها لتوشكن الدنيا أن تلفظه وتُقضى منه».

تفسير الطبري (١٢ / ١٥١)

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾

١٤٧١. عن الحسن البصري قال: ما من ليلةٍ إلا ينادي منادٍ: يا صاحب الخير هلم ويا صاحب الشر أقصر، فقال رجل للحسن: أتجدها في كتاب الله؟ قال: نعم: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٩٤٣)

١٤٧٢. قال يحيى بن معاذ الرازي: «عجبت من رجلٍ يُرائي بعمله الناس وهم خَلْقٌ مثله، ومن رجلٍ بقي له مال ورب العزَّة يستقرضه، ورجلٍ رغب في محبة مخلوق والله يدعوه إلى محبته»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

شعب الإيمان للبيهقي (٥ / ١٤٦)

١٤٧٣. ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يدعوك وإن بعُدت خطوتُك، يدعوك وإن طال جفاؤك، يفرح بقدومك مع غناه عنك، فأجِبِ الدعوة؛ فالكريم يدعوك!

عبد اللطيف بن هاجس

١٤٧٤. ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ سمَّى اللهُ الجنَّةَ (دار السلام)؛ لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحُسنه من كلِّ وجه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٦٢)

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾

١٤٧٥. ثبت في صحيح مسلم[1] عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله ﷻ في الجنة، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على

(١) حديث رقم (١٨١).

وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عِيانًا في الآخرة.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١ ١٢٥)

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

١٤٧٦. قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن (مَن جَهِل شيئًا عاداه)؟ قال: نعم، في موضعين؛ قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف:١١].

تفسير الثعلبي (٥ / ١٣٣)

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

١٤٧٧. التكذيب والإعراض سدَّ عليهم طريقين عظيمين من طرق العلم: طريق المسموعات المتعلقة بالخير، وطريق النظر في أحوال الداعي وهو النبي ﷺ، فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم؛ فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٦٥) بتصرف

١٤٧٨. دلَّ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ﴾ على أنَّ النظر إلى حالة النبي ﷺ وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٦٥)

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

١٤٧٩. مقدار الدنيا: هل كنتَ يومًا ما في صالةِ انتظار، فتعرفت على من بجوارك، وتحدثتما ثم افترقتما؟ كذا الدنيا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

مهند المعتبي

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

١٤٨٠. ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ذَكَر الشهادة التي هي علمه واطلاعه تقريرًا للجزاء؛ على طريقة القرآن في وضع القدرة والعلم موضع الجزاء، لأنه يكون بهما، وهو كثير في القرآن، وهو كما يقول السيد لعبده: اعمل ما شئت فإني أعلم ما تفعله، وأنا قادر عليك، وهذا أبلغ من ذكر العقاب وأعم فائدة.

مختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلي (ص: ٣٧٥)

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

١٤٨١. في هذه الآية أعظم واعظٍ وأبلغ زاجرٍ لمن صار ديدنه وهِجِّيراه: المناداة لرسول الله ﷺ والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه.

الشوكاني، فتح القدير (٣ ٥١١)

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

١٤٨٢. ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ﴾ هذا العذاب لا تتحمله أيَّةُ نفس على تفاوت الأنفس في احتمال الآلام.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١ ١٩٧)

١٤٨٣. يَرخُص كل شيء عند رؤية العذاب، فاغتنم حياتك.

د. عقيل الشمري

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

١٤٨٤. قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ للتذكير بما يزيد الموعظة تعظيمًا، ووجوب الاتعاظ بها إيمانًا وتسليمًا، لأنها من مالك أمرِ الناس ومربيهم بفضله ورحمته، وعلمه وحكمته.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١١ / ٣٢٨)

١٤٨٥. مرض القلب يفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم؛ ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١١١)

١٤٨٦. كل معصية يأتي بها الجسد هي من فسادٍ في القلب ومرضٍ به، وإن الله تعالى قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢]، فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوه ويتدبروه ويستشفوا به بألفاظه ومعانيه.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٣٦)

١٤٨٧. ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ إذا صحَّ القلبُ من مرَضه، ورفَلَ بأثواب العافية تبِعَته الجوارح كلها، فإنها تَصلُح بصلاحه، وتَفسُد بفساده.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٦٦)

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

١٤٨٨. وقف الفضيل بن عياض ﷺ على رأس سفيان بن عيينة -وهو مريض- فقال له: «يا أبا محمد؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾»، فقال له سفيان ﷺ: «يا أبا علي، والله لا نفرح أبدًا حتى نأخذَ دواء القرآن، فنضعه على داءِ القلب».

حلية الأولياء لأبي نعيم (٧ / ٧١)

١٤٨٩. أرفع درجات القلوب فرحُها التامُّ بما جاء به الرسول ﷺ وابتهاجها وسرورها، ففضل الله ورحمته: القرآن والإيمان؛ مَن فَرِح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ / ٤٩)

١٤٩٠. قال بعضهم: «ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغفلته عن الله»، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه.

لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٧٤)

١٤٩١. الفرح له اعتبارات متنوعة، وصور متباينة، ويختلف باختلاف القلوب التي تتعامل معه، وفي القرآن ذكرٌ لصورٍ متباينة للفرح، فقارن مثلًا بين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ وبين: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [غافر:٧٥]؛ لتدرك الفرق بين فرحٍ يوجب رحمة الله ورضوانه، وبين فرحٍ يوجب غضبه وخذلانه.

أ. د. ابتسام الجابري

١٤٩٢. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وفي قراءة: (تجمعون)، فتخيَّل كل ما في الدنيا من أموال وملك وعقارات، فهي دون فرح المؤمن بهذا القرآن.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

١٤٩٣. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟!

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٧٧)

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

١٤٩٤. موضع العبرة من هذه التسلية للنبي ﷺ: أن يقف الداعي موقف العزم والثبات، فلا يقيم لما يقوله الذامون أو المتهكمون وزنًا، ونرى ضعيف الإيمان بما يدعو إليه هو الذي يحزن لأقوال المبطلين حزنًا يثبطه عن الدعوة أو يصرفه عنها، متكئًا على أن ما يلاقيه من الأذى عذرٌ يبيح له أن يسكت مع الساكتين.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٤١١)

١٤٩٥. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ جاءت هذه الآية كالتعليل لما قبلها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وذلك أن سنة الله جرت بأن يجعل العزة في جانب المؤمنين المتقين، فإذا ابتُلُوا بعدوٍّ ينالهم بأذى فصبروا عليه وجاهدوا في دفاعه عن أنفسهم بكل ممكن، فعاقبتهم الخلاص من الباغي، ثم لا يلبثون أن يدركوا عزتهم، وتكون يدهم فوق يد عدوهم.

موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (١ / ٤١٢)

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

١٤٩٦. من تأمل غنى الله تمسَّك بالتوحيد وتخلَّص من الشرك.

د. عقيل الشمري

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

١٤٩٧. دائمًا يعتمد الكفار على الأسباب المادية؛ تأمل: (كل ساحر عليم) في مقابل موسى عليه السلام.

د. عويض العطوي

﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

١٤٩٨. في تقديم التوكل على الدعاء تنبيهٌ على أن الداعيَ ينبغي له أن يتوكل أولًا؛ لتجاب دعوته.

البيضاوي، أنوار التنزيل (٣/ ١٢٢)

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

١٤٩٩. انظروا يا إخواني الذل! أعوذ بالله من الذل! فرعون ما قال: (آمنت أنه لا إله إلا الله)؛ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، فجعل نفسه تَبَعًا لبني إسرائيل، بينما كان في الأول يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم؛ ذل! نسأل الله العافية.

ابن عثيمين، دروس الحرم المدني (صوتي)

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾

١٥٠٠. لما أعلن فرعون إيمانه عند الغرق، قيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ فتأمل كيف نصَّ على ذكر الإفساد دون غيره من معاصيه؛ وما ذاك -والله أعلم- إلا لشناعة نشر الفساد في الأرض، وعظيم تأثيره على أديان الناس ودنياهم وأخلاقهم وحقوقهم، فويل للمفسدين!

أ. د. عمر المقبل

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾

١٥٠١. فيه تنبيهٌ على أن كل من خالجته شُبهةٌ في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلِّها بالرجوع إلى أهل العلم.

البيضاوي، أنوار التنزيل (٣ / ١٢٤)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

١٥٠٢. الدليل لا يهدي إلا بإعانة الله تعالى، فإذا لم تحصل تلك الإعانة ضاعت تلك الدلائل.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧ / ٣٠٢)

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

١٥٠٣. فـ﴿كُلُّهُمْ﴾ يفيد الإحاطة والعموم، ولا يلزم من قوله: ﴿لَـَٔامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أن يكونوا كلهم، فـ ﴿كُلُّهُمْ﴾ رافع لهذا التوهم، وأما قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فليس بتأكيد، ولو كان تأكيدًا لقال: (أجمعون) ولم يكن منصوبًا، وإنما هو حال؛ أي: مجتمعون على الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

ابن تيمية، جامع المسائل (٨ / ٣٤٥)

سورة هود

١٥٠٤. عَهِدْنا شيوخنا وهم يقرؤون سورة هود؛ لهم وضع آخر، المساجد تمتلئ وهم لا يسمعون الصوت، بدون مكبرات، لكن يسمعون البكاء والتأثر.

د. عبد الكريم الخضير، شرح اختصار علوم الحديث (درس رقم ٧)

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

١٥٠٥. ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ من تدبر القرآن، وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية: من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس (على الخلاف)، فكلٌّ مِن لفظه ومعناه فصيحٌ لا يُجارى ولا يُدانى.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١ / ١٩٩)

١٥٠٦. ليست الكلمة في القرآن كما تكون في غيره، بل السموُّ فيها على الكلام أنها تحمل معنًى، وتومئ إلى معنًى، وتستتبع معنًى، وهذا ما ليس في الطاقة البشرية، وهو الدليل على أنه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾.

مصطفى الرافعي، وحي القلم (١ / ٢١٦)

١٥٠٧. ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾، ولم يقل: (من رحمن) ولا (رحيم) للتنصيص على أنَّه لا بد من الحكمة.

الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١ / ١٢٤)

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾

١٥٠٨. العمر يطول والرزق يُبسط بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

مختصر الفتاوى المصرية عن ابن تيمية للمبعلي (ص: ٢٤٩)

١٥٠٩. ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إن قلت: نجد مَن لم يستغفر الله ولم يتب، يرزقه الله ويوسع عليه أو يُعَمِّره، فما فائدة التقييد بالاستغفار والتوبة؟! فقد قيل: المتاع الحسن هو الحياة في الطاعة والقناعة، ولا يكونان إلا للمستغفر التائب.

زكريا الأنصاري، فتح الرحمن (ص: ٢٥٧) مختصر

١٥١٠. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ كن من أهل الفضائل لتنال من ربك الفضائل.

د. محمد لربيعة

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

١٥١١. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ إنما جيء بـ ﴿عَلَى﴾ اعتبارًا لسبق الوعد به، وتحقيقًا لوصوله إليها ألبتة بطريق التكفُّل الشبيه بالوجوب!

جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل (٦ ٧٤)

١٥١٢. إذا كان رزقك على الكريم، فلماذا الضيق والحزن!

د. عبد المحسن المطيري

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

١٥١٣. ﴿وَضَآيِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ إنما عدَل عن (ضيِّق) الصفةِ المشبَّهة إلى (ضائق) اسمِ الفاعل؛ ليدلَّ على أنه ضِيقٌ عارض غير ثابت، لأن الرسول ﷺ كان أفسح الناس صدرًا.

جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل (٦ / ٨٠)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾

١٥١٤. أدخَل﴿كَانَ﴾ على الفعل المضارع﴿يُرِيدُ﴾ ، وهذا التعبير يفيد الاستمرار، أي: يريدها على وجه الدوام، بحيث لا يكاد يريد الآخرة أصلًا.

د. فاضل السامرائي

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾

١٥١٥. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني: هدى الإيمان،﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ أي: من الله؛ يعني القرآن؛ شاهدٌ من الله يوافق الإيمان ويتبعه. وقال:﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ ، لأن الإيمان هو المقصود، لأنه إنما يراد بإنزال القرآن الإيمانُ وزيادته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٧١)

١٥١٦. قال سعيد بن جبير: ما بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله ﷻ ، حتى بلغني أنه قال: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم

لم يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار»[1]، فقلت: أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾.

تفسير ابن أبي حاتم (٦ ٢٠١٥)

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

١٥١٧. ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ إنما وصفوهم بذلك لفقرهم؛ جهلًا منهم، واعتقادًا أن الشرف هو المال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (١ ٣٦٨)

١٥١٨. قولُ الملأ من قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ ليس بمَذمَّةٍ ولا عيب، لأن الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق -والحالة هذه- لكل ذي زكاء وذكاء، ولا يفكر وينزوي ههنا إلا غبي أو عَيِيٌّ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ ٣١٦)

١٥١٩. ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ وَصْمُ المتمسكين بالدين بالتسطيح وعدم العُمق الفكري سنةٌ موروثةٌ من لَدُنْ قرون التكذيب الأولى.

د. محمد العريفي

١٥٢٠. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ قولُ مَن يعرف الحق بالرجال ولا يعرف الرجال بالحق، وذلك أنه يستدل على كون الشيء حقًّا بعظمة متبعه في الدنيا، وعلى كونه باطلًا بحقارته فيها.

البقاعي، نظم الدرر (٩ ٢٧٠)

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٥٢١. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ مقاييس الكفار دائمًا مادية، وتخدم مصالحهم.

د. عويض العطوي

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

١٥٢٢. اختيار وصف الرب دون اسم الجلالة للدلالة على أن إعطاءه البينة والرحمة فضلٌ من الله أراد به إظهار رفقه وعنايته به.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ / ٥٢)

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

١٥٢٣. المخالفة بين العبارتين في قوله: ﴿مَالًا﴾ و﴿أَجْرِيَ﴾ تفيد أنه لا يسأل من الله مالًا ولكنه يسأل ثوابًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ / ٥٥)

١٥٢٤. العقل والشرع تطابقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي، ومن إهانة الفاجر الكافر.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧ / ٣٤٠)

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

١٥٢٥. هذا يفيد أدبًا شريفًا بأن الواثق بأنه على الحق لا يُزعزِع ثقتَه مقابلةُ السفهاء أعمالَه النافعة بالسخرية، وأن عليه وعلى أتباعه أن يسخروا من الساخرين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ ٦٩)

١٥٢٦. أقدم حملات السخرية من المشاريع الإسلامية، فكان هذا المشروع لإنقاذ الفئة المؤمنة منه!

د. سعد العتيبي

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

١٥٢٧. جملة﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ تعليلٌ للأمر بالركوب، ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمزٌ إلى أن الله وعده بنجاتهم، وذلك من غفرانه ورحمته، وأكَّد بـ (إنَّ) و(لام الابتداء) تحقيقًا لأَتْباعه بأن الله رحمهم بالإنجاء من الغرق!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ ٧٤)

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

١٥٢٨. ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ مئات السنين وهو يدعوه، ولكنه لم يفقد الأمل حتى آخر لحظة!

د. عبد الله بلقاسم

١٥٢٩. إن سلوك طريق المؤمنين ومجالستهم، والانحياز إليهم هو سبيل النجاة الحقة، لأنهم في كنف الله وعنايته، حتى وإن تقاذفتهم الفتن، وكانت أسبابهم يسيرة، كسفينة من خشب في أمواج

كالجبال، كما أن سلوك طريق الكافرين والمنافقين والانحياز إليهم هو سبيل الهلاك، حتى وإن توفرت لهم الأسباب المادية المنيعة كالجبال في علوها وصلابتها.

فهد العيبان

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

١٥٣٠. حُكي أن ابن المُقَفَّع طلب أن يعارض القرآن، فنظم كلامًا، وجعله مفصلًا، وسماه سُوَرًا، فاجتاز يومًا بصبيٍّ يقرأ هذه الآية، فرجع ومحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يُعارَض أبدًا، وما هو من كلام البشر. وكان فصيح أهل عصره.

تفسير الماوردي (١ ٣١)

١٥٣١. هذه الآية أَمَرَ الله فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج فيه من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفَّت الأقلام.

السيوطي، الإتقان (٣ ١٨٤)

١٥٣٢. ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ في الإقبال بالخطاب على الأرض والسماء من بين سائر المخلوقات ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لأمره بما يشاء، غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميِّزون قد عرفوا عظمته وجلالته.

الزمخشري، الكشاف (٢ ٣٩٧) بتصرف

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾

١٥٣٣. في هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين، وروي عن مالك أنه قال: «الأدبُ أدبُ الله لا أدب الآباء والأمهات، والخيرُ خيرُ الله لا خير الآباء والأمهات».

تفسير القرطبي (٩ / ٤٥) مختصر

١٥٣٤. كتب الأحنف بن قيس إلى صديق له: «أما بعد، فإذا قَدِم عليك أخٌ لك موافق، فليكن منك مكان سمعك وبصرك، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف؛ ألا تسمع إلى قول الله ﷻ لنوح في شأن ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ ؟!».

الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: ٨٣)

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

١٥٣٥. ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ المراد: العاقبة في الدنيا قبل الآخرة، لأنه ذكر ذلك عَقِيب قصةِ نوحٍ ونصرِه وصبرِه على قومه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢ / ١٨٥)

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾

١٥٣٦. كيف قيل: ﴿هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ﴾، فخصَّ بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد؟ قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها مَن وصفته بالذلة والخضوع، فتقول: (ما ناصية

فلان إلا بيد فلان)؛ أي: هو له مطيع، يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمَنَّ عليه جزوا ناصيته[1]، ليعتدُّوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة.

ابن جرير، جامع البيان (١٥ / ٣٦٣)

١٥٣٧. ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ تأمل ألفاظ هذه الآية وما جمعته من عموم القدرة وكمال الملك، ومن تمام الحكمة والعدل والإحسان؛ فإنها من كنوز القرآن، ولقد كفت وشفت لمن فُتح عليه بفهمها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢ / ٧٩)

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾

١٥٣٨. يؤخذ من قصة إبراهيم مع ضيفه أشياءُ من آداب الضيافة؛ منها تعجيل القِرى، لقوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾.

الشنقيطي، أضواء البيان (٢ / ١٨٦)

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

١٥٣٩. الحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيرًا، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١]، فأمر بحمده وتكبيره.

ابن القيم، جلاء الأفهام (ص: ٣١٦ - ٣١٧) مختصر

(١) يعني: حلقوا الشعر الذي في مقدمة رأسه ليُعرَف بين الناس أنهم أطلقوا سراحه، ويَمُنُّوا عليه بذلك، والجزُّ: القطع؛ ينظر في مقاييس اللغة لابن فارس (جَزَّ): (١ / ٤١٤).

١٥٤٠. ﴿مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ أي: عظيم الشأن، لا حدَّ لنعمه، فلا يَعظُم عليه أن يعطيَها ولدًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ ١٢٢)

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾

١٥٤١. قدَّم ذهاب الرَّوع على مجيء البشرى؛ لأنه أهم للخائف، لأن الخائف لا يستمتع بالبشرى حتى يأمَن.

د. فاضل السامرائي

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

١٥٤٢. قال ابن عباس ﷺ: «الحلم من الخِلال التي تُرضي الله، وهو يجمع لصاحبه شرفَ الدنيا والآخرة؛ ألم تسمعوا الله تعالى وَصَفَ خليله بالحلم فقال:﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾».

الحلم لابن أبي الدنيا (ص: ٥١)

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾

١٥٤٣. من تأمل قوله تعالى في خطاب لوط لقومه:﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ أدرك أن إدمان الفواحش، إضافة إلى أنه يضعف الدين، فمن شأنه أن يُذهب مروءة الإنسان، ويقضي على ما بقي فيه من أخلاق ورُشْد.

أ. د. عمر المقبل

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾

١٥٤٤. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ وإنما نُهوا عن ذلك ليَجِدُّوا في السير، فإن مَن يلتفت إلى ما وراءه لا يخلو عن أدنى وقفة، أو لئلا يَرَوا ما ينزل بقومهم من العذاب فيَرِقُّوا لهم.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٤ ٢٢٩)

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

١٥٤٥. كأنهم لم يروه يُعظِّم شيئًا من الأعمال كالصلاة، فخصُّوها بالذكر.

د. عبد الرحمن الشهري

١٥٤٦. إذا كان الغربيون لم يعرفوا النظرية الرأسمالية إلا في صورتها التي قال بها فلاسِفَتُهم، فإننا نعلم من القرآن الكريم أنها نظرية قديمة، كان من بين من قالوا بها قومُ شعيب الذين رفضوا دعوة نبيهم لهم إلى العدل في معاملاتهم المالية بحجة أن المال مالهم، فلهم الحق أن يفعلوا فيه ماشاؤوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ شعار الفلسفة الرأسمالية يكاد يكون ترجمة لقول قوم شعيب هذا.

أ. د. جعفر شيخ إدريس، مقال (فشل النظرية الرأسمالية) في الجريدة الاقتصادية

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

١٥٤٧. لهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن: وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة: أهمها وأعلاها: حق الله تعالى، وثانيها: حق النفس، وثالثها: حق الناس.

البيضاوي، أنوار التنزيل (٣ / ١٤٥)

١٥٤٨. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ آيةٌ جامعةٌ لصفات الداعية والقائد الرباني.

د. محمد الربيعة

١٥٤٩. جاءت امرأةٌ إلى ابن مسعود فقالت: تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم! قالت: فلعله في بعض نسائك! قال لها: ادخلي، فدخلت ثم خرجت فقالت: ما رأيتُ بأسًا، فقال: ما حفِظتُ إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾.

مسند أحمد (٣٩٤٥)

١٥٥٠. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٨٧)

١٥٥١. ليس من شرط الإصلاح إدراك النجاح: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

د. محمد الحمد

١٥٥٢. ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ التوفيق عزيزٌ جدًّا، ولهذا لم يُذكر في القرآن إلا في موضع واحد!

ابن جامع الحنبلي، الفوائد المنتخبات (١ / ١٦)

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾

١٥٥٣. ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ [الأنعام:٢] تدبَّر ما ذكره الله عن أعداء الرسل من نفي فقههم وتكذيبهم، تجد

بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله وعن تدبُّر كتابه، واتبع ما تتلوه الشياطين، وما توحيه إلى أوليائها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ ٢١٢)

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

١٥٥٤. قال أبو عمران الجوني ﷺ: «لا يغرنَّكم طولُ النسيئة ولا حسن الطلب؛ فإن أخذه أليم شديد»!

الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٤٧٤)

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾

١٥٥٥. لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسل، وما حلَّ بهم في الدنيا من الخزي؛ قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، فأخبر أن عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه، فإنه إذا سمع ذلك قال: لم يزل في الدهر الخير والشر، والنعيم والبؤس، والسعادة والشقاوة! وربما أحال ذلك على أسباب فلكيَّة، وقُوى نفسانية.

ابن القيم، الفوائد (ص: ١٣١)

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

١٥٥٦. هناك حدٌّ في العلاقات ينبغي عدم تجاوزه.

د. عويض العطوي

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾

١٥٥٧. إقامة الصلوات المفروضات على وجهها يُوجِب مباعدة الذنوب، ويُوجِب أيضًا إنقاءها وتطهيرها.

ابن رجب، فتح الباري (٦ ٣٧٤)

١٥٥٨. قال ابن عباس: «لم أرَ شيئًا أحسن طلبًا، ولا أحسن إدراكًا من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديم»! ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾

الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٢٩٦)

١٥٥٩. قال الحسن البصري: «استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنكم لن تجدوا شيئًا أذهبَ بسيئةٍ قديمة من حسنةٍ حديثة، وأنا أجد تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾».

تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٠٩٢)

١٥٦٠. حين تضعف النفس عن ترك الخطايا لا ينبغي لها أن تكسل عن الإكثار من الحسنات: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾

د. فهد العجلان

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾

١٥٦١. إن كل ما نشاهده من الفساد في عصرنا فمثاره الافتتان بالترف، واتباع ما يقتضيه الإتراف، من فسوق وطغيان وإفراط وإسراف؛ عَلِمَ هذا المهتدون الأوَّلون بالقرآن من الخلفاء الراشدين، وعلماء الصحابة والسلف الصالحين، فكانوا مثلًا صالحًا في المعيشة، أو تغليب جانب الخشونة والبأس والشدة، فانظر كيف اهتدى السلف الصالح بالقرآن وحده وبيان السنة له؛ إذ خرجوا به من ظلمات الجاهلية إلى نور العلم والعرفان والحكمة!

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١٢ ١٨٤)

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

١٥٦٢. قال قتادة رحمه الله: «أهلُ رحمةِ الله أهلُ جماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهلُ معصيته أهلُ فُرْقَة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم».

تفسير الطبري (١٢ / ٦٣٥)

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

١٥٦٣. إن في سماع أخبار الأخيار مُقوِّيًا للعزائم ومُعينًا على اتِّباع تلك الآثار.

مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٢ / ٤٧٧)

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

١٥٦٤. منهجيةٌ في الفصل عند الاختلاف الباطل وعدم إمكانية الوِفاق بالحق.

أ.د. ابتسام الجابري

سورة يوسف

١٥٦٥. قرأت سورة يوسف ﷺ، فتعجبت من مدحه على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره؛ فتأملت خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفته للهوى المكروه، فقلت: واعجبا لو وافق هواه؛ من كان يكون؟ ولـمَّـا خالفه لقد صار أمرًا عظيمًا تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فيا له عزًّا وفخرًا، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٢٢٧)

١٥٦٦. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤ / ٤٩٣)

١٥٦٧. قال ابن عَطاء: لا يسمع سورةَ يوسف مَحزونٌ إلَّا استراح إليها.

تفسير البغوي (٤ / ٢١٢)

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾

١٥٦٨. أنزل الله القرآن بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره والتفكر فيه والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، مُـحصِّلٌ للعلوم والأسرار.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩)

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾

١٥٦٩. نكتة جعله من الغافلين دون أن يُوصَف وَحْدَه بالغفلة، للإشارة إلى تفضيله بالقرآن على كل من لم ينتفع بالقرآن، فدخل في هذا الفضل أصحابه والمسلمون على تفاوت مراتبهم في العلم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ ٢٠٤)

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

١٥٧٠. هذه الرؤيا مقدمةٌ لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة، وهكذا إذا أراد الله أمرًا من الأمور العظام قَدَّم بين يديه مقدمة، توطئةً له وتسهيلًا لأمره، واستعدادًا لما يَرِد على العبد من المشاق، لطفًا بعبده وإحسانًا إليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٣)

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾

١٥٧١. يعقوب عليه السلام عرف تأويل الرؤيا ولم يبال بذلك، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه.

ابن العربي، أحكام القرآن (٣ ٣٨)

١٥٧٢. هذه الآية أصلٌ في أن لا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٩ ١٢٦)

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

١٥٧٣. عَطَفَ هذا الكلام على تحذيره من قص الرؤيا على إخوته إعلامًا له بعلو قدره ومستقبل كماله، كي يزيد تمليًّا من سمو الأخلاق فيتسع صدره لاحتمال أذى إخوته، وتنتفي عنه مفسدة إثارة البغضاء ونحوها؛ حكمةً نبويةً عظيمةً، وطبًّا روحانيًّا ناجعًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ / ٢١٥) مختصر

١٥٧٤. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ تذكير معنى الولدُ سرُّ أبيه ليطمئن قلبه بما أخبر به في ضمن التعبير الإجمالي لرؤياه.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٤/٢٥٤)

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾

١٥٧٥. آيات لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال، فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا بالقصص والبينات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٤)

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾

١٥٧٦. الـجُرْم قد يخفى تحت ظُلمَةٍ أو دمعة.

د. عويض العطوي

١٥٧٧. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ لا شَيءَ يخفف عنك همومك الثقيلة مثل اليقين بأن ربك يعينك. الحِملُ ثقيل، لكنَّك لستَ وحدَك.

د. عبد الله بلقاسم

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

١٥٧٨. من عجائب الجزاء في الدنيا: أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾؛ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يوسف:٨٨]. ولما بَغَت عليه المرأة بدعواها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف:٢٥]، أنطقها الحق بقولها: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ﴾ [يوسف:٥١]، ولو أن شخصًا ترك معصيةً لأجل الله لرأى ثمرة ذلك، وكذلك إذا فعل طاعة.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٦٦)

١٥٧٩. الإخبار عن زهادتهم في يوسف بصيغة ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أشدُّ مبالغةً مما لو أخبر بـ(كانوا فيه زاهدين)، لأن جعلهم من فريق زاهدين يُنبئ بأنهم جَروا في زهدهم في أمثاله على سَنَن أمثالهم البسطاء الذين لا يقدرون قدر نفائس الأمور.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٤)

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

١٥٨٠. ذهب يوسف عليه السلام بشطر الحسن، ولكن الله لم يمدحه في القرآن أبدًا بجماله! إنما مدحه بأنه من المحسنين ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

د. عبد الله بلقاسم

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

١٥٨١. أول ما يواجهنا في القصة تلك الكلمة التي تختصر الحدث كلَّه: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾، فهي تصور من أول لحظة الإعجاب الشديد من امرأة العزيز، حتى طلبت فعل المنكر، وأنها بذلت قصارى جهدها في التحايل، لأنَّ المراودة دالَّةٌ على رفقٍ في الطلب، ومجيء وانطلاقٍ، وصيغة المفاعلة دالة على التكرار.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٢٢) بتصرف

١٥٨٢. ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ في تعدية الفعل (راود) بحرف الجر (عن) سرٌّ، فإنه لما كانت المراودة تدل على الحركة، وكان حرف (عن) يدل على المجاوزة، فكأنها أرادت بكلِّ حيلها وأنوثتها تجريده من نفسه هو؛ ليكون لها وحدها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٢٤) بتصرف

١٥٨٣. إنما قال: ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾، ولم يقل: (امرأة العزيز) و(زليخا) قصدًا إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة والمحافظة على الستر عليها.

الشوكاني، فتح القدير (٣ / ٢٠)

١٥٨٤. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ في إظهار قول يوسف عناية بإبراز ما تفوَّه به في تلك اللحظة مقابل ما تفوَّهت به؛ ليتَّضح الفرق بين لغة الشهوة والخيانة، ولغة العفة والوفاء، وفي سبق التعوذ إلى لسانه دليل على عظم صلته بربِّه وقربه منه، وإلا فإنَّه لا يُوفَّق لمثل هذا كلُّ أَحَدٍ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٣٢)

١٥٨٥. نازعتني نفسي لأمر مكروه شرعًا، فلجأت إلى الله في دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على القرآن، فبدأت بسورة يوسف حتى بلغت: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ فانتبهت لها، وكأني خوطبت بها، فأفقت وقلت: يا نفس! هذا حرٌّ بِيع ظلمًا، فراعى حق من أحسن إليه قائلًا: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ فكيف بك وأنت عبدٌ لله قد نالك منه الإحسان العظيم!

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٢١٥) مختصر

١٥٨٦. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ فَذَكَرَ عنوانَ الربوبية هنا دون السيادة؛ لما فيه من الاعتراف بالمعروف والفضل، وهذا دليل على أن من المروءة ورفيع الأخلاق أن يحفظ الإنسانُ حقَّ من أحسن إليه، فضلًا عن أن يخونه، والسياق دالٌّ على أن المراد هو مَنْ ربَّاه وقال: أكرمي مثواه، لا خالقه؛ لأنه المتبادر إلى مفهوم المرأة المتلقية للخطاب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٣٢)

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

١٥٨٧. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبًا إلى الله، خائفًا منه، راغبًا راهبًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ ٢١٥)

١٥٨٨. من أعظم أسباب العشق إعراضُ القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قطُّ أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب. والإنسانُ لا يترك محبوبًا إلا بمحبوبٍ آخر يكون أحبَّ إليه منه أو خوفًا من مكروه فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ ١٨٧)

١٥٨٩. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ محبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص، كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصًا وأشد توحيدًا، كان أبعد من عشق الصور؛ ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢ ١٤١)

١٥٩٠. الذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتثلة لما أُمرت به، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور، فإنهما ضدان! قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠ ٦٣٦)

١٥٩١. إذا انفتح لك باب معصية وتيسرت أسبابها؛ فلا تفرح، فقد يكون علامة على هوانك عند ربك: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

فهد العيبان

١٥٩٢. أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها، حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فرجع لنفسه وقال: لو كنت مخلصًا لأنجاني ربي كما أنجى يوسف، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله.

من مشاركات المتدبرين

١٥٩٣. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سيرة الإنسان حال الرخاء والسراء معينةٌ له حال الابتلاء، فقد ذكر الله أنه أنجى يوسف لأنه كان مخلصًا مصطفًى من قبل.

د. عقيل الشمري

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

١٥٩٤. ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ فيه مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم والدين والعقل.

د. محمد الحمد، هداية آيات (ص: ٧)

١٥٩٥. ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ ولم يقل: واستبقا (إلى) الباب، لأن الاستباق ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة، والمقصود هو الباب، ولو قيل: استبقا إلى الباب؛ لكان الباب منتهى السباق، بينما هو هنا مقصد وهدف السباق، لأنه بتجاوز الباب يتغير المكان والموقف كله؛ لذا كانت حريصةً على منعه من ذلك. وليشير إلى سرعة الوصول، حتى لكأنهما في لحظة قد وصلا الباب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٤١) بتصرف

١٥٩٦. في قولها: ﴿بِأَهْلِكَ﴾ بدلًا من قولها: (بي) فائدة، وهي: إضافة نفسها إلى العزيز؛ لتثير عاطفته نحوها، وتغريه بالذي اعتدى على العزيز في أهله، وفي اختيار (الأهل) دون (الزوجة) ما يوحي بالاستقرار والراحة، كل هذا لتحفز زوجها على نصرته لها، وترويض خصمها، فهي تقيس هنا مجموعة مشاعر مختلفة، بين استغراب، وسؤال، ورهبة، وعشق، كل ذلك استطاعت استيعابه بخطاب شامل يدل على قدرة فائقة في ذلك.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٤٨)

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾

١٥٩٧. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ يظهر من النص العناية بمفردة (الشهادة)، حيث ذكرت في لفظين متجاورين، فلفظ (شهد) يمثل القيام بالفعل وهو الشهادة، ولفظ (شاهد) يبيِّن أنَّ الذي قام بالفعل من أبرز صفاته: الشهادة، ولولا هذا المعنى لقيل: وشهد بعض أهلها، وتقييد الشاهد بكونه (من أهلها) فيه دلالة على قوة شهادته، إذا شهد عليها، لأنَّ المتوقع في مثل هذه الحالة أن يشهد لها لا عليها، بسبب الحميَّة.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (ص: ٥٢)

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

١٥٩٨. ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ أضَفْنَها إلى زوجها؛ إرادة لإشاعة الخبر؛ فإن النفس إلى سماع أخبار أولي الأخطار والمكانة أميل.

البقاعي، نظم الدرر (١٠ / ٧٠)

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

١٥٩٩. في هذه الآية عبرتان:

إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبِّت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب صبا إلى الآمرين بالذنوب وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكلٌ على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبرٌ على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ١٣٠)

١٦٠٠. من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله -كما فعل يوسف ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ١٣٢)

١٦٠١. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فإن هذا جهل، لأنه آثر لذةً قليلةً منغَّصةً على لذاتٍ متتابعات وشهوات متنوعات في جنات النعيم، ومن آثر هذا على هذا، فمَن أجهلُ منه؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٧)

١٦٠٢. كيف تبرِّئ نفسك وهناك من هو خير منك، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، النبي ابن النبي ابن النبي ابن النبي، وليس في البشر كلهم أربعة أنبياء على نسق واحد إلا هؤلاء الأربعة، ويقول عن النساء: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (ص: ١٢٤)

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

١٦٠٣. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦، ٧٨] قيلت ليوسف ﷺ وهو في السجن، ثم قيلت له وهو على خزائن مصر. المَعدِن النقيُّ لا تغيِّره الأحوال!

د. عبد الملك القاسم

١٦٠٤. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ الإحسان من الفضائل التي لا يمكن سترُها، بل هو يستر كل قبيح.

د. عويض العطوي

١٦٠٥. لا عُذر لأحدٍ في ترك المعاملة الحسنة بحُجَّة سوء المكان أو الوقت. لا أسوأَ من السجن، ومع ذلك قال صاحبا يوسف في السجن: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

ماجد الغامدي

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

١٦٠٦. لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيِّه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ فقوله: ﴿مِن شَىْءٍ ۚ﴾ نكرةٌ في سياق النفي تعمُّ كلَّ شركٍ.

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد (ص: ٢٣٤)

١٦٠٧. ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ قال قتادة: «إن المؤمن ليشكر نعم الله عليه وعلى خلقه».

تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢١٤٥)

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

١٦٠٨. في مكان الهموم والغموم والظُّلمة والوَحشة تبقى الدعوة إلى التوحيد أولًا.

د. عبد الملك القاسم

١٦٠٩. ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ كل شيء تحت قهر الله، وناصيتُه بيد الله، فالواحد القهار هو الذي يستحق الحب والخضوع، والانكسارَ لعظمته، والذلَّ لكبريائه.

السعدي، المواهب الربانية (ص: ٥٠)

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

١٦١٠. ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ الثقة بالنفس في مواطن الفتن هلَكةٌ!

د. عبد الله السكاكر

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾

١٦١١. أما سؤال يوسف ﷺ خزائن الأرض فلأنه كان طريقًا إلى أن يدعوهم إلى الله، ويعدل بين الناس، ويرفع عنهم الظلم!

ابن تيمية، المستدرك على مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٥)

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾

١٦١٢. الطاعة تثمر الرزق في الدنيا، ويُعطى المؤمن الأجر عليها في الدنيا، ولا ينقص ذلك من ثوابه عند الله شيئًا، كما يعطى الكافر بالشيء يسكن له في الدنيا ولا يكون له في الآخرة نصيب.

القصاب، النكت الدالة على البيان (١ / ٦١٩)

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾

١٦١٣. مهما بذل الإنسان في حفظ نفسه من اعتداءات المجرمين، وحاول أن يسلم من كيدهم وأذاهم، لا شيء يحفظه مثل الله! ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾.

د. محمد الصاوي

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾

١٦١٤. قال بعضهم: الفقه من هذه الجملة أن للكبير حقًّا يتوسل به، كما توسلوا بكبر يعقوب.

القاسمي، محاسن التأويل (٦ / ٢٠٥)

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾

١٦١٥. إن القرآن ليُصَوِّر لنا أخذَ البريء بالمذنب، لا على أنه مضاد للشريعة فحسب! بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

د. محمد بن عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن (ص: ١٥١)

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾

١٦١٦. يَبِينُ إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثرًا للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس، لعلمه أن ربه أعلم بمصالحه منه؛ أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام؟! بقي ثمانين سنة في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فلما ضُمَّ إلى فقد يوسف فقد بنيامين لم يتغير أمله وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ فإياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متعبَّد بالصبر والدعاء.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٤٣٩) مختصر

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾

١٦١٧. قال قتادة: «ذُكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسن ظنه بالله من ورائه».

تفسير الطبري (١٣ / ٣٠٧)

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾

١٦١٨. لـمَّا عَلِم يعقوب عليه السلام من شدة البلاء مع الصبر قُرْبَ الفرج؛ قوَّى رجاءهم، وأمرهم أن يرحلوا لمصر ويتطلَّبوا خبرَ يوسف وأخيه بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾.

القاسمي، محاسن التأويل (٦ / ٢١١)

١٦١٩. ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته. ودل هذا على أنه بحسَب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله ورَوحه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٤)

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

١٦٢٠. كل من عمل خيرًا أو صحح نيةً فلينتظر جزاءها الحسن وإن امتدت المدة؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٣٩)

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

١٦٢١. يزداد التعجب ويشتد الاستغراب من أُناسٍ يقرؤون سورة يوسف، ويرون ما عمله إخوته معه عندما فرقوا بينه وبين أبيه، وما ترتَّب على ذلك من مآسٍ وفواجع: إلقاؤه في البئر، وبيعه مملوكًا، وتعريضه للفتن، وسجنه، واتهامه بالسرقة، بعد ذلك كله يأتي منه ذلك الموقف الرائع: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ﴾؛ يرون ذلك فلا يعفون ولا يصفحون؟

من مشاركات المتدبرين

١٦٢٢. كريمُ النَّفس حين يكون في حال قوَّةٍ وقدرة، وخصمُه في حال ضعفٍ وانكسار، تسمو نفسه عن توبيخه، فضلًا عن سَلِّ سيف الانتقام.

د. أحمد الخليلي

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾

١٦٢٣. لأنَّ كلَّ داءٍ يُداوى بضده، فهذا القميص لما كان فيه أثر ريح يوسف ﷺ الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم أراد أن يشمَّه فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٥)

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾

١٦٢٤. ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ ما أعظم وفاءَ يوسف مع أبويه ﷺ، فحين مكَّنه الله رفعهما على سرير ملكه، وأظهر لهما التقدير والاحترام!

إنها رسالة لكل من آتاه الله مكانةً وعلمًا وغنى أن يرد الجميل لوالديه، وأن يرفعهما حسًّا ومعنى.

د. محمد الربيعة

١٦٢٥. تأمل قول يوسف ﷺ: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾، فلم يذكر خروجه من الجب مع أن النعمة فيه أعظم لئلا يستحيي إخوته، والكريم يُغضِي، ولا سيَّما في وقت الصفاء.

الزركشي، البرهان (٣ / ٦٦) مختصر

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾

١٦٢٦. تأمل! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ وقوله: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢١٤]، فأيُّ دلالة على

شدَّة الكرب وعظم الخطب أبلغ من هذا، وأنه بلغ مبلغًا كبيرًا ظهر أثره على خيرة الخلق وهم الرُّسل؟! فجاء بعد ذلك النصر: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

أ. د. ابتسام الجابري

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

١٦٢٧. ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ ليس المقصود بقصص القرآن أن تكون سَمَرًا، بل المقصود بها أن تكون عِبَرًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٧ / ١٨٦)

١٦٢٨. لما ذكر الله ﷻ قصة يعقوب مع ابنه يوسف عليهما السلام وبيَّنها في كتابه قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أخبر أنها عبرة، فتحتاج إلى شيءٍ من التأمل.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (صوتي)

سورة الرعد

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

١٦٢٩. ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصًا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤١٢)

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

١٦٣٠. انظر قطع الأرض المتجاورات، وكيف ينزل عليها ماءٌ واحدٌ، فتنبت الأزواج المختلفة المتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة، واللقاحُ واحدٌ والأمُّ واحدة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٢٠٠)

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾

١٦٣١. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ رُوي أنه لما نزلت هذه الآيةُ قال رسول الله ﷺ: «لولا عَفوُ الله وتجاوزُه ما هَنأَ أحدٌ العيشَ، ولولا وعيدُه وعقابُه لاتَّكلَ كلُّ أحد».

تفسير ابن أبي حاتم (٧ ٢٢٢٤)

١٦٣٢. كان مطرِّف بن عبد الله إذا تُليت عليه هذه الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ قال: «لو يعلم الناس قدر مغفرة الله ورحمته وتجاوز الله لقرَّت أعينهم، ولو يعلم الناس قدر عذاب الله ونكال الله وبأس الله ما رقأ لهم دمعٌ ولا انتفعوا بطعام ولا شراب».

الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٩٨)

١٦٣٣. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ جمع بين الوعدِ والوعيدِ؛ ليعظُم رجاء الناس في فضلِه، ويشتدَّ خوفُهم من عقابه؛ لأنَّ مطامعَ العُقلاء محصورةٌ في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة.

الأمين الشنقيطي، أضواء البيان (٢ ٢٢٣)

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾

١٦٣٤. بضاعةُ البطالين الاقتراحاتُ، والإعراض عن البينات، فلا تسترسل معهم ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾.

د. أحمد القاضي

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾

١٦٣٥. متى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمةً ما شُكِرَت، أو زلةً فُعِلَت، واحذر من نِفار النعم ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحِلم، فربما عُجل انقباضه، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ٣٢)

١٦٣٦. إن الله جعل لكل شيء سببًا، فالفلَّاح الذي يقعد عن شق الأرض وبذر البذر ثم يقول: (اللَّهُمَّ أنبت لي الزرع) لا ينبت الله زرعه، والتلميذ الذي يدع الدرس ويشتغل باللهو واللعب ويقول: (اللَّهُمَّ اكتب لي النجاح في الامتحان) لا يكتب الله له النجاح، والأمة التي تلعب حين الجد ويتربص بها العدو فلا تُعد القوة للعدو وتطلب من الله النصر لا يكتب الله لها النصر، لأن الله لا يبدل سننه في كونه وقوانينه في مخلوقاته من أجل فلَّاح مهمل ولا تلميذ كسلان ولا شعب غافل، فإذا أردنا معشر المسلمين أن يغير الله ما نحن فيه من التفرق والانقسام وتكالب الخصوم وغلبة الأعداء فلنغير أولًا ما بأنفسنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ هذا هو القانون، فهل غيرنا ما بأنفسنا؟!

علي الطنطاوي، ذكريات (٧ ٢٦٢)

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

١٦٣٧. هذا مَثَلٌ ضربه الله للحق والباطل، فالباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعَلاه، فإن الله سيمحَقُه ويُبطِلُه، ويجعل العاقبة للحق وأهله.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص: ١٩٦)

١٦٣٨. ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ قال ابن عباس ﷺ: «هذا مثل ضربه الله؛ احتملت القلوب من الوحي على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله».

تفسير الطبري (١٣ / ٤٩٨)

١٦٣٩. فإن قلتَ: لم نُكِّرت الأودية؟ قلتُ: لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض.

الزمخشري، الكشاف (٢ / ٥٢٣)

١٦٤٠. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا هو الضابط القرآني للعلم الصحيح: النفع للناس، وكل علم لا ينفع الناس، فهو هدر للحياة.

د. عبد الله بلقاسم

١٦٤١. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ العلم الذي يبقى طويلًا؛ هو ما ينفع الناس حقًّا، لا تغرنَّك الغرائب والعجائب!

د. عبد الله بلقاسم

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

١٦٤٢. قال جعفر بن محمد: «صلة الرحم تُهَوِّن على المرء الحسابَ يوم القيامة»، ثم تلا هذه الآية.

المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدِّينَوَري (٥ / ١٨٤)

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

١٦٤٣. ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ﴾ في التقييد بالصلاح قطعٌ للأطماع الفارغة، لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٥ / ١٨)

١٦٤٤. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ لأنَّ الإكثار من تَرداد رُسُل الملِك أعظمُ في الفخر، وأكثر في السُّرور والعزِّ.

البقاعي، نظم الدرر (١٠ / ٣٣١)

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

١٦٤٥. ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ ما أخسَرَ صفقةَ مَن باع أُخراه بدنياه. نعيمُ الدنيا بأسره متاعٌ دنيءٌ مُستهلَك بإزاء النعيم الباقي.

د. أحمد القاضي

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

١٦٤٦. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾، فإن قال قائل: أليس الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، فكيف تَوْجل وتطمئن في حالة واحدة؟! والجواب: أن الوجلَ بذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينةَ بذكر الوعد والثواب، فكأنها توجل إذا ذُكر عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكر فضل الله وكرمه.

تفسير السمعاني (٣ / ٩٢)

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

١٦٤٧. من أنواع البيان في القرآن حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذكر، وما جاء منه في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كأنه قيل: لكان هذا القرآن، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب فيه كلَّ مذهب، ولو ذكر الجواب؛ لَقَصُرَ على الوجه الذي تضمنه البيان!

الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص: ٧٦ - ٧٧) مختصر

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

١٦٤٨. ترك أهل الباطل فترة، ليس نسيانًا لهم أو غفلةً عنهم، والإملاء للظالمين ليس تكريمًا لهم كما يظنون، أو إهانة لغيرهم كما يتوهمون، وإنما هو الاستدراج إلى العذاب من حيث لا يشعرون.

د. محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (ص: ١٤١)

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

١٦٤٩. ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ ما لهؤلاءِ الكفارِ مِن أحدٍ يقيهم من عذاب الله إذا عذَّبهم؛ لا حميمٌ ولا وليٌّ ولا نصيرٌ، لأنه جلَّ جلاله لا يُعادُّه أحدٌ فيقهره، فيُخَلِّصَه من عذابه بالقهر، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وليس يأذن لأحدٍ في الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التوبة منه.

الطبري، جامع البيان (١٣ ٥٥١)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾

١٦٥٠. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ﴾ الفرح بالعلم والإيمان والسنة دليلٌ على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره، فإن فَرَح العبدِ بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له ولا يحزنه فواته.

ابن القيم، مدارج السالكين (٣ ١٥٠)

١٦٥١. جَمَعَ كل ما يحتاج المرء إليه في معرفة المبدأ والمعاد في ألفاظٍ قليلة فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾، فإذا تأمل الإنسان في هذه الألفاظ ووقف عليها عرف أنها محتوية على جميع المطالب المعتبرة في الدين.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٩ ٤٠٨) مختصر

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

١٦٥٢. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ﴾ فحصل لهذا الكتاب كمالان: كمالٌ من جهة معانيه ومقاصده، وهو كونه حكمًا، وكمالٌ من جهة ألفاظه، وهو المُكنى عنه بكونه عربيًّا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣ ١٦٠)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

١٦٥٣. استدل على تفضيل النكاح على التخلي لنوافل العبادة بأن الله تعالى اختار النكاح لأنبيائه ورسله، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ واقتطع من زمن كليمه موسى عشر سنين في رعاية الغنم مهر الزوجة، واختار لنبيه ﷺ أفضل الأشياء فزوَّجه تسعًا فما فوقهن، ولا هدي فوق هديه.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٣ ١٥٨)

١٦٥٤. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ قال بعضهم: إذا شرَّف وليًّا بولايته لم يضر به مباشرة أحكام البشرية من الأهل والولد، ولم يكن بسط الدنيا له قدحًا في ولايته.

البحر المديد لابن عجيبة (٣ ٣٦)

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

١٦٥٥. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ فما بال بعضنا يريد أن يجمع بين الوظيفتين؟!

د. عبد الله السكاكر

سورة إبراهيم

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾

١٦٥٦. ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ لا يحصل منهم المراد المحبوب لله إلا بإرادةٍ من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢١)

١٦٥٧. في ذِكْرِ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارةٌ إلى أن مَن سلكه فهو عزيزٌ بعِزِّ الله، قويٌّ ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمودٌ في أموره، حَسَنُ العاقبة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢١)

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾

١٦٥٨. لا يمكن دعوة مَن لا يفهم اللغة العربية إلا بلغته؛ بنَصِّ القرآن! قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾، فتعلُّم اللغة التي يُدعى بها إلى الإسلام فرضُ كفاية، كما أن الدعوة إلى الإسلام فرض كفاية.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (رقم اللقاء: ١٤٢)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾

١٦٥٩. ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ﴾ تتناول أيامَ نِعَمِه وأيامَ نِقَمِه، ليشكروا ويعتبروا، ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ فإنَّ ذِكْرَ النعم يدعو إلى الشكر، وذِكْرَ النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، والصبر عن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦ ١٩٤)

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾

١٦٦٠. قال عليٌّ ﷺ: «إنَّ النِّعمة مُوَصَّلَةٌ بالشُّكر، والشُّكر مُعلَّق بالمزيد، وهما مَقرونانِ في قَرَن[1]، فلن يَنقَطِعَ المزيد من الله حتَّى يَنقطِعَ الشُّكر من العَبد».

الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ١١)

١٦٦١. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ إعلانٌ مُعظَّمٌ من عظيم، فتنبَّه له: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: وعدٌ، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾: وَعِيد.

باسل الرشود

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾

(١) القرن: الحبل. انظر: النهاية لابن الأثير (٤ / ٥٣).

١٦٦٢. ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هل الإنسان -وإن ذُكِرَ بُرهةً من الدهر- إلَّا كمن خلا قبلُ مِن الأمم الغابرة الذين ذُكِروا ثم نُسوا جملةً؟!

ابن حزم، الأخلاق والسِّير (ص: ٩٠)

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

١٦٦٣. ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾ هدي الأنبياء أن المواهب الربانية توجب لأصحابها الشكر لا الفخر.

د. عبد الله السكاكر

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

١٦٦٤. هذا شعار المؤمنين حين يشتد بهم أذى الكفار والمنافقين، يتدثرون بالصبر والتوكل، وهم ينتظرون سنة الله في الآية التي بعدها: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

فهد العيبان

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

١٦٦٥. قال قتادة: «هل لكم بهذا يدان، أم لكم على هذا صبر؟! طاعة الله أهون عليكم يا قوم! فأطيعوا الله ورسوله».

التخويف من النار لابن رجب (ص: ١٥٢)

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

١٦٦٦. من لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المجتمع، لأن الرماد أثرٌ لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيَعِها بينهم، وهو قِرى الضيف، حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣ ٢١٣)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾

١٦٦٧. هلاك فئةٍ كاملة شديدة القوة أمرٌ عجيب يثير في النفوس السؤال: كيف تهلك فئة مثل هؤلاء؟ فيجاب بأن الله الذي قدر على خلق السماوات والأرض في عظمتها قادرٌ على إهلاك ما هو دونها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣ / ٢١٤)

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

١٦٦٨. معنى بروزهم لله -والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له- أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنون أن ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم، وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية.

الزمخشري، الكشاف (٢ / ٥٤٨)

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

١٦٦٩. في ضرب الأمثال تقريبٌ للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبيَّن المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢٥)

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

١٦٧٠. تحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كنزٌ عظيم، مَن وُفِّق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم، ومن حُرِمه فقد حُرِم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤].

ابن القيم، إعلام الموقعين (١ / ١٣٦)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

١٦٧١. من استقرأ أحوال العالم تبيَّن له أن الله لم يُنْعِم على أهل الأرض نعمةً أعظم من إنعامه بإرساله ﷺ، وإن الذين ردوا رسالته هم من قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾.

ابن تيمية، الجواب الصحيح (٥ / ٨٨)

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

١٦٧٢. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ قال قتادة: «فلينظر رجلٌ من يخالل! وعلامَ يصاحب! فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فإنها ستنقطع».

تفسير الطبري (١٣ / ٦٨٠)

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

١٦٧٣. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ قال طلق بن حبيب ﷺ: «إنَّ حقَّ الله أثقلُ من أن يقوم به العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أَصْبِحُوا توَّابين، وأَمْسُوا توَّابين».

تفسير الطبري (١٣ ٦٨٦)

١٦٧٤. قام الحسن البصري من الليل يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية حتى أصبح: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾، فقيل له في ذلك؟! فقال: «إن فيها معتبرًا، ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر».

التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (ص: ٥٠)

١٦٧٥. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ قال أحد العلماء: «سبحان من لم يجعل في أحدٍ من معرفة نعمته إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكرًا».

الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ٦٩) مختصر

١٦٧٦. أصبحت معافى في بدنك، آمنًا في بيتك، مؤمنًا بربك، لا تجثو عند صنم، ولا تغدو إلى بيعة، ولا تروح إلى كنيسة، لا منَّةَ لأحدٍ من الخلق عليك في رزقك، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾

١٦٧٧. كان إبراهيم التيمي يقصُّ ويقول في قصصه: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: رب ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾؟!».

تفسير الطبري (١٣ ٦٨٧)

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾

١٦٧٨. في دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ بيانٌ لكمال شفقته ورحمته بالناس، حيث إنه لم يدع على من عصاه، بل توسل إلى الله باسميه الغفور الرحيم أن يغفر لهم ويرحمهم، ودل ذلك أيضًا على أنه متجردٌ لربه لا ينتصر لنفسه، ولا يُقَدِّم مصلحتها الشخصية على مصلحة الدعوة، فهو يعتقد أن الدعوة هي دعوة الله الحق، ليست مجالًا لأغراض أو مصالح ذاتية؛ جلبًا أو دفعًا.

د. خالد الغامدي

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

١٦٧٩. إذا رأيت جموع الوافدين من أقطار الدنيا إلى بيت الله الحرام، وكم بذلوا من أموال! وكم هي السنين التي انتظرها بعضهم ليصل إليه؟ والشوق يقطع قلبه، أدركت شيئًا من أسرار قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ وأدركت أيضًا بعضًا من معاني إضافة هذا البيت إلى نفسه المقدسة في قوله: ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.

أ. د. عمر المقبل

١٦٨٠. ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ قال السدي: «يقول: خذ بقلوب الناس إليهم، فإنه حيث يهوي القلب يذهب الجسد، فلذلك ليس من مؤمنٍ إلا وقلبه معلَّق بحب الكعبة».

الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٤٨)

١٦٨١. ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ بدايةُ الرِّحلة في القلب، والجوارحُ تبَعٌ له، ومَن حَنَّ قلبُه تتابعَت خُطواتُه.

د. عبد الملك القاسم

١٦٨٢. ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته: أنه ليس في البلد الحرام (مكة) شجرةٌ مثمرة، وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها، استجابةً لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥١٤)

١٦٨٣. من عظيم دلائل دعوة الخليل لأهل الحرم: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ أن الناس لو علموا أنهم سيواجهون الصعوبات في طلب الرزق عند الحرم؛ لما اشتاقت نفوسهم إلى هذا المكان، وإن جاؤوا فربما قلَّت رغبتهم في البقاء فيه بسبب قلة موارده.

أ. د. محمد العواجي

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾

١٦٨٤. إنك تُعامل مَن لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين (٢ / ١٤٣)

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾

١٦٨٥. أعظم الغايات أن يكون للصلاة شأن في قلوب العالمين.

د. مشعل الفلاحي

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾

١٦٨٦. مَن كان حاله كمن حَسِب الله غافلًا: أساء الظن، واستجلب اليأس، واستعجل النتائج، وتخطى المأمور.

باسل الرشود

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

١٦٨٧. سيقول الظَّلَمَة يوم القيامة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ أليس في هذا أعظم برهان على أن كل دعوة تخالف دعوة الرسل باطلة؟!

أ. د. عمر المقبل

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

١٦٨٨. قال قتادة ﷺ: «قد واللهِ بعثَ اللهُ رسله، وأنزل كتبه، وضرب لكم الأمثال، فلا يصم فيها إلا أصم، ولا يخيب فيها إلا الخائب، فاعقلوا عن الله أمره»!

تفسير الطبري (١٣ / ٧١٧)

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

١٦٨٩. القطران أسود اللون، منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القُمُص، لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح. على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين.

الزمخشري، الكشاف (٢ / ٥٦٧)

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

١٦٩٠. قيل لأبي الحسن الرماني: كل كتاب له ترجمة [أي: عنوان يُلَخِّص مضمونه] فما ترجمة كتاب الله ﷻ؟ فقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾.

المنتقى لأبي طاهر السلفي (ص: ٧٤)

سورة الحِجر

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

١٦٩١. قال بعض أهل العلم: ﴿ذَرْهُمْ﴾ تهديد، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ تهديد آخر؛ فمتى يهنأ العيش بين تهديدَيْن؟!

تفسير السمعاني (٣ / ١٣٠)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

١٦٩٢. الله ﷻ وفَّر دواعي الأمة للذبِّ عن الشريعة والمناضلة عنها بحسب الجملة والتفصيل، أما القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حَفَظَةً، بحيث لو زِيدَ فيه حرفٌ واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلًا عن القرَّاء الأكابر.

الشاطبي، الموافقات (٢ / ٩٣)

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾

١٦٩٣. إن من الناس فريقًا غريقًا في حمأة العناد، وآخرين لا يجدون طمأنينتهم إلا في اضطراب الشك، فهؤلاء وأولئك لا سبيل لنا عليهم، ولا ينفعهم نُصحنا إن كان الله يريد أن يغويهم؛ إذ ليس من شأننا أن نُسمع الصم أو نهدي العُمي، وإنما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طُلاب الحق، ونوضح الطريق لسابلها من رُوَّاد اليقين.

محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (ص: ١٠٧ - ١٠٨) مختصر

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

١٦٩٤. قوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ متضمنٌ لكنزٍ من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يُطلَب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيده، وأنَّ طَلَبَه من غيره طلبٌ ممن ليس عنده ولا يقدر عليه.

ابن القيم، الفوائد (ص: ٢٠٢)

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾

١٦٩٥. في الآية: أنَّ تخلف الإنسان عن العمل الصالح وحده أكبر وأعظم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ١٨٩)

﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

١٦٩٦. تأمل كيف جعلَ الرحمةَ صفةً له، مذكورةً في أسمائه الحسنى، وأما العذاب والعقاب فجعلهما من مفعولاته، غير مذكورين في أسمائه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٩٥)

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾

١٦٩٧. إذا زرت أحدًا، فرأيت منه وجلًا، فآنسه بخبر مفرح؛ ليطمئن قلبه لك، قبل أن تحدثه بموضوعك.

د. محمد الربيعة

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾

١٦٩٨. العظماء لا تشغلهم قضاياهم الخاصة عن قضايا الأمة! تأمل حالَ إبراهيم ﷺ حين بشرته الملائكة بغلام، فكان سؤاله بعدها: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

د. محمد الربيعة

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

١٦٩٩. لا تجعل المعارك الجانبيَّة تستهلك عمرك، وركِّز على أهدافك العظمى؛ لتنجح.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

١٧٠٠. قال ابن عباس: «ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعتُ اللهَ أقسم بحياة أحدٍ غيره».

تفسير الطبري (١٤ / ٩١)

١٧٠١. وصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعَمَه الذي هو فساد البصيرة؛ فالتعلُّق بالصور يوجب فساد العقل، وعمه البصيرة، وسكر القلب.

ابن القيم، الجواب الكافي (ص: ١٧٩)

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

١٧٠٢. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ المأمورُ به هو الصفح الجميل؛ أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٣٤)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

١٧٠٣. قال سفيان بن عيينة ﷺ: «مَن أُعطي القرآن فمَدَّ عينيه إلى شيء مما صَغَّر القرآن فقد خالف القرآن؛ ألم تسمع قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ وقوله أيضًا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١] يعني: القرآن».

فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ١١٤)

١٧٠٤. أقصرْ عينيك تجد الرضا.

أ. د. ابتسام الجبري

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾

١٧٠٥. ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ هو أبلغ من قول: (فاعمل بما تؤمر) لأن معناه المبالغةُ فيما أُمر به حتى يؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه.

الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ص: ٥٣) مختصر

١٧٠٦. ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ بك وبما جئت به، وهذا وعدٌ من الله لرسوله ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى؛ فإنه ما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شرَّ قتلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٣٥)

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

١٧٠٧. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ لا تُصدِّق أن هناك نفسًا لا تؤلمها الكلمات.

د. عبد الله بلقاسم

١٧٠٨. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ لم يقل له: فلا يضق! لكنه أرشد إلى ما يشرحه ويستدفع به ضيق الصدر، فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

إبراهيم الأزرق

١٧٠٩. في هذه الآيات أرشد الله ﷻ نبيَّه ﷺ إلى ما يطرد به الهم، ويحل محله الرضا والسرور، حيث أمره بخصوص، ثم عموم، ثم أعم، فأرشده إلى أمرٍ يسير وهو ذكر الله وتسبيحه، وإلى الصلاة وهي أعم من الذكر المجرد، ثم أرشده إلى الإقبال على العبادة بمفهومها العام الشامل حتى يفارق الدنيا، ففي ذلك سلوته وعزاؤه، بل فرحه ونعيم قلبه، فيا لها من وصفةٍ عظيمة لو تدبرناها، وأخذنا بها.

د. محمد الحمد، خواطر (ص: ٢٢٦)

١٧١٠. ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ نادى الحسن البصري ﷺ: «أيْ قوم؛ المداومةَ المداومة، فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلًا دون الموت».

الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٧)

١٧١١. الصادق لا نهاية لطلبه ولا فتور لقصده، بل قصده أتم، وطلبه أكمل، ونيته أحزم؛ قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ٢٢٤)

١٧١٢. تأملتُ قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ فقلت: الحمد لله الذي لم يمنع عنَّا فضله بالعبودية والتقرُّب له وتكثير الأجور بانقضاء مواسم الخير.

د. عبد العزيز العويد

سورة النحل

١٧١٣. سورة النحل افتُتِحت بالنهي عن الاستعجال، وخُتمت بالأمر بالصبر، وسورة الإسراء افتُتِحت بالتسبيح، وختمت بالتحميد.

السيوطي، مراصد المطالع (ص: ٥٣)

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾

١٧١٤. من تدبر القرآن تبيَّن له أن أعظم نِعَم الرب على العبد تعليمه القرآن والتوحيد، تأمل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن:١، ٢] فبدأ بها قبل نعمة الخلق، وفي (النحل) التي هي سورة النِّعم: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ فهذه الآية أولُ نعمة عدَّدها الله على عباده؛ لذا قال ابن عيينة رحمه الله: «ما أنعم الله على العباد نعمةً أعظم من أن عَرَّفَهُم (لا إله إلا الله)»[1].

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾

١٧١٥. فيه دليل على أن التكبُّر متولِّد في الإنسان من قلة معرفته بنفسه، وفِكْره فيما خُلق منه.

القصاب، النكت الدالة على البيان (٤٦/٢)

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ٣٤).

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥﴾

١٧١٦. الوقاية من البرد من أصول النِّعَم؛ لذا ذُكِرت في أول سورة النحل ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾. والوقاية من الحر من مكملات النِّعَم؛ لذا ذُكِرت بعد ذلك ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١].

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٥) بتصرف

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦﴾

١٧١٧. الرواح في الأنعام هو إذا جاءت من مراعيها إلى أفنية مُلاكها عَشِيًّا، والسراح هو إذا خرجت من الأفنية إلى المراعي بُكْرَةً، فإن قال قائل: لِمَ قَدَّم الرواح، والسراحُ هو المقدَّم؟ قلنا: لأن المالك يكون أعجب بها إذا راحت، ولأن المنافع منها إنما تؤخذ بعد الرواح.

تفسير السمعاني (٣/ ١٦٠)

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾

١٧١٨. هذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى بلد، فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار؟!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ١٠)

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾

١٧١٩. ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ مما يكون بعد نزول القرآن، مِن الأشياء التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيَذكُر أصلًا جامعًا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٣٦)

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

١٧٢٠. تأمل خلق الأرض على ما هي عليه، حين خلقها الله واقفةً ساكنةً، لتكون مِهادًا ومستقرًّا للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكَّن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس لراحاتهم، والنوم لهدوئهم، والتمكُّن من أعمالهم، ولو كانت رجراجةً متكفئةً لم يستطيعوا على ظهرها قرارًا ولا هدوءًا، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة، وكيف كانوا يتهنَّون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل على قلة مكثها؛ كيف تُصيِّرُهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿أَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ ٢١٧)

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

١٧٢١. مرَّ الحسين بن علي ﷺ على مساكين وقد بسطوا كساءً، وبين أيديهم كِسَرٌ، فقالوا: هَلُم يا أبا عبد الله، فحوَّل وركه وقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾، فأكل معهم ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فقال لامرأته: أخرجي ما كنت تدخرين.

التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٢)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

١٧٢٢. الحق قويٌّ بذاته، فإذا بلَّغه الداعية الحكيم بما يليق به من بيان كان منتصرًا بمجرد الكلمة، وذلك كان هو أساس دعوة جميع الأنبياء والرسل؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾، فلا يستهينن أحدٌ بقوة الكلمة وخطورتها في الخير والشر، فأما كلمة الحق والهدى في الدعوة إلى الله فهي الغالبة بإذن الله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١ / ٢٩٦)

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

١٧٢٣. هذا تعجيب من صنعهم، إذ أقسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت، ووجه التعجيب أنهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الأموات.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٠٥)

١٧٢٤. في الآيات ذِكْرُ عظيم قدرة الله تعالى، وأنها على غير القياس، وهم نفوا لمَّا نظروا إلى عظمة الأمر، ولم يعرفوا عظمة الله.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ٢١١)

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

١٧٢٥. لم يُؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٩)

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾

١٧٢٦. ﴿إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ليس للتكرار والتأكيد المحض، وليس الموضع موضع تأكيد، بل لما كان النهي واقعًا على التعديدِ والاثنينيةِ دون الواحد أتى بلفظ الاثنين، فتوجَّه النهي إلى نفس التعدد والعدد، فكأنه قال: لا تعدد الآلهة ولا تتخذ عددًا تعبد، إنما هو إله واحد فلا تضم إليه غيره وتجعلهما اثنين، فلا تكرار إذن.

ابن تيمية، جامع المسائل (٨ / ٣٥٠)

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

١٧٢٧. معنى ﴿وَاصِبًا ۚ﴾: دائمًا. وفي هذا المعنى ذكر الحسن البصري فائدةً مهمة؛ يقول: «إن هذا الدين دينٌ واصب، وإنه مَن لا يصبر عليه يَدَعه، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، وكان يقال: (ليأخذْ أحدكُم من العمل ما يطيق، فإنه لا يدري ما قَدْرُ أجله)، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف وكلَّف نفسه ما لا يطيق أوشك أن يسيب ذلك كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف وكلَّف نفسه ما تطيق كان أكيس».

الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٤٦٨)

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

١٧٢٨. إذا كانت القلوب مجبولةً على حب من أحسن إليها، وكلُّ إحسانٍ وصل إلى العبد فمِن الله، فلا ألْأم ممن شَغَلَ قلبَه بحب غيرِه دونَه!

ابن القيم، روضة المحبين (ص: ٤١٧)

١٧٢٩. من أعظم التوفيق للعبد -مهما تميَّز وكثرت عليه النِّعَم- أن يعينه الله على استشعار هذه الحقيقة الكاسرة لشوكة العجب والغفلة: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

١٧٣٠. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أي: سماع إنصافٍ وتدبُّرٍ وتفكُّر، لأن سماع القلوب هو النافع، لا سماع الآذان، فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها وتفكَّر فيها انتفع، ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات.

الخازن، لباب التأويل (٣ / ٨٤)

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

١٧٣١. تأمَّل كمال طاعة النحل وحُسن ائتمارها لأمر ربها؛ اتخذت بيوتها في هذه الأمكنة الثلاثة، فلا يُرى للنحل بيتٌ غير هذه الثلاثة المبتَّة، فالإنسان أولى بالطاعة لربه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ ٢٤٨)

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

١٧٣٢. معلومٌ أن المساكن من جنس الملابس؛ كلاهما جُعل في الأصل للوقاية ودفع الضرر، فاللباس يتقي الإنسان به الحرَّ والبرد ويتقي به سلاح العدو، وكذلك المساكن يتقي بها الحر والبرد ويتقي بها العدو.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٢ ١٥١)

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

١٧٣٣. عذابًا على كفرهم، وعذابًا على صدهم الناس عن اتباع الحق، وهذا دليلٌ على تفاوت الكفار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ ٥٩٤)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

١٧٣٤. قرأ الحسن هذه الآية ثم قال: «إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آيةٍ واحدة، فواللهِ ما ترك العدلُ والإحسانُ من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُ من معصية الله شيئًا إلا جمعه».

حلية الأولياء لأبي نعيم (٢ ١٥٨)

١٧٣٥. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائدٌ عليه، فتَحَرِّي العدل واجب، وتَحَرِّي الإحسان نَدْبٌ وتطوُّع؛ ولذلك عظَّم الله ثواب أهل الإحسان.

الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٢ ٤٦٥)

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثَا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢﴾

١٧٣٦. للإنسان في منازل الفضائل مرتقًى صعب، ومُنحدَرٌ سهل، وعلى الارتقاء فيها حثَّ ربنا، وعن الانحدار منها نهى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثَا﴾.

الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص: ١٢٤)

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾

١٧٣٧. كان لحفصة بنت سيرين ابنٌ صالح عظيم البر بها، مكث في الإحسان إليها سنين، ثم مات، قالت حفصة: فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غُصَّةً لا تذهب، قالت: فبينما أنا أصلي ذات ليلة وأنا أقرأ سورة النحل، أتيت على هذه الآية: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ

يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قالت: فأعدتها، فأذهب الله ما كنت أجد.

مسند الحارث (٢ ٨٤٨)

١٧٣٨. قال حاتم الأصم: نظرت إلى هذا الخَلْق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعَه وحفظَه، ثم نظرت إلى قول الله ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجَّهتُه إلى الله ليبقى عنده محفوظًا.

إحياء علوم الدين للغزالي (١ ٦٥)

١٧٣٩. سمعت الشيخ ابن عثيمين وهو يعلق على قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ يقول: كثير من الناس لا ينصرف ذهنه عند قراءة هذه الآية إلا للمال أو الطعام ونحوه، والحق أنها تشمل السمع والبصر وسائر ما عند العباد من أمور حسيَّة ومعنويَّة.

أ.د. عمر المقبل

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

١٧٤٠. من وصل إلى درجة الرضا بالقضاء والقدر في المصائب كان عيشه كله في نعيم وسرور؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، قال بعض السلف: الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١ ٤٨٧)

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

١٧٤١. فائدة الاستعاذة: ليكون الشيطان بعيدًا عن قلب المرء وهو يتلو كتاب الله، حتى يحصل له بذلك تدبر القرآن وتفهُّم معانيه والانتفاع به، لأن هناك فرقًا بين أن تقرأ القرآن وقلبك

حاضر وبين أن تقرأ وقلبك لاه؛ إذا قرأته وقلبك حاضر حصل لك من معرفة المعاني والانتفاع بالقرآن ما لم يحصل لك إذا قرأته وأنت غافل، وجرِّب تجد.

ابن عثيمين، الشرح الممتع (٣ ٥٣)

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

١٧٤٢. إذا كثر نفوذ الشيطان على ثغرات قلبك، فتفقد إيمانك وصدق توكلك.

أ. د. عمر المقبل

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

١٧٤٣. فالقرآن إنما جاء ليهدي ويثبِّت المؤمن على هذه الهداية، وهذا التثبيت للنفوس لا يتم بقراءته جملةً واحدة وأن يـمُرَّ عليه سريعًا بختمةٍ عجلى، وإنما تكون بقراءته مُنَجَّمًا على الأيام، بتدبرٍ وترتيل وتشرُّب لمعانيه العِظام مرارًا وتكرارًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد (ص: ١٨٥)

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

١٧٤٤. محاولة إسقاط هيبة النص القرآني في نفوس الناس، قديمة قِدَمَ الرسالة، تأمل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ﴾.

أ. د. عمر المقبل

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

١٧٤٥. بلغَ هشامَ بن عبد الملك عن رجلٍ كلامٌ، فأُتي به فاحتجَّ وجعل يتكلم بين يديه، فقال له هشام: أوَتتكلم أيضًا؟! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله يقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾، أفيُجادَل اللهُ جدالًا ولا تُكلَّم أنت كلامًا؟! قال هشام: يا ويحك! تكلَّم بما أحببت.

تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٨ ٢٠٢)

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

١٧٤٦. من ظن أن أرضًا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقًا لخصوصها أو لكونها فيها قبور الأنبياء والصالحين فهو غالط، فأفضل البقاع مكة، وقد عذَّب الله أهلها عذابًا عظيمًا، كما جاء في هذه الآية.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٧ ٤٤٢)

١٧٤٧. ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ قَدَّم الأمنَ على الطمأنينة؛ إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه، كما أن الخوف يسبب الانزعاج والقلق!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٤ / ٣٠٥)

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾

١٧٤٨. عن أبي نضرة قال: قرأت هذه الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا.

الدر المنثور للسيوطي (٥ ١٧٤)

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

١٧٤٩. (الـحَنَف) ميل عن الضلال إلى الاستقامة، كقوله تعالى عن الخليل ﷺ: ﴿قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾، أما (الـجَنَف) فهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال، كقوله تعالى في شأن الوصية: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢].

الراغب الأصفهاني، المفردات (ص: ٢٦٠) بتصرف

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾

١٧٥٠. من لطيف استعمال جمع القلة وجمع الكثرة في القرآن ما جاء في قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فجمع النعمة في آية النحل جمع قلة: (أنعُم)، وجمعها في لقمان جمع كثرة: (نِعَمه)، وذلك أن نعم الله لا تحصى، فلا يطيق الإنسان شكرها جميعها، ولكن قد يشكر قسمًا منها، ولذلك لما ذكر إبراهيم وأثنى عليه قال: إنه شاكر لأنعُمِه، ولم يقل: لنِعَمه، لأن شكر جميع النعم ليس في مقدور أحد، بل إن إحصاءها ليس في مقدور أحد، فكيف بشكرها؟! وأما الآية الثانية فهي في مقام تعداد نِعَمه وفضله على الناس فقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، فذكرها بزِنةِ جمع الكثرة.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني (ص: ٤٠)

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

١٧٥١. ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ فعلى الداعية أن يُشعِر نفسه بأنه يدعو إلى الله، لا إلى فرض السيطرة، أو إتمام الكلمة، أو إبراد الغيرة، لأن هذا خطأ، بل ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فأيُّ وسيلةٍ يحصل بها المقصود -ولو كان فيها غضاضةٌ عليك- فاعملها.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (صوتي)

١٧٥٢. ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ إن النفس لها أهواء تدعوها إلى خلاف الحق وإن عرفته، فالناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنة وإلى الحكمة.

ابن تيمية، الرد على المنطقيين (ص: ٤٦٨)

١٧٥٣. ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ قُيِّدَت (الموعظة) بـ(الحسنة) ولم تُقيَّد (الحكمة) بمثل ذلك، لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالبًا ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة، أو عن توقع ذلك منه، كانت مَظِنَّةً لصدور غِلظةٍ من الواعظ، ولحصول انكسارٍ في نفس الموعوظ، أرشد الله رسوله أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٤ / ٣٢٩)

سورة الإسراء

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

١٧٥٤. تنزيه الله تعالى بقول: (سبحان الله) يتضمن مع نفي صفات النقص عنه إثباتَ ما يلزم ذلك من عظمته، فكان التسبيح تعظيمًا له مع تبرئته من السوء، ولهذا جاء التسبيح عند العجائب الدالة على عظمته، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾.

ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (٩ / ١٧٧)

١٧٥٥. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ الظاهر والله أعلم أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الاسراء يفيده تصويرُ السير بصورته في ذهن السامع، وكأن الاسراء لما دل على أمرين، أحدهما: السير، والآخر: كونه ليلا؛ أُريد إقراد أحدهما بالذكر تثبيتًا في نفس المخاطب، وتنبيهًا على أنه مقصود بالذكر.

أحمد بن المُنَيِّر الإسكندري، الانتصاف فيما تضمَّنه الكشاف (٢ / ٦٤٦)

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

١٧٥٦. أثنى الله ﷻ على أول رسولٍ بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾، وفي تخصيص نوحٍ هاهنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارةٌ إلى الاقتداء به.

ابن القيم، عدة الصابرين (ص: ١١٨)

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾

١٧٥٧. من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ما هو أكثر من غيره، ومع هذا فقد قال الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾، فبيَّن أنهم إذا غلَوْا وأفسدوا عاقبهم الله بذنوبهم وسلَّط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار، ولم يَخفِرهم أحد من قبور الأنبياء التي كانت هناك، وإنما الناس يُجزَون بأعمالهم.

ابن تيمية، الرد على الإخنائي (ص: ١٩٣) مختصر

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾

١٧٥٨. ما يهدي إليه القرآن أقوم مما يهدي إليه الكتاب الذي قبله، وإن كان ذلك يهدي إلى الصراط المستقيم، لكن القرآن يهدي للتي هي أقوم، ولهذا ذكر هذا بعد قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٢]، ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

ابن تيمية، جامع المسائل (٥ ١٦٢)

١٧٥٩. قال ابن تيمية ﷺ في ردِّه على الفلاسفة: «ما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، فأقوم الطرق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله ﷺ، وأما طريق هؤلاء فهي -مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم وطولها في البعض الآخر- إنما توصلهم إلى أمرٍ لا ينجي من عذاب الله، فضلًا عن أن يوجب لهم السعادة، فضلًا عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم».

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٩ ١٥٣)

١٧٦٠. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ فيه إيماءٌ إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم، لأن القرآن جاء بأسلوبٍ من الإرشاد قويمٍ ذي أفنان، لا يحول دونه

ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكًا إلى ناحيةٍ من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضًا أو تحذيرًا، بحيث لا يَعْدَم المتدبر في معانيه اجتناءَ ثمار أفنانه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ٤٠)

١٧٦١. سُئل ابن باز ﷺ: ما كتب العقيدة الصحيحة التي تنصحون بها؟ فكان أول كتاب نصح به هو القرآن فقال: أعظم كتب العقيدة وأنفعها: كتاب الله القرآن، هو كتاب العقيدة، وهو كتاب الهدى وهو الشافي المفيد النافع، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾، [فصلت: ٤٤]، وهو الصراط المستقيم، فنوصي جميع المسلمين بأن يلزموا هذا القرآن، وأن يعظموه ويعملوا به ويُكْثِروا من تلاوته.

مجموع فتاوى ابن باز (٢٨ / ٧٣) مختصر

١٧٦٢. حدثني الشيخ عبد العزيز السلمان ﷺ عن نفسه أنه قرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، قال: فتأملت الآية، فعزمت أن أقرأ القرآن قراءةً أدرك بها بعضَ هداية القرآن للتي هي أقوم، فبدأته من أوله، وكنت أكتب ما فتح الله عليَّ به من هداية الآيات، فكانت النتيجة كتابًا في مجلدين: «الأنوار الساطعات لآيات جامعات».

أ. د. عبد العزيز العويد

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

١٧٦٣. وهو عذاب جهنم، أي: أعتدنا لهم فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذابًا أليما، وهو أبلغ في الزجر، لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وأفجع.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٥ / ١٥٨)

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

١٧٦٤. قال الحسن ﷺ: «ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته؛ يغضب أحدهم فيدعو عليه، فيسُبُّ نفسه ويسُبُّ زوجته وماله وولده، فإن أعطاه الله ذلك شق عليه!! فيمنعه اللهُ ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه».

الدر المنثور للسيوطي (٥ ٢٤٦)

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

١٧٦٥. ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يسمي تعالى المطلوب بالابتغاء فضلًا من الرب -وفضله من رحمته، ورحمته واسعة لا تضبطها حدود ولا تحصرها الأعداد- تنبيهًا على سعة هذا الفضل ليذهب الخلق في جميع نواحيه، ويأخذوا بجميع أسبابه مما أذن لهم فيه. وتنبيهًا أيضًا على قوة الرجاء في الحصول على البغية، لأن طلبهم طلبٌ لفضل رب كريم.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٤٨) مختصر

١٧٦٦. فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان؛ كل هذا فُصِّل في القرآن تفصيلا؛ كل فَصلٍ على غاية البيان والأحكام. وهذا دعاءٌ وترغيبٌ للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن، فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٤٩) مختصر

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

١٧٦٧. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ علينا معاشر الإخوان ألا نفضح أنفسنا يوم القيامة، وألا نُفَوِّت الفرصة وقتَ الإمكان ونضيعها حتى يضيع العمر المحدد، ويُـجَرُّ

الإنسان إلى القبر وهو فقيرٌ ليس عنده حسنات، لا يُنشر عنه يوم القيامة إلا ما يفضحه ويخزيه.

الشنقيطي، العذب النمير (٣ ٦٤) مختصر

١٧٦٨. عن أبي السوار العدوي قال: «هما نشرتان وطَيَّة: أما ما حَيِيتَ يا ابن آدم فصحيفتك منشورة فأمِّلْ فيها ما شئت، فإذا مت طُويت، ثم إذا بُعثت نُشرت: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾».

حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢ ٢٥٠)

١٧٦٩. ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ هذا من أعظم العدل والإنصاف أن يُقال للعبد: حاسِب نفسَك! ليعرف ما عليه من الحق الموجب للعقاب.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٤)

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

١٧٧٠. خصَّ المترفين لأن غيرهم لهم تبع، ولأنهم أحق الناس بالشكر وأولى بالانتقام عند الكفر.

البقاعي، نظم الدرر (١١ ٣٩١)

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾

١٧٧١. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ جعل الفعل مضارعًا في الأولى وماضيًا في الثانية للإيماء إلى أن إرادة الناس العاجلة متكررةٌ متجددة، وفيه تنبيه على أن أمور العاجلة متقضيةٌ زائلة، وجعل فعل إرادة الآخرة ماضيًا لدلالة المُضِيِّ على الرسوخ تنبيهًا على أن خير الآخرة أولى بالإرادة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ٦٠)

١٧٧٢. قوله تعالى: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ يدل على أنه لا يحصل الفوز بالدنيا لكلِّ أحد، بل كثيرٌ من الكفار والضُّلَّال يُعرِضون عن الدين في طلب الدنيا، ثم يبقون محرومين عن الدنيا وعن الدين.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠ ٣١٧)

١٧٧٣. تأمل قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ ولم يقل: عجلنا له ما يريد، بل قال: ﴿مَا نَشَآءُ﴾، لا ما يشاء هو، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾، لا لكل إنسان، فقَيَّد المُعجَّل والمُعجِّل له، فمن الناس من يعطى ما يريد من الدنيا، ومنهم من يعطى شيئًا منه، ومنهم من لا يعطى شيئًا أبدًا، أما من أراد الآخرة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾؛ لابد أن يجني ثمرات هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١ ١٨)

١٧٧٤. تدبَّر هذه الصفات التي وصف الله بها الصادقين في طلب الآخرة: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾، فلا بد من إرادة، لكنها لا تكفي وحدها، بل لا بد من السعي: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾، والإرادة والسعي لا يكفيان وحدهما، بل لا بد من الإيمان: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، فاللَّهُمَّ امنن علينا بذلك كله.

د. عبد الرحمن العقل

١٧٧٥. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ قال قتادة: «شكر الله له اليسير، وتجاوز عنه الكثير».

الدر المنثور للسيوطي (٥ ٢٥٦)

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

١٧٧٦. البون الشاسع بين الطلاب في الدرجات والمعدلات ما هو إلا معيارٌ من معايير التفاضل في أمر الدنيا، وقد جاء التوجيه القرآني في هذه الآية بالحثِّ -عند الانشغال بالتفاضل الدنيوي- على تذكُّر التفاضل الأخروي، الذي هو أكبر وأعظم، والمؤمن الموفق له في كلِّ شيءٍ عبرة.

أ. د. ابتسام الجبري

١٧٧٧. حين تعظُم الفروق في الدنيا بين الناس غنًى وفقرًا، فهي في الآخرة أعظم في كلِّ شيءٍ.

د. سليمان الماجد

١٧٧٨. إذا كانت الآخرة أكبر الدرجات وأكبر تفضيلًا، فإنه ينبغي أن نتسابق إلى درجاتها العالية وحياتها الباقية.

ابن عثيمين، الضياء اللامع (ص: ٣٧٠)

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

١٧٧٩. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ دليلٌ على أن حق الوالدين بعد حق الله ﷻ، فإن قيل: فأين حق الرسول ﷺ؟ أُجِيب: بأن حق الله متضمن لحق الرسول ﷺ، لأن الله لا يُعبَد إلا بما شرع الرسول ﷺ.

ابن عثيمين، القول المفيد (١ ٣٤)

١٧٨٠. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ في تعليق الحكم (وهو الأمر بالإحسان) بلفظ (الوالدين) المشتق من الولادة؛ إيذانٌ بعِلِّيَّتِها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالِدِيَّة، سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارين أو فاجرين، محسنين إليه أو مسيئين.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٦٧)

١٧٨١. قال: ﴿إِحْسَٰنًا ۚ﴾ بلفظ التنكير، والتنكير يدل على التعظيم، وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠ / ٣٢٣)

١٧٨٢. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ لاحظ التقييد بالظرف ﴿عِندَكَ﴾! إنه يُشْعِر بمسؤوليتك تجاه أبويك ولو كانا في منزل مستقل، بل ولو كانا في بلدٍ وأنت في بلدٍ غيره.

د. عبد المحسن العسكر

١٧٨٣. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ طولُ المُكثِ للمرء يُوجِب الاستثقال للمرء عادةً، ويحصل الملل ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالة البُنُوَّة وقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر. وقد أُمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢٤١)

١٧٨٤. قال ابن عقيل: «من أَحْسَنِ ظني بربي، أن بلغ من لطفه أنْ وصَّى ولدي إذا كبِرتُ فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾».

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ١٨٥)

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

١٧٨٥. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال عروة: «إنْ أغضباك فلا تنظر إليهما شَزَرًا، فإنه أول ما يُعرف غضبُ المرء بشدة نظره إلى من غضب عليه».

الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٢٦٠)

١٧٨٦. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ فُهِمَ من هذا أنه كلما ازدادت التربيةُ ازداد الحق، وكذلك من تولَّى تربيةَ الإنسان في دينه ودنياه تربيةً صالحةً غير الأبوين، فإن له على من ربَّاه حقَّ التربية.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٦)

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

١٧٨٧. اشتملت الآية على الحالتين اللازمتين للإنسان لتكميل نفسه، وهما الصلاح المستفاد من قوله: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾، والإصلاح بالأوبة المستفاد من قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ

غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾. وما دام الإنسان مجاهدًا في تزكية نفسه بهذين الأصلين فإنه بالغ بإذن الله درجةَ الكمال.

ابن باديس، مجالس التذكير (ص. ٧٨) مختصر

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

١٧٨٨. المراد بالأخوة هنا: المماثلة التامة. وتجنبُ مماثلة الشيطان -ولو في خصلة واحدة من خصاله- واجب، فكيف فيما هو أعم من ذلك؟!

الشوكاني، فتح القدير (٣ ٢٦٣)

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

١٧٨٩. هو تأديب عجيب، وقول لطيف بديع؛ أي: لا تُعْرِض عنهم إعراضَ مستهينٍ عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم، وإنما يجوز أن تُعْرِض عنهم عند عجزٍ يَعرِض وعائقٍ يعوق، وأنت عند ذلك ترجو من الله ﷻ فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل، فإن قعد بك الحال ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠ ٢٤٨)

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

١٧٩٠. فيها عِظَةٌ للمغتمين بكثرة ولادة الأولاد خشيةَ العجز عن القيام بنفقاتهم، وفي ضمانه تبارك وتعالى نفقتهم أمانٌ للمضمون له، وبشارةٌ يسكن إليها المؤمن ويزول اضطراب قلبه، وإذا كان في حياته مضمونًا له رزقُ أولاده، فبعد وفاته أحرى.

القصاب، النكت الدالة على البيان (٢ / ١٢٨) مختصر

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

١٧٩١. في إسناد التحريم إلى الله بعثٌ للنفوس على الخشية من الإقدام على المخالفة، وتنبيه لها على ما يكُفُّها عن الإقدام وهو استشعار عظمة الله.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٩٣)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

١٧٩٢. لما كانت هذه الأعضاء الثلاثة هي أشرف الأعضاء وملوكها والمتصرفة فيها والحاكمة عليها؛ خصها ﷻ بالذكر في السؤال عنها، فسعادة الإنسان بصحة هذه الأعضاء الثلاثة، وشقاوته بفسادها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ١٠٧)

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾

١٧٩٣. فذَكَّر الإنسان بضعفه بين مخلوقين عظيمين من فوقه ومن تحته، فإذا ضرب برجليه الأرض في مرحه فهو لا يستطيع خرقها، وإذا تطاول بعنقه في اختياله فهو لن يبلغ طول الجبال! فقد أحاط به العجز من ناحيتيه. وذِكرُ الإنسان لضعفه وعجزه أنجعُ دواءٍ لمرض إعجابه بنفسه.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٠٨)

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

١٧٩٤. المخلوقات وإن كانت جمادًا تحسُّ بعظمة الخالق.

ابن عثيمين، القول المفيد (١ / ٣٢١)

١٧٩٥. الكون كله تسبيح، فلا تتخلَّف عنه!

أ. د. عمر المقبل

١٧٩٦. الختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء، لأنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون؛ ختم به.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣ ٣٥٣)

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾

١٧٩٧. دليلٌ على أن الإنصات للموعظة والإقبال على الواعظ واجب، وأن الكلام عندها أو محادثة بعضهم بعضًا في مجمَعٍ يَعِظ فيه واعظٌ مذموم، وتهاونٌ بالموعظة ولهوٌ عنها، وفي ذلك زوال منفعتها وفهم ما أُودِع فيها.

القصاب، النكت الدالة على البيان (٢ ١٧٣)

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

١٧٩٨. ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ رُبَّ حربٍ وقودها جثثٌ وهام، أهاجها القبيح من الكلام.

ابن القيم، الطرق الحكمية (١ ١١١)

١٧٩٩. ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم، فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٠)

١٨٠٠. أربعة يدخلون الإسلام بسبب معاملة كفيلهم الحسنة (خبر صحفي). من تأمل القرآن المكي وجده مليئًا بالتأكيد على حسن الخلق، وأثره في كسب أتباع جدد للإسلام، وفي سورة

الإسراء وهي مكية: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، وسيرته ﷺ كانت ترجمة عملية لهذه الآية، فما أحوجنا وأحوج من نعاملهم -من كبير وصغير وخادم- إلى هذا الهدي القرآني.

من مشاركات المتدبرين

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾

١٨٠١. جمع الله تعالى المقامات الثلاث (الحب والخوف والرجاء) في هذه الآية، فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرُّب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٣ / ٨٥١)

١٨٠٢. ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ / ٨٩)

١٨٠٣. ذكر خوف العذاب بعد رجاء الرحمة للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم، فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالًا له وخوفًا من غضبه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ١٤٠)

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾

١٨٠٤. ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ قال قتادة ﷺ: «إن الله يخوِّف الناس بما شاء من آياته لعلهم يعتبرون أو يذكرون أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس؛ إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه».

تفسير الطبري (١٤ / ٦٣٨)

١٨٠٥. ثم يحزنك أن البعض يسعى لتهوين هذه الظواهر التي يخوِّف الله بها عباده، بربطها بعوامل جيولوجية وأسباب مادية، في تهميشٍ غريبٍ للسبب الشرعي الذي دلَّ عليه قول مرسل هذه الآيات: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾، فأين هؤلاء من هذا الحصر: ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾؟!

من مشاركات المتدبرين

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

١٨٠٦. ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ يدخل في هذا كلُّ داعٍ إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، يدخل فيه كل راكبٍ وماشٍ في معصية الله، فهو من خيل الشيطان ورجله.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٢)

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

١٨٠٧. إذا رأينا للشيطان علينا غلبة وسلطانًا فلنتحقق من عبوديتنا لله تعالى.

أنس العمر

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

١٨٠٨. الآية دالةٌ على أن القبيح يعظُم قُبحُه بمقدار عِظَم شأن مرتكبه وارتفاع منزلته، وعلى أن أدنى مداهنةٍ للغواة مضادةٌ لله وخروجٌ عن ولايته، فعلى من تلاها أن يتدبرها وأن يستشعر الخشية وعظيم التصلب في الدين.

البقاعي، نظم الدرر (١١ / ٤٨٩)

١٨٠٩. حين تقرأ في كتاب الله ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ تستشعر سخافةَ موقف من يأمن الثبات على دينه لأن الله رزقه عقلًا وفهمًا!

د. فهد العجلان

١٨١٠. ليس بين العَبد والزَّيغ إلَّا أن يتخلَّى اللهُ ﷻ عن حِفظه.

د. عبد الله السلامة

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

١٨١١. قيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة؛ قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾، فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود، وهو أعلى درجاته.

ابن رجب، اختيار الأولى (ص: ٨٧)

١٨١٢. في هذا تنبيهٌ للمؤمنين على حسن عاقبة القائمين لربهم في جُنْح الليل، وما يكون لهم من مقامات عند ربهم على حسب منازلهم، فكما كان المؤمنون ملحقين بنبيهم ﷺ في مشروعية هذه العبادة، كذلك هم ملحقون به في حُسْن الجزاء عليها.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٤١)

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾

١٨١٣. هذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلًا في أمرٍ وخارجًا من أمرٍ، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد أُدخِل مُدخَل صدقٍ وأُخرِج مُخرَج صدق.

ابن القيم، حادي الأرواح (ص: ١٠١)

١٨١٤. ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ قال قتادة ﷺ: «إن نبي الله عَلِمَ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانًا نصيرًا لكتاب الله ﷻ ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمةٌ من الله جعلها بين أظهُر عباده؛ لولا ذلك لأغار بعضهم على بعضٍ فأكل شديدهم ضعيفهم».

تفسير الطبري (١٥ / ٥٩)

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

١٨١٥. قال أويس القرني: «لم يجالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادةٍ أو نقصان، قضاءُ الله الذي قضى» ثم قرأ هذه الآية.

المستدرك للحاكم (٣٣٨٦)

١٨١٦. يقول أحدهم: ابتُلِيت بعشقٍ محرم، تشتَّت معه قلبي وأهملت بسببه طلب العلم، فسألت أحد المشايخ فأوصاني بثلاث وصايا لم أنفذ منها إلا واحدة، وهي وصيته لي بأن أقرأ القرآن بتدبُّرٍ وطلب شفاء القلب من داء العشق، ففعلت هذا، فو الله الذي لا إله غيره إني كرهت العشق وبدأت أهتم بالعلم، وتحسنت نفسيتي.

من مشاركات المتدبرين

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

١٨١٧. سئل مجاهد ﷺ عن رجلين: قرأ أحدهما البقرة، وقرأ الآخر البقرة وآل عمران، فكان ركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء؛ أيهما أفضل؟ قال: «الذي قرأ البقرة»، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾.

مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٥٦)

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

١٨١٨. قال عبد الأعلى التيمي ﷺ: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه خليقٌ أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه، لأن الله نَعَتَ العلماء» ثم قرأ هذه الآيات.

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٢٠٤)

١٨١٩. قال سفيان الثوري: «من أبكاه علمه فهو العالم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨﴾ [مريم:٥٨]».

تنبيه المغترين للشعراني (ص: ١٥٨)

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾

١٨٢٠. ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ أمرٌ بتعظيم الله تعظيمًا مؤكدًا من غير تعيين لما يعظِّمه به، إشارةً إلى أنه مما لا تسعه العبارة، ولا تفي به القوة البشرية، وإنْ بالغ في التنزيهِ بما مرَّ من الآيات والتحميدِ بحمده، واجتهد في العبادة المفهومة من ذِكر الصلاة قبلَه، فلم يبق إلا الوقوف بأقدام المذلة في حضيض القصور.

الشهاب الخفاجي، عناية القاضي (٦ / ٧٠)

١٨٢١. الذي نستفيده من الناحية المسلكية في هذه الآية أن الإنسان يشعر بكمال غنى الله ﷻ عن كل أحد، وانفراده بالملك، وتمام عزته وسلطانه، وحينئذٍ يُعظِّم الله ﷻ بما يستحق أن يعظَّم به، بقدر استطاعته.

ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (١ / ٣٥٩)

سورة الكهف

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾

١٨٤٢. قوله ﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا لا ميل فيه ولا زيغ، وعليه، فهو تأكيدٌ لقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾، لأنه قد يكون الشيء مستقيمًا في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاجٍ في حقيقة الأمر، ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة.

الشنقيطي، أضواء البيان (٣ ١٩٣)

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾

١٨٤٣. التعبير بالفعل المضارع لاستحضار صورة خروجها من أفواههم تخييلًا لفظاعتها، وفيه إيماءٌ إلى أن مثل ذلك الكلام ليس له مصدر غير الأفواه، لأنه لاستحالته تتلقاه وتنطق به أفواههم وتسمعه أسماعهم ولا تتعقله عقولهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ٢٥٢)

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾

١٨٤٤. هذه حقيقة الدنيا؛ قد جلاها الله لنا كأنها رأي عين، وحذَّرنا من الاغترار بها، ورغَّبنا في دارٍ يدوم نعيمها ويسعد مقيمها، كلُّ ذلك رحمةً بنا، فاغتر بزخرف الدنيا وزينتها مَن نظر إلى ظاهر الدنيا دون باطنها.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٧٠)

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

١٨٢٥. طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشدًا مع كونه عملًا صالحًا، فما أكثر ما يُقصِّر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبيه، أو يورثه العُجب والكِبر!

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ٢٤٢)

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

١٨٢٦. أما تخصيص (الآذان) بالذِّكر فلأنها الجارحة التي منها عُظْمُ فساد النوم، وقلَّما ينقطع نوم نائمٍ إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نومٌ إلا مع تعطُّل السمع، ومِن ذِكر الأذن في النوم قوله ﷺ: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه»[1].

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٠)

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

١٨٢٧. معرفة الحق والاهتداء به ليس بطول التجربة، ولا بطول الأعمار، وذلك لأن قومهم قد يكون فيهم شيوخ ومُسِنُّون، ومع ذلك لم يهتدوا، وكانت الهداية لهؤلاء الفتية.

ابن جبرين، تفسير سورة الكهف (صوتي)

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

١٨٢٨. من ثمرة الإيمان أن أصبح الكهف الضيق الذي لا يعد للسكنى منشورًا بالرحمة والتهيئة والارتفاق؛ فاعلم أن الأمر كله لله، وأن الأمور بحقائقها، لا بما يراه أهل الدنيا منها.

من مشاركات المتدبرين

(١) أخرجه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤).

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾

١٨٢٩. إذا صدق العبد في فراره إلى الله وتعلقه به سخَّر له مخلوقاته! ألا ترى كيف سخَّر الشمس مشرقًا ومغربًا لهؤلاء الفتية.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾

١٨٣٠. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ الحكمة من ذلك: من أجل توازن الدم في الجسد، لأن الدم يسير في الجسد، فإذا كان في جانبٍ واحد أوشك أن ينحَرِم منه الجانب الأعلى، ولكن الله بحكمته جعلهم يتقلبون.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ٣٥)

١٨٣١. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ إذا كنتَ في رحمة الله، لاحقتك عنايتُه في أدقِّ تفاصيل حياتك؛ حتى في تقلُّبك في منامك!

د. عبد الله بلقاسم

١٨٣٢. ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ شملت كلبَهم بركتُهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذِكْر وخبر وشأن!

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ / ١٤٤)

١٨٣٣. انظر الفرق! كيف نسب الله -في سورة الكهف- الكلب إلى الفتية، لأنهم صالحون، بينما في سورة الفيل نسب أبرهة وجيشه إلى الفيل؛ لحقارتهم عند الله.

من مشاركات المتدبرين

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

١٨٣٤. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ تدل على أنه ينبغي كتمان السر الذي تَضُرُّ إذاعته، ضررًا عامًّا أو خاصًّا.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (ص: ٢١٠)

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

١٨٣٥. لم يأمنوا من أنفسهم عند الشدة الرجوعَ إلى الكفر!

ابن الوزير اليماني، ذخائر علماء اليمن (ص: ٢٧٠)

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

١٨٣٦. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ﴾ ولم يقل: رجمًا بالغيب، بل سكت، فهذا يدل على أن عددهم سبعة، وثامنهم كلبهم؛ لأن الله عندما أبطل القولين الأولين وسكت عن الثالث صار الثالث صوابًا.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ٤٢)

١٨٣٧. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ فيها إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي أن يستفتي من ليس أهلًا للإفتاء، حتى وإن زعم أن عنده علمًا، فلا تستفته إذا لم يكن أهلًا.

ابن عثيمين، تفسير الكهف (ص: ٤٤)

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

١٨٣٨. في إضافة الرب إلى الرسول ﷺ دليلٌ على أن ما أوحاه الله إلى رسوله من تمام عنايته به!

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ٥٦)

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

١٨٣٩. ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هل تدبَّرنا لمن وُجِّه هذا الخطاب؟ وكيف أن الذين طُولِب بصحبتهم أقل منه منزلة! بل وحذره من تركهم طلبًا لزينة الحياة الدنيا! إنه لَدرسٌ بليغ في بيان ضرورة مصاحبة الصالحين، والصبر على ذلك، وأن الدعوة إنما تقوم على يد من قويت صلتهم بربهم، ولو كان حظهم من الدنيا قليلًا!

أ. د. عمر المقبل

١٨٤٠. مَن لا يخاف الله لا تؤمَن غائلته، ولا يُوثَق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين (٢ / ١٧١)

١٨٤١. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ جعل الأمر محصورًا بين أمرين: اتِّباع الذِّكر، واتِّباع الهوى!

الشاطبي، الاعتصام (١ / ٦٩)

١٨٤٢. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ في هذه الآية إشارةٌ إلى أهمية حضور القلب عند ذكر الله، وأنَّ الإنسان الذي يذكر الله بلسانه لا بقلبه تُنزع البركة من أعماله وأوقاته، حتى يكون أمره فُرطا عليه، تجده يبقى الساعات الطويلة ولم يُحَصِّل شيئًا، ولكن لو كان أمره مع الله لحصلت له البركة في جميع أعماله.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ٦٢)

١٨٤٣. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ لم يقل: لا تطع من أسكتنا لسانه، بل قال: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾، وما أكثر ذكرنا باللسان مع غفلة الجَنَان، وهذا لا شك أنه يَنقُص الثواب، وينقص الآثار المترتبة على الذكر مثل صلاح القلب، والاتجاه إلى الله، والإنابة إليه، وغير ذلك.

ابن عثيمين، تفسير السور من الحجرات إلى الحديد (ص: ٤٠٣)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

١٨٤٤. لم يقل: إنَّا لا نضيع أجرهم، ولكن قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾، وذلك لبيان العلة في ثواب هؤلاء، وهو أنهم أحسنوا العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ٦٤)

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾

١٨٤٥. جميع أصحاب قصص سورة الكهف خرجوا وغيَّروا مكانهم فنجحوا إلا صاحب الجنتين، أسره ماله وانكفأ على نفسه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، فكان الخاسر الوحيد.

د. عويض العطوي

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

١٨٤٦. من أعجب العجَب؛ أن يعتقدَ إنسانٌ أنَّ له عندَ الله مكانةً وحُسنَ عاقبة، وهو مقيمٌ على معصيته، نافرٌ عن طاعته!

فهد العيبان

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾

١٨٤٧. كان عروة بن الزبير إذا رأى من ماله شيئًا يعجبه أو دخل حائطًا من حيطانه قال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

الأسماء والصفات للبيهقي (١ ٤٤٨)

١٨٤٨. قال ابن هبيرة عند هذه الآية: ما قال: (ما شاء الله كان)، ولا (يكون)، بل أطلق اللفظ ليَعُمَّ الماضي والمستقبل والراهن.

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ ١٤٣)

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠﴾

١٨٤٩. فيه الدعاء بتلف مالِ مَن كان مالُه سببَ طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصًا إنْ فضَّلَ نفسَه بسببه على المؤمنين، وفخَرَ عليهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٧٧)

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾

١٨٥٠. قالت الحكماء: إنما شبَّه تعالى الدنيا بالماء، لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على رجلٍ واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة، كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحدٌ أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحدٌ دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدَرٍ كان نافعًا مُنبِتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًّا مُهلكًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٤١٢)

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

١٨٥١. قال علي بن أبي طالب ﷺ: «المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام».

معالم التنزيل للبغوي (٥ / ١٧٤)

١٨٥٢. إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا، لأن في المال جمالًا ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا، فصارا زينة الحياة الدنيا، لكن مع قرينة الصفة للمال والبنين، لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تُتْبِعُوهما نفوسكم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٤١٣)

١٨٥٣. تقديم المال على البنين في الذِّكْر، لأنه أسبق خُطُورًا لأذهان الناس، لأنه يَرغَب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومَن له من الأولاد ما قد كفاه!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ٣٣٣)

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

١٨٥٤. قال عون بن عبد الله ﷺ: «ضَجَّ واللهِ القوم من الصغار قبل الكبار».

التمهيد لابن عبد البر (٢ / ٨٤)

١٨٥٥. قال قتادة ﷺ: «اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحدٌ ظلمًا، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه».

تفسير الطبري (١٥ / ٢٨٤)

١٨٥٦. من عشرين عامًا كلما قرأت هذه الآية أشعر أنني أنا المخاطب بها، وأحاول استعراض ما فعلت في الأسبوع، وأعلم أن السيئات كُتبت ورُفعت إلى يوم الحساب، ولن ينجيني سوى كثرة الاستغفار والتوبة.

من مشاركات المتدبرين

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

١٨٥٧. يشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوعٌ من العتاب لطيفٌ عجيب! وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة!

ابن القيم، الجواب الكافي (ص: ٨٣)

١٨٥٨. تحت هذا الخطاب: إني عاديت إبليس، وطردته من سمائي، وباعدته من قُربي؛ إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بَنِيه توالونه وذريته من دوني وهم أعداء لكم، فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه الأرواح، وأكثر القرآن جاء على هذا النمط، من خطابه لعباده بالتودد والتحنن واللطف والنصيحة البالغة.

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ١٣٤)

١٨٥٩. ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ أي: بدل ولاية لله ﷻ بولاية إبليس وذريته، وذلك هو التعوُّض من الحق بالباطل، وهذا هو نفس الظلم، لأنَّه وضع الشيء في غير موضعه.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣ / ٥٢٢)

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

١٨٦٠. فإذا رأى المجرمون النار تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم، فإن توقعَ العذاب والخوفَ منه قبل وقوعه عذابٌ ناجز!

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ / ١٧١)

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

١٨٦١. من الحكمة في ذكر قصة موسى والخضر بعد قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ﴾ ما ذكره الطبري ﷺ في قوله: «هذه القصص التي أخبر الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ بها عن موسى وصاحبه تأديبٌ منه له، وتقدُّمٌ إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه، وإعلامٌ منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحيانًا لأوليائه، فإن تأويله صائرٌ بهم إلى أحوال أعدائه فيها، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعةً بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى؛ إذ لم يكن عالمًا بعواقبها، وهي ماضيةٌ على الصحة في الحقيقة وآيلة إلى الصواب في العاقبة، ينبئ عن صحة ذلك قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾، ثم عَقَّب ذلك بقصة موسى وصاحبه».

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥ / ٣٦٧)

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

١٨٦٢. في قصة موسى والخضر جاء وصف رجوع الحوت إلى البحر في سياق إخبار الله: ﴿سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾، وفي وصف الفتى: ﴿عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾، لعلَّ ذلك لأن الوصف الأول هو وصف الله سبحانه للأمر. وخروج السمكة حية بعد أن كانت ميتة ودخولها في البحر أمرٌ هيِّنٌ ويسيرٌ على الخالق، أما بالنسبة لمخلوق كغلام موسى، فإنَّه أمرٌ في غاية العجب، لذلك قال: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾.

د. عويض العطوي

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

١٨٦٣. في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ دليلٌ على اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو ردٌّ على الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون الصحاري والقِفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار؛ هذا موسى نبيُّ الله وكليمُه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ ١٣)

١٨٦٤. في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ دليلٌ على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء، لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ ١٤)

١٨٦٥. الله قديرٌ على أن يجمع موسى بالخضر بلا نَصَبٍ ولا سفر، لكن طريق العلم طريق التعب والتضحيات!

د. عبد الله بلقاسم

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

١٨٦٦. عندما اختار الله معلمًا لنبيه موسى ﷺ مدح هذا المعلم بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾، فقدَّم الرحمة على العلم ليدل على أن من أخص صفات المعلم الرحمة، وأن هذا أدعى لقبول تعليمه والانتفاع به.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

١٨٦٧. قال قتادة ﷺ: «إنه لا يزال الرجل عاقلًا ما دام يطلب العلم، فإذا رأى أنه قد اكتفى فهو جاهل، وذلك أنه لو اكتفى أحدٌ من العلم لاكتفى موسى كليم الله؛ إذ يقول: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾».

الفوائد والأخبار لابن حمكان (ص: ١٣٨)

١٨٦٨. ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ فيها دليلٌ على أنَّ المتعلم تبعٌ للعالم، ولو تفاوتت المراتب.

ابن العربي، أحكام القرآن (٣ / ٢٤٠)

١٨٦٩. ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ بدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، وقال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ فلم يجئ مُـمتحِنًا ولا مُتعنِّتًا، وإنما جاء مُتعلِّمًا مُستزيدًا علمًا إلى علمه، وكفى بهذا فضلًا وشرفًا للعلم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ / ٥٦)

١٨٧٠. فيها من الفوائد: التأدب مع المعلم، وخطابُ المتعلم إياه ألطفَ خطاب، لقول موسى ﷺ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه ذو الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدَّعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يُعلِّم مُعلِّمه وهو جاهلٌ جدًّا، فالذُّلُّ للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨٣)

١٨٧١. تأمل هذا الأدب من موسى ﷺ مع أن موسى أفضل منه، وكان عند الله وجيهًا!

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ١١٣)

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾

١٨٧٢. مَن ليس له قوة الصبر على صُحبة العالم والعلم وحسن الثبات على ذلك يفوته بحسب عدم صبره كثيرٌ من العلم، فمَن لا صبر له لا يدرك العلم، ومَن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمرٍ سعى فيه، لقول الخضر يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه: إنه لا يصبر معه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨٤)

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

١٨٧٣. لا ينبغي لطالب العلم أن يطلب علمًا دقيقًا لم يتهيأ له بأدواته، فلن يصبر عليه، إنما العلم مراحل.

د. محمد الربيعة

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

١٨٧٤. من أعظم ما يحتاجه طالب العلم مع شيخه: الصبر في طلبه، والأدب مع شيخه، وقد جمعها الله في قول موسى ﷺ للخضر: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾.

د. محمد الربيعة

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

١٨٧٥. قلوب المؤمنين مجبولةٌ على إنكار المنكر، وغير مالكةٍ للصبر على احتماله، لأنَّ موسى ﷺ وعد الخضر أن يصبر على ما يراه منه، فلما رأى ما رأى أنكره عليه.

القصاب، النكت الدالة على البيان (٢ / ٢١٥)

١٨٧٦. قال بعض أهل العلم في قول موسى ﷺ للخضر حين خرق السفينة: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: «لم يقل: لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كُلُّ أحدٍ فيها يقول: نفسي نفسي؛

لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نُصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم».

محاسن التأويل للقاسمي (٧ ٥٤)

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

١٨٧٧. من لطائف الاستنباط: قال بعض الناس: كان الغلام لم يبلغ الحلم، ولذلك قال موسى: ﴿زَكِيَّةًۢ﴾؛ أي: لم تذنب، وقالت فرقة: بل كان بالغًا شابًّا، والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام، وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان عن قتل نفسٍ لم يكن به بأس، وهذا يدل على كِبَر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفسٍ ولا بغير نفس.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣ / ٥٦١) مختصر

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

١٨٧٨. قال الخضر لموسى ﷺ في قصة خرق السفينة: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾، ثم قال مرةً ثانية في قصة قتل الغلام: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾؛ للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لزيادة ﴿لَّكَ﴾ في هذا القول الثاني. والجواب: «كان إنكار موسى على الخضر في قصة قتل الغلام أشد، فرد عليه الخضر ردًّا أقوى ليناسب إنكاره».

عبد العزيز الراجحي، شرح تفسير ابن كثير (صوتي)

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

١٨٧٩. كيف قال في الأولى: ﴿فَأَرَدتُّ﴾، وفي الثانية: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، وفي الثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، وما وجه كل واحدة في هذه الألفاظ؟ قلت: إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى، فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهًا على أنه لم يُقدِم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية، ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله ﷻ لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله ﷻ.

الخازن، لباب التأويل (٣ / ١٧٤)

١٨٨٠. في الآيات من الفوائد: استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وأما الخير فأضافه إلى الله، لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٨٠]، وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن:١٠]، مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨٥)

١٨٨١. قال مُطَرِّف بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾: «إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم وُلد، وحزنا عليه يوم قُتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فليرض رجلٌ بما قسم الله له، فإن قضاء الله للمؤمن خيرٌ من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خيرٌ من قضائه لك فيما تحب».

الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٤٢٩)

١٨٨٢. يستفاد من هذه الآية: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعًا من الأكباد. ومَن سلَّم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣٧)

١٨٨٣. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ لعله من الاستبشار بهذه الآية الكريمة ما ذكره خيثمة بن عبد الرحمن: «طوبى للمؤمن! كيف يُحفظ في ذريته من بعده؟!»

مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٦٧)

١٨٨٤. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ خدمة الصالحين أو من يتعلق بهم أفضل من غيرها، لأنه علل استخراج كنزهما وإقامة جدارهما أن أباهما صالح.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨٥)

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

١٨٨٥. تأمل في حال المشرك؛ بدأ بتعذيبه، ثم ثنَّى بتعذيب الله، والمؤمن؛ بدأ بثواب الله أولًا، ثم بالمعاملة باليُسر ثانيًا، والفرق ظاهر، لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، والوصول إلى الجنة لا شك أنه أفضل وأحب إليه من أن يقال له قول يُسر، وأما الكافر فعذاب الدنيا سابقٌ على عذاب الآخرة وأيسر منه فبدأ به، وأيضًا فالكافر يخاف من عذاب الدنيا أكثر من عذاب الآخرة، لأنه لا يؤمن بالثاني.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ١٢٩)

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

١٨٨٦. هموم القائد ليست متوجهة إلى مالٍ يثري به حسابه الشخصي، وانما إلى رجال يشاركون في بناء أمتهم ويشعرون بضرورة المساهمة في التغيير.

د. مشعل الفلاحي

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

١٨٨٧. قال تعالى في عرض النار على الكفار: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠﴾، وقال تعالى في عرض الكفار على النار: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الآية [الأحقاف:٢٠]، «عُلِم من هذه الآيات أن النار تُعرض عليهم ويُعرَضون عليها، لأنها تُقرَّب إليهم ويُقرَّبون إليها».

الشنقيطي، أضواء البيان (٣ ٣٤٧)

١٨٨٨. ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠﴾ وجاءت كلمة ﴿عَرْضًا ۝١٠٠﴾ نكرة، والمعنى: عرضًا عظيمًا تتساقط منه القلوب، ومن الحكم في إخبار الله ﷻ بذلك: أن يُصلِح الإنسان ما بينه وبين الله، وأن يخاف من هذا اليوم، وأن يستعد له، وأن يصوِّر نفسه وكأنه تحت قدميه.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف (ص: ١٤٠)

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾

١٨٨٩. كم من راكعٍ وساجد، وناسكٍ وعابد، يظن أنه مقبلٌ على الله وهو هارب منه، وسائرٌ إليه وهو راحل عنه! وذلك لسوء قصده وخبث طويَّته وفساد سريرته، فمنهم من يشعر بذلك لكنه يتعامى عنه، ومنهم من يخفى عنه ذلك لعِظَم جهالته وفرط غباوته ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾، فالسعيد كل السعد من جعل الكتاب والسنة دليله، فلن يضل من اهتدى بهما.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (ص: ٣٠٦)

١٨٩٠. الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة لأخذ الناس بالأول فالأول، فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول، فهي إن لم تصح في العقل فلن يجدي فيه الصنيع الحسن والعمل الطيب.

د. صالح بن حميد

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾

١٨٩١. فإن قيل: قد عُلم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حولًا؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنًى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

ابن الجوزي، زاد المسير (٣ / ١١٤)

١٨٩٢. اعتبر حال أهل الدنيا في قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾، فتجد الإنسان يتمنى (شقة)، فإذا ملكها تمنى (بيتًا)، فإذا ملكه تمنى (قصرًا)، وهكذا، أما أهل الجنة فقد اكتملت لهم السكنى في الجنة، فلا يريدون أن يتحوَّلوا عما هم فيه.

أ. د. مساعد الطيار

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾

١٨٩٣. أيُّ سِعَةٍ وعظمةٍ تصوَّرتْها القلوب، فالله فوق ذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨٨)

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾

١٨٩٤. إذا قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ﴾ علمنا بطريق القياس أنه بشرٌ كالبشر، لكن قال: ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾: لا أتميز عليكم بشيء إلا بالوحي: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢ / ٢٣)

سورة مريم

١٨٩٥. تكرر في سورة (مريم) صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذُكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦ ٥٩)

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾

١٨٩٦. قال قتادة: «إن الله يعلم القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي».

تفسير الطبري (١٥ ٤٥٣)

١٨٩٧. إخفاءُ الدعاء والإسرارُ بالمسألة مناجاةٌ للرب، وإيمانٌ بأن الله سميع، وذلٌّ واستكانة، وسنةٌ من سنن المرسلين.

د. عبد الله السكاكر

١٨٩٨. أنتَ لا تحتاج لرفع صوتك أثناء الدعاء، فهمسةٌ منك يسمعها سبحانه!

من مشاركات المتدبرين

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾

١٨٩٩. وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وَهَن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وَهِن كان ما وراءه أوهن.

الزمخشري، الكشاف (٣ / ٤)

١٩٠٠. ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي: أسرع فيه الشيب إسراع النار في الحطب، وهو من أبلغ الاستعارات، ولم يكتفِ بالاستعارة حتى أسند الاشتعال إلى الرأس، وأخرج الشيب تمييزًا؛ مبالغةً في ذلك، والأصل: اشتعل شيبُ الرأس!

السمين الحلبي، عمدة الحفاظ (٢ / ٢٧٧)

١٩٠١. قال سفيان بن عيينة في قول زكريا ﷺ: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾: «يقول: سعدت بدعائك وإن لم تعطني».

الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٤٨٠)

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾

١٩٠٢. قال بعض أهل العلم: «سأله نسلًا يورِّثه علمَه، لا مَن يورِّثه مالَه، فأعراضُ الدنيا أهون عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها».

الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص: ١٧٨)

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

١٩٠٣. إذا رفعتَ يديك تسأله تفريج الكُربة فحاصرك سؤالُ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي﴾! فاملأ شغاف قلبك من: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾!

سليمان العبودي

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

١٩٠٤. حُبِس زكريا عن الكلام فدعا بالإشارة. الداعية لا يتوقف؛ إن أُغلقَ في وجهه بابٌ، فَتَح بابًا آخر!

محمد الغزير

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

١٩٠٥. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ قال ابن عباس: «ذلك أنه مرَّ على صبيةٍ يلعبون على شاطئ نهرٍ بطِينٍ وبماءٍ فقالوا: يا يحيى؛ تعال حتى نلعب، فقال: سبحان الله! أوَللعبِ خُلقنا؟!»

تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٤/ ١٧١)

١٩٠٦. اللعب ليس محرمًا على الإطلاق، لكن من نِعَم الله على العبد أن يدرك عِلَّة خلقه مبكِّرًا.

من مشاركات المتدبرين

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾

١٩٠٧. ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ حجابًا يحجبها عن عبّاد بيت المقدس، فما بال بعض بناتنا لا تتخذ حجابًا حتى عن الفساق؟!

د. عبد المحسن المطيري

١٩٠٨. ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ فإن قيل: إنما يُستعاذ بالرحمن من الشخص إذا كان فاجرًا، فأما إذا كان متقيًا فلا يكون محل الاستعاذة منه، لأنه لا يُقدِم على الفجور، والجواب عنه: أن هذا كقول القائل: إن كنتَ مؤمنًا فلا تظلمني، يعني أنه ينبغي أن يكون إيمانُك مانعًا من الظلم.

تفسير السمعاني (٣/ ٢٨٣)

١٩٠٩. ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ المتقي إنما يكون متقيًا إذا أشرف على محارم الله تعالى ولا يهتك حرمته فيها، وفائدة هذا الأسلوب الانزجار على الوجه الأبلغ، ولا يُسلك إلا بمن يدعي أنه متصفٌ بتلك الصفة.

الطيبي، فتوح الغيب (٩ ٥٨٩)

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

١٩١٠. لـمَّا قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال؛ استسلمت لقضاء الله تعالى.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ ٢٢١)

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

١٩١١. الله جل وعلا قادر على أن يُسقِط لها الرُّطب من غير هز الجذع، ولكنه أمرها بالتسبب في إسقاطه بهز الجذع، وقد قال بعضهم في ذلك:

ألـــم تـــر أن الله قـــال لمـريـم ... وهـزي إليك الجـذع يساقط الرطب

ولـو شـاء أن تجنيه مـن غـير هزه ... جنته ولـكـن كل شيء له سبب

الشنقيطي، أضواء البيان (٣ ٣٩٩)

١٩١٢. قصة مريم فيها كرامة من عدة أوجه:

» ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾، والهزُّ بجذع النخلة لا يتأتى، بل إنه صعب، فإن الرجل القوي إذا صعد إلى أعلاها وهزها تهتز، لكن إذا هزها من أسفل لا تهتز، لكن مريم قيل لها: هزي بجذع النخلة وهي نفساء، والمرأة النفساء عادةً تكون ضعيفة، فهزت فاهتزت النخلة، وهذه كرامة.

» ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ يعني مخروفة بيسر، والعادة أن الرُّطب إذا تساقط من فوق النخلة فإنه يفسد ويتفضَّخ، لكنه في شأنها بقي رُطبًا جنيًّا، وهذه كرامة.

ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية (ص: ٥٤١) بتصرف

١٩١٣. ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ قال الربيع بن خثيم: «ما للنفساءِ عندي خيرٌ من الرطب».

تفسير البغوي (٥ ٢٢١)

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾

١٩١٤. أمرها الله تعالى بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع من اتهمها في الكلام لمعنيين:

أحدهما: أن كلام عيسى ﷺ أقوى في إزالة التهمة من كلامها، وفيه دلالة على أن تفويض الأمر إلى الأفضل أولى.

والثاني: كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومِن أذلِّ الناس سفيهٌ لم يجد مسافهًا.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢١ ٥٢٩)

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾

١٩١٥. كذبت النصارى فيما يقولون، فأول ما تكلَّم به الصبي أنه أقر لله ﷻ بالعبودية.

تفسير مقاتل بن سليمان (٢ ٦٢٦)

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾

١٩١٦. إن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حَلَّ، ونصحُه لكل من اجتمع به؛ قال الله تعالى إخبارًا عن المسيح: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ أي: مُعَلِّمًا للخير، داعيًا إلى الله، مذكِّرًا به، مرغبًا في طاعته.

رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٥)

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾

١٩١٧. عن العوام بن حوشب قال: «إنك لا تكاد تجد عاقًّا إلا تجده جبارًا»، ثم قرأ هذه الآية.

الدر المنثور للسيوطي (٥ ٥٠٩)

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾

١٩١٨. ذَكَر المواطن التي خصَّها، لأنها أوقات حاجة الإنسان إلى رحمة الله.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٤ / ١٥)

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾

١٩١٩. يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، وحسرتهم، وأُورثت مساكنهم من الجنة، وأدخلوهم النار، وأيقنوا بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها من حسرةٍ وندامة!

الطبري، جامع البيان (١٥ / ٥٤٤)

١٩٢٠. عندما يفقد أحدنا عزيزًا عليه: شخص، مال،... إلخ؛ فإنه غالبًا يصاب بحالة من الحزن والهم، فكيف بمن يخسر الدنيا والآخرة: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾؟!

من مشاركات المتدبرين

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾

١٩٢١. لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ فذكر الخوف والمس، وذكر العذاب، ونَكَّره، ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه، ولهذا ذكر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ولم يذكر (المنتقم) ولا (الجبار).

الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٣ / ٣٨١)

١٩٢٢. شفقتك على من تحب تدعوك أن تخاف عليه مما يضره في دينه أكثر مما يضره في دنياه، وأمعن النظر في قول إبراهيم ﷺ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

د. فهد العجلان

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾

١٩٢٣. قال الحسن البصري ﷺ: «من كان له واعظٌ من نفسه كان له من الله حافظ، فرَحِمَ اللهُ مَن وعظ نفسه وأهله فقال: يا أهلي صلاتكم صلاتكم! زكاتكم زكاتكم! جيرانكم جيرانكم! مساكينكم مساكينكم! لعل الله أن يرحمكم يوم القيامة، فإن الله ﷻ أثنى على عبدٍ كان هذا عمله فقال: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾».

النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١ / ٥٠٦)

١٩٢٤. ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ لا تُفوِّض هذه المهمة لأحدٍ وقد مَدَح الله بها الأنبياء.

د. عبد الله بلقاسم

١٩٢٥. ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ مَن هذا الأب الموفق الذي يريد أن يكون عند ربه مرضيًّا؟ من أراد ذلك فليعِظ أبناءه كلما أذن أذانٌ للصلاة.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾

١٩٢٦. عن أبي معمر أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ سورة مريم، فلما قرأ آية السجدة سجد ثم قال: «هذا السجود فأين البكاء؟».

شعب الإيمان للبيهقي (٣ / ٤١٥)

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾

١٩٢٧. اتبعوا الشهوات بمعنى: أرادوها وصارت هي همَّهُم، وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها، فلذلك قال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ ولم يقل: (تناولوا وأكلوا) ونحوه لهذا المعنى.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص: ٧٩)

١٩٢٨. ما تفرَّغ أحد لطلب عيش الأجساد وأعطى نفسه حظها من ذلك إلا ونقص حظه من عيش الأرواح، وربما مات قلبه من غفلته عن الله وإعراضه عنه، وقد ذم الله من كان كذلك؛ قال الله ﷻ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾.

ابن رجب، شرح حديث لبيك اللّٰهُمَّ لبيك (ص: ٧٠)

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

١٩٢٩. هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فتأملها؛ قال ابن تيمية ﷺ: «القرآن ملآن من توحيد الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء، فلا يُمثَّل به شيء من المخلوقات في شيء من الأشياء؛ إذ ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه؛ قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾».

مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٦٦)

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ﴾

١٩٣٠. لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فبكى أهل بيته لبكائه، فلما انقطعت عَبْرَته قال: يا أهلاه! ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري!

ولكن رأيناك بكيت فبكينا! قال: إنه أُنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبئني فيها ربي أنِّي واردٌ النار، ولم ينبئني أني صادرٌ عنها، فذلك الذي أبكاني.

الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ١٠٤)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

١٩٣١. أخبر أن الذين أهلكهم قبلهم كانوا أحسن صُورًا وأحسن أثاثًا وأموالًا، ليُبيِّن أن ذلك لا ينفع عنده ولا يعبأ به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٢ ١٢٧)

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

١٩٣٢. ما عَلَّق العبدُ رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذل.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١ ٢٩)

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

١٩٣٣. كان الحسن البصري يعظ فيقول: «المبادرة عباد الله، المبادرة! فإنما هي الأنفاس؛ لو قد حُبِسَت انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى الله ﷻ! رَحِمَ اللهُ امرأً نظر إلى نفسه وبكى على ذنوبه»، ثم قرأ الحسن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ ثم بكى وقال: «آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك»!

قِصَر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٦)

١٩٣٤. يستشكل بعض الناس إمهال الله تعالى الزنادقة والملحدين وعدم معاجلتهم بالعقوبة، وجواب ذلك: أن له جلَّ وعلا حِكَمًا عظيمة في ذلك، منها زيادة آثامهم، لتزداد عقوبتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ

عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

د. إبراهيم الحميضي

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾﴾

١٩٣٥. ما أعظمه من حشر، وما أعظمه من أجر، وما أكرمه من وفد! اتقوا ربهم فقادتهم التقوى إلى الرحمن وفدًا؛ لم يقل: (إلى الجنة)، بل قال: ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾﴾. الحشرُ إلى الرحمن حشرٌ إلى الجنة وزيادة.

أ. د. فهد الرومي

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾

١٩٣٦. إنما قيل: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ وهو خطاب للغائب لفائدةٍ حسنة، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه، وتنبيهٌ لهم على عِظَم ما قالوه، كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه مُنكِرًا عليهم ومُوبخًا لهم.

ابن الأثير، المثل السائر (٢ / ٥)

١٩٣٧. ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ فيه إشارة إلى أن قول الباطل قد يتسبب بمصائب الأرض.

د. محمد السعيدي

١٩٣٨. ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ فإذا كانت الجبالُ تنهدُّ غيرةً على التوحيد والإيمان، فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله ويرجو رحمته، فإنه أولى وأحرى.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾

١٩٣٩. قال ابن زيد: سمعت ابن المنكدر يقول: «ما أكثر مَن يلقاني فيدعو لي بالخير؛ ما أعرفهم وما صنعت إليهم خيرًا قط»، ثم قرأ ابن زيد هذه الآية.

الشكر لابن أبي الدنيا (ص: ٣٨)

١٩٤٠. قال قتادة: «ما أقبَلَ عبدٌ إلى الله إلا أقبَلَ الله بقلوب العباد إليه وزاده من عنده».

تفسير الطبري (١٥ / ٦٤٣)

١٩٤١. لـمَّا كمُلَت أخلاقهم وكمل إيمانهم بـحُسن الـخُلق جعل الله لهم المحبة في الـخَلق، لكن بماذا؟ بفضله سبحانه ثم بالإيمان.

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي

سورة طه

١٩٤٢. سورة (طه) تضمنت عددًا من المقاصد، لعل من أجلاها ذكر أصول السعادة، حيث ذُكر في مفتتحها قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾، ثم ذُكرت تفاصيل السعادة في تضاعيفها، كتوحيد الله والدعوة إلى سبيله والإكثار من ذكره، ثم أُجمِلت في آخرها: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾.

د. محمد الحمد، خواطر (ص: ٢٢٩)

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾

١٩٤٣. قال قتادة ﷺ: «لا واللهِ؛ ما جعله الله شقيًّا، ولكن جعله رحمةً ونورًا ودليلًا إلى الجنة».

تفسير الطبري (١٦ ٩)

١٩٤٤. ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ إنما الوحي والقرآن والشرع، شَرَعَه الرحيم الرحمن، وجعله موصلًا للسعادة والفلاح والفوز، وسَهَّله غاية التسهيل، ويسَّر كل طُرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٢)

١٩٤٥. كنت أمر بوضع صحي ونفسي واجتماعي سيئ، فسمعت أحد العلماء يفسر قول الله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾؛ فلما فرغ من برنامجه، فتحت المصحف،

وبدأت أقرأ باحثةً عن السعادة، فأُقْسِم بالله أنني ما أغلقت المصحف إلا وقد أحسست بها، فعرفت أننا فرطنا في هذا الكنز العظيم -الذي بين أيدينا- كثيرًا.

من مشاركات المتدبرين

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾

١٩٤٦. وصف السماوات بالعلا دلالةً على عِظَم قُدرةِ مَن يخلق مثلها في عُلوها وبُعد مرتقاها.

الزمخشري، الكشاف (٣ / ٥١)

١٩٤٧. عظَّم الله حال القرآن بأن نسبه إلى أنه تنزيلٌ ممن خلق الأرض وخلق السماوات على علوها، وإنما عظَّم القرآن ترغيبًا في تدبره والتأمل في معانيه وحقائقه، فإنه تعظُم الرسالة بتعظيم حال الـمُرسِل ليكون الـمُرسَل إليه أقرب إلى الامتثال.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٢ / ٧ - ٨) مختصر

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾

١٩٤٨. قال ابن عباس ﷺ: « ﴿ٱلسِّرَّ﴾: ما أسرَّ ابن آدم في نفسه، ﴿وَأَخْفَى ۝٧﴾: ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فالله يعلم ذلك، فعِلمُه فيما مضى من ذلك وما بقي: علمٌ واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفسٍ واحدة، وهو قوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]».

تفسير الطبري (١٦ / ١٣)

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾

١٩٤٩. ذِكْرُه تعالى أجلُّ المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذِكْرِ الله معطلٌ عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات التي المقصود منها إقامة ذِكْرِه، وخصوصًا الصلاة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٣)

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

١٩٥٠. إنما حذر الله تعالى عمَّن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله، وكون النفوس مجبولة على التشبه والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيهٌ وإشارةٌ إلى التحذير عن كل داعٍ إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٣)

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

١٩٥١. في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أدبٌ من آداب الدعاء، وهو نبل الغاية وشرف المقصد، وقريبٌ منه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشف عبدك فلانًا، ينكأْ لك عدوًّا، ويمشِ لك إلى صلاة»(١).

د. محمد الحمد، ارتسامات (ص: ٧)

١٩٥٢. في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ بيانٌ لمدى حاجة الداعية إلى انشراح الصدر حتى يتمكن من إيصال دعوته بأيسر كلفة، ولأجل أن يراه الناس على أكمل ما يكون من السرور، فتسري تلك الروح منه إلى المدعوين، فيتحقق مقصدٌ من أعظم مقاصد الدعوة ألا وهو الوصول إلى السعادة، أما إذا ضاق صدره وقل صبره فلن يقوم بعملٍ كبير، ولن يصدر عنه خيرٌ كثير.

د. محمد الحمد، ارتسامات (ص: ٩)

(١) رواه أبو داود (٣١٠٧) بلفظ: (أو يمشي لك إلى جنازة) ثم أشار إلى الرواية الأخرى فقال: وقال ابن السرح: (إلى صلاة).

١٩٥٣. جوّدْ عبارتك: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ فصاحة لسان الداعية إلى الدين والواعظ المنذر تعين على تدبُّر ما يقول وفِقهه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٣٥٣)

١٩٥٤. الاستعانة إذا كانت بأُولي القربى من أهل النسب أو التربية أو الصحبة القديمة كانت أكمل، لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة؛ قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾.

ابن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر (١ / ٢٩٣)

١٩٥٥. ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ لم يقل: نسبِّحك ونذكرك فقط، بل وصفها بالكثرة، فالذكر الكثير من أحب القربات إلى الله.

د. علي العمران

﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾

١٩٥٦. الماء خَلْقٌ من خَلق الله، أمره بإنجاء موسى: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾، وأمره بإغراق عدوه فرعون: ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، كل ذلك مع ما كان فيه موسى من أسباب الضعف، وما كان فيه فرعون من أسباب القوة، فسبحان من هذا تدبيره!

د. عويض العطوي

١٩٥٧. ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ أيُّ نَظَرٍ وكفالة أجل وأكمل من ولاية البَـرِّ الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده ودفع المضار عنه؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٤)

١٩٥٨. ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ موسى عليه السلام رُبِّـي على عين الله: لـمَّا التقطه آل فرعون حماه الله ﷻ من قتلهم، مع أنهم كانوا يقتلون أبناء بني إسرائيل، فقضى الله تعالى أن هذا الذي تُقتَل

الناسُ من أجله سيتربَّى في أحضان آل فرعون، فالناس يُقتلون من أجله، وهو يتربى آمنًا في أحضانهم، فانظر إلى هذه القدرة العظيمة!

ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (١ / ٣٢٠)

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾

١٩٥٩. إنَّ المعيَّة الربّانيَّة كانت حاصلةً مع الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه.

د. فريد الأنصاري، ميثاق العهد (ص: ٥٥)

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾

١٩٦٠. قال يحيى بن معاذ عند هذه الآية: «إلهي وسيدي؛ هذا رفقك لمن يزعم أنه إله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله»؟!

شعب الإيمان للبيهقي (٦ / ٢٨٧)

١٩٦١. ذُكِر أن بعضهم تلا هذه الآية فقال: «يا مَن يتحبب إلى مَن يعاديه، فكيف بمن يتولاه ويناديه!».

تفسير ابن كثير (٥ / ٢٩٤)

١٩٦٢. ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ كان اللين في الأسلوب والطريقة، ولم يكن في المضمون والعقيدة.

صالح المغامسي

١٩٦٣. لا يكفي أن يكون كلامك حقًّا، بل لابد من أسلوبٍ لطيف، ولفظٍ عفيف، وقَصْدٍ شريف.

فهد الحمد

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

١٩٦٤. النجاة والنصر بين ﴿لَا﴾ و ﴿كَلَّآ ۖ﴾: لما خاف موسى من أعدائه المخالفين، قال له ربه: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، ولما قال بعض أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ قال: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾. فلا نجاة ولا نصر إلا بقول: ﴿لَا﴾ للأعداء، وبقول: ﴿كَلَّآ ۖ﴾ لمن ضعف إيمانهم أو أصابتهم حمى التخذيل، فالمخذلون أحيانًا قد يؤثرون أكثر من الأعداء! فتأمل هذا، ثم اقرنه بحديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم»[1]؛ تعرف الطريق.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

١٩٦٥. الرسول تارةً يطابق ما يراد به، وتارة يُفرَد وإن أريد به غير الواحد، وقد جاء الاستعمالان في القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، وقال في موضعٍ آخر: ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء:١٦] كأنه التفاتٌ لأصل مصدريته.

السمين الحلبي، عمدة الحفاظ (٢ / ٩٠)

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾

١٩٦٦. فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين، وهذا شأن كل مبطل، ولهذا صار هذا ميزانًا في ورثته؛ يعارضون نصوص الأنبياء بأقوال الزنادقة والملاحدة وأفراخ الفلاسفة والصابئة والسحرة ومبتدعة الأمة وأهل الضلال منهم.

ابن القيم، شفاء العليل (ص: ٧٩)

(١) رواه مسلم (١٩٢٠).

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾

١٩٦٧. يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا تبارك وتعالى وتقدَّس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصٌ من وجهين: أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء. والآخر: نسيانه بعد علمه. فنزَّه نفسه عن ذلك!

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ ٢٩٨)

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾

١٩٦٨. تأمَّل قوله: ﴿كُلَّهَا﴾؛ لتستبينَ أنَّ خصومةَ الطغاةِ والمنافقين مع الدينِ نفسه، لا بسبب خفاء الحقِّ وبراهينِه وحُججه!

أ. د. عمر المقبل

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾

١٩٦٩. هكذا شأن الأنبياء؛ كل أمرهم واضحٌ بَيِّن، ليس فيه خفاء ولا ترويج، ولهذا لم يقل: ليلًا، بل: نهارًا ضحًى!

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ / ٣٠٠)

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

١٩٧٠. عَرَفَ السَّحَرَةُ أهميةَ جمع كلمتهم فتنادوا لذلك، فالمصلحون أولى أن يجتمعوا.

د. عبد المحسن المطيري

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

١٩٧١. ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وهو يعلم -وكل من له لُبٌّ- أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل، فإن موسى ﷺ بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون إلى الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل، وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك. وموسى ﷺ لا يعرف أحدًا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تسترًا وتدليسًا على رَعاع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤]، فإن قومًا صدقوه في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] من أجهل خلق الله وأضلهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤٥٨) مختصر

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾

١٩٧٢. لـمَّا تمكَّن الإيمان من قلوبهم علموا أن عقوبة الدنيا أسهل من عقوبة الآخرة وأقل بقاء، وأن ما يحصل لهم في الآخرة من ثواب الإيمان أعظم وأنفع وأكثر بقاء.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٤ / ١٣٨٩)

١٩٧٣. هذه حال السَّحَرَة؛ لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل النفوس وقالوا لفرعون: (اقض ما أنت قاض)، ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب.

ابن رجب، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص: ٣٤)

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

١٩٧٤. ومن أعجب ما ظاهِرُه الرجاء وهو شديد التخويف قولُه تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾، فإنه علَّق المغفرة على أربعة شروط يبعُد تصحيحها.

المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٠٨)

١٩٧٥. أسباب المغفرة كلها منحصرة في هذه الأشياء؛ فإن التوبة تـجُبُّ ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات يُذهِب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها (من تعلُّم علمٍ، وتدبُّر آيةٍ أو حديث، ...) كلها مكفرات للذنوب، محصلات لغاية المطلوب.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٠) مختصر

﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

١٩٧٦. قال ابن القيم ﷺ: وظاهر الآية أن الحامل لموسى على العجلة هو طلب رضا ربِّه، وأنَّ رضاه ﷻ المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها؛ ولهذا احتجَّ السلف بهذه الآية على أن الصلاة في أول الوقت أفضل، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك، قال: إن رضا الرب في العجلة إلى أوامره.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣ ٦٠)

١٩٧٧. السابق إلى ربه حري بأن يرضى الله عنه، تأمل: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ فإذا قرنت هذه الآية مع قوله ﷺ كما في الصحيح: «سبق المُفرِدُون» ثم فسَّرهم بأنهم: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[1]؛ تحصَّل لك: أن أسبق الناس إلى الله هم الذاكرون الله كثيرًا، ومن كان كذلك رضي الله عنه.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾

١٩٧٨. لما قيل لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ توجَّهَ إلى:
قومه أولًا: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾؟!
ثم نائبه في غيابه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾﴾؟

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

ثم صاحب الفتنة: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾؟ وإنما بدأ بهم في اللوم، لأن البالغ العاقل مسؤول عن نفسه، فليس يعذره قوةُ الإغراء، ولا تيسرُ أسباب الشر، فالتبِعة عليه أولًا. والله أعلم.

د. عبد المحسن المطيري

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾

١٩٧٩. إذا ضممت قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ﴾ إلى قوله سبحانه لمَّا ذكر جملة من الأنبياء ومنهم هارون: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام:٩٠]؛ تبيَّن لزوم إعفاء اللحية وعدم حلقها؛ لأنَّ هارون من الأنبياء الذين أُمر نبيُّنا ﷺ بالاقتداء بهم، وأَمْرُه ﷺ بذلك أَمْرٌ لنا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤ / ٩٢)

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾

١٩٨٠. ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ﴾ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٤١)

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾

١٩٨١. إذا كان القرآن ذِكرًا للرسول ولأمته فيجب تلَقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يُهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يُقْبِلوا عليه بالتعلم والتعليم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٢)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

١٩٨٢. عن سليمان الأنصاري قال: كنت أقود أم الدرداء من دمشق إلى بيت المقدس، فكانت تقول لي: يا سليمان أَسْمِع الجبالَ ما وعدها الله، فأرفع صوتي بهذه الايات.

تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢ ٣٤٢).

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

١٩٨٣. كنى عن الناس بالوجوه، لأن آثار الذل إنما تتبين في الوجه!

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٤٩)

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

١٩٨٤. في هذه الآية أدبُ طالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره وتأمله للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يُعجَب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (ص: ٢١١)

١٩٨٥. لما كانت عجلته ﷺ إلى تلقّف الوحي ومبادرته إليه تدل على محبته التامّة للعلم، وحرصه عليه أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريق إليها الاجتهاد والشوق للعلم وسؤال الله والاستعانة به والافتقار إليه في كل وقت.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٤)

١٩٨٦. في هذه الآية دلالات مهمة منها:

» أن تَعَلُّم كتاب الله إقراء وحفظًا وفهمًا، لا عجلة فيه، بل هي الأناة والتؤدة.

» أن درجات العلم تبدأ بكتاب الله حفظًا وفهمًا، ثم يتزود الإنسان من العلم ما شاء، ولذلك أتبع في الآية تلقي القرآن بطلب التزود من العلم.

د. محمد الربيعة

١٩٨٧. التأنِّي في تلاوة القرآن وتأمله سببٌ معينٌ على تدبُّره، والتَّدبُّر من أسباب زيادة العلم.

د. محمد الصاوي

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

١٩٨٨. تأمل أول نقصٍ دخل على أبي البشر وسرى إلى أولاده؛ كيف كان من عدم العلم والعزم!

ابن القيم، طريق الهجرتين (ص: ١٠٧)

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

١٩٨٩. ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾. فإن قلت: لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء؟ قلت: فيه وجهان:

» أحدهما: أنَّ في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم، لأنه القيِّم عليهم.

» الثاني: أنه أُريد بالشقاء التعبُ في طلب القوت، وذلك على الرجل دون المرأة، لأن الرجل هو الساعي على زوجته[1].

الخازن، لباب التأويل (٣ / ٢١٤)

(١) وفي هذه لفتة لمن يدعو إلى خروج المرأة من منزلها إلى ميادين العمل بإطلاق، وكأن ذلك هو الأصل!

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

١٩٩٠. قرن بين الجوع والعري، وكذلك بين الظمأ والضحى، لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن، والضحى حر الظاهر.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥ / ٣٢٠)

١٩٩١. هذا يعني أن الستر ضرورة ونعيم مثل الطعام.

أ. د. عويض العطوي

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

١٩٩٢. اقتصار الشيطان على التسويل لآدم وهو يريد أن يأكل آدم وحواء، لعلمه بأن اقتداء المرأة بزوجها مركوزٌ في الـجِبِلَّة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦ / ٢٧)

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

١٩٩٣. ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ معترضة بين جملة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾، وجملة ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾؛ لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة، كما في سورة البقرة، وهو المناسب لتَرَتُّب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة، وفائدة هذا الاعتراض التعجيلُ ببيان مآل آدم إلى صلاح.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦ / ٣٢٧)

١٩٩٤. قال ابن عباس ﷺ: «ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»، ثم قرأ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

المصنف لابن أبي شيبة (٧ / ١٣٦)

١٩٩٥. قال قتادة ﷺ: «ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم، ما أخلى الأرضَ لإبليس إلا وفيها أولياء له يعملون لله بطاعته».

الدر المنثور للسيوطي (١ / ١٥٢)

١٩٩٦. تأملت قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾، فوجدته على الحقيقة؛ أن كل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما؛ فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك؛ إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلًا، ويبين هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق:٢].

ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص: ١٤٣)

١٩٩٧. من اتبع هداه الـمُنزل، فإنه لا يضل كما ضلَّ الضالون ولا يَشقَى كما شَقِيَ المغضوبُ عليهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

ابن تيمية، جامع المسائل (٣ / ٨٦)

١٩٩٨. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ فالهدى والفضل والنعمة والرحمة متلازمات، لا ينفك بعضها عن بعض، كما أن الضلال والشقاء متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القمر:٤٧].

ابن القيم، الفوائد (ص: ١٣٤)

١٩٩٩. من أراد الهدى وصل، ومن تتبع الهوى فلا قاع لهاويته.

أ. د. عمر المقبل

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

٢٠٠٠. الآية تشمل الكافر، فله منها حقُّ الوعيد، وتشمل المؤمن مرتكب الكبيرة، فله نصيبٌ من ضَنْك العيش بقدر إعراضه عن الذِّكر.

ابن تيمية، المستدرك على مجموع الفتاوى (١ / ١٩٠)

٢٠٠١. مِن الناس مَن تعلَّم القرآن لكنه أهمل تلاوته، وهذا هجران للقرآن وحرمان للنفس مِن أجرٍ عظيم، وسبب لنسيانه، وقد يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان خسارة كبيرة، وسبب لتسلط الشيطان على العبد، وسبب لقسوة القلب.

د. صالح الفوزان، إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان (ص: ٥٢)

٢٠٠٢. المرأة الإسفنجيَّة امرأةٌ قلقة مضطربة، أضناها التعب وأرهقها الجري، بعيدة عن الخشوع في الصلاة والتذلل بين يدي الله، محرومة من السعادة الحقَّة، ترى وَهْمَ السعادة في دنيا زائفة، أعرضت عن ذكر الله وهجرت كتابه وأضاعت أوامره وارتكبت نواهيه فهي كئيبة حزينة؛ تضحك والحزن يقطع كبدها، تفرح وغيوم البؤس تحوم حول عينها، تبحث عن ابتسامة زائفة وكلمة تُلقى على قارعة الطريق، إنها تبحث عن السعادة والحياة الطيبة ولكنها ضلَّت الطريق وأضاعت الجادة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

د. عبد الملك القاسم، المرأة الاسفنجية (ص: ٧٥)

٢٠٠٣. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ من أعرض عن الوحي وذكر الله، فإن له معيشة ضنكًا، ولو حضر ألف دورةٍ لتطوير ذاته، وإسعاد نفسه، وإيقاظ مكامن قوته!

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

٢٠٠٤. القرآن من أظهر أسباب السعادة: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾، وتركه من أظهر أسباب الشقاء: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

د. محمد السعيدي

٢٠٠٥. نشرت منظمة الصحة العالمية خبرًا يفيد وجود حالة انتحار كل ٤٠ ثانية[1]! وأهل القرآن لا يحتارون في تفسير مثل هذه الظاهرة، فقد أيقنوا بقول ربهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ

(١) وذلك في يوم الاثنين (١٠ محرم ١٤٤١) الموافق (٩ / ٩ / ٢٠١٩)، وذلك تمهيدًا لليوم الذي يليه (اليوم العالمي لمنع الانتحار)!

لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، وتدبَّروا قولَ مَن أسبابُ السعادة كلها بيده: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

من مشاركات المتدبرين

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

٢٠٠٦. من أعلى مقامات العارفين وأحلاها: الرضا! والطريق إليه بأمرين: صبرٌ جميل، وذِكْرٌ كثيرٌ طويل.

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

٢٠٠٧. قال أُبي بن كعب: «من لم يعتز بعزة الله تقطعت نفسه حسرات، ومن يُتْبِع بصره فيما في أيدي الناس طال حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه».

تفسير البغوي (٣ / ٢٨١)

٢٠٠٨. (لا تمدن) أبلغ من (لا تنظرن)، لأن الذي يمد بصره، إنما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٦٢)

٢٠٠٩. مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله تعالى، وتُعظِّم عنده نعمة الله عليه بنظره في الدنيا إلى مَن دونه، ومجالسة الأغنياء توجب السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم

وما هم فيه، وقد نهى الله ﷻ نبيه عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

ابن رجب، اختيار الأولى (ص: ١٠٥)

٢٠١٠. الحسد شرٌّ على صاحبه قبل غيره، لأنه يأكل قلبه، ويؤرق جفنه، ويَقُضُّ مضجعه، وأعظم ما ينمي الحسد ويغذيه امتدادُ العين إلى ما مَتَّع الله به عباده من متاع المال والبنين وغير ذلك، وقد نهى الله نبيه ﷺ عن مد العين إلى ما عند الغير فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾، ففيها إرشاد إلى علاج الحسد.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٣٨٠)

٢٠١١. ينبغي للموفق أن لا ينظر إلى زينة الدنيا نظر المعجب المفتون، وأن يقنع برزق ربه، وأن يتعوض مما مُنع منه من الدنيا بزاد التقوى الذي هو عبادة الله واللهج بذكره.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (ص: ٣١١)

٢٠١٢. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الزهرة آخر مآلها الذبول واليبس والزوال، وهي أسرع أوراق الشجرة ذبولًا وزوالًا، ولهذا قال: ﴿زَهْرَةَ﴾، وهي زهرةٌ حَسَنَةٌ في رونقها وجمالها وريحها، إن كانت ذات ريح، لكنها سريعة الذبول، وهكذا الدنيا، زهرةٌ تذبل سريعًا، نسأل الله أن يجعل لنا حظًّا ونصيبًا في الآخرة.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣ / ٤٥)

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

٢٠١٣. كان عمر بن الخطاب ﷺ يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة؛ يقول لهم: «الصلاة الصلاة» ثم يتلو هذه الآية.

موطأ مالك (١ / ١١٩)

٢٠١٤. كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾، ثم ينادي: الصلاة الصلاة يرحمكم الله.

تفسير الطبري (١٦ / ٢١٧)

٢٠١٥. كان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خَصاصَة يقول: «قوموا فصلوا؛ بهذا أمر الله تعالى رسوله» ويتلو هذه الآية.

تفسير الثعلبي (١٨ / ٨٧)

٢٠١٦. إذا شعرت بالملل من جراء كثرة أمرك أهل بيتك بالصلاة وإيقاظهم لها (خصوصًا صلاة الفجر) فتذكر قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، ففي ذلك أعظم دافع للصبر والاحتساب، وطرد الملل، وتذكر عاجل الأجر ومآل الصبر بعد ذلك في الآية ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

د. محمد الحمد

٢٠١٧. الاشتغال بالدعوة الواجبة من أسباب جلب الرزق وليس مشغلًا عنه؛ تأمل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

د. عبد الله الغفيلي

المحتويات

مقدمة ٥

فرائد اللطائف ٩

محبة القرآن وتعظيمه ١١

العلاقة مع القرآن ٢١

أثر القرآن ٢٥

القرآن الـمُعجِز ٣١

أهمية التدَبُّر وفضلُه ٣٥

من أخبار المتدبِّرين ٤٥

الأمور المعينة على التدبُّر ٤٩

موانع التدبُّر ٥٩

لطائف قرآنية عامة ٦١

درر اللطائف ٨١

سورة الفاتحة ٨٣

سورة البقرة ٩٥

سورة آل عمران ١٧٧

سورة النساء ٢١٥

سورة المائدة ٢٤٧

سورة الأنعام ٢٦٩

سورة الأعراف ٣٠١

سورة الأنفال ٣٣٧

سورة التوبة ٣٤٩

سورة يونس ٣٧٣

سورة هود ٣٨٥

سورة يوسف ٤٠١

سورة الرعد ٤١٧

سورة إبراهيم	٤٢٥
سورة الحِجر	٤٣٥
سورة النحل	٤٤١
سورة الإسراء	٤٥٣
سورة الكهف	٤٦٩
سورة مريم	٤٨٧
سورة طه	٤٩٩
المحتويات	٥١٧